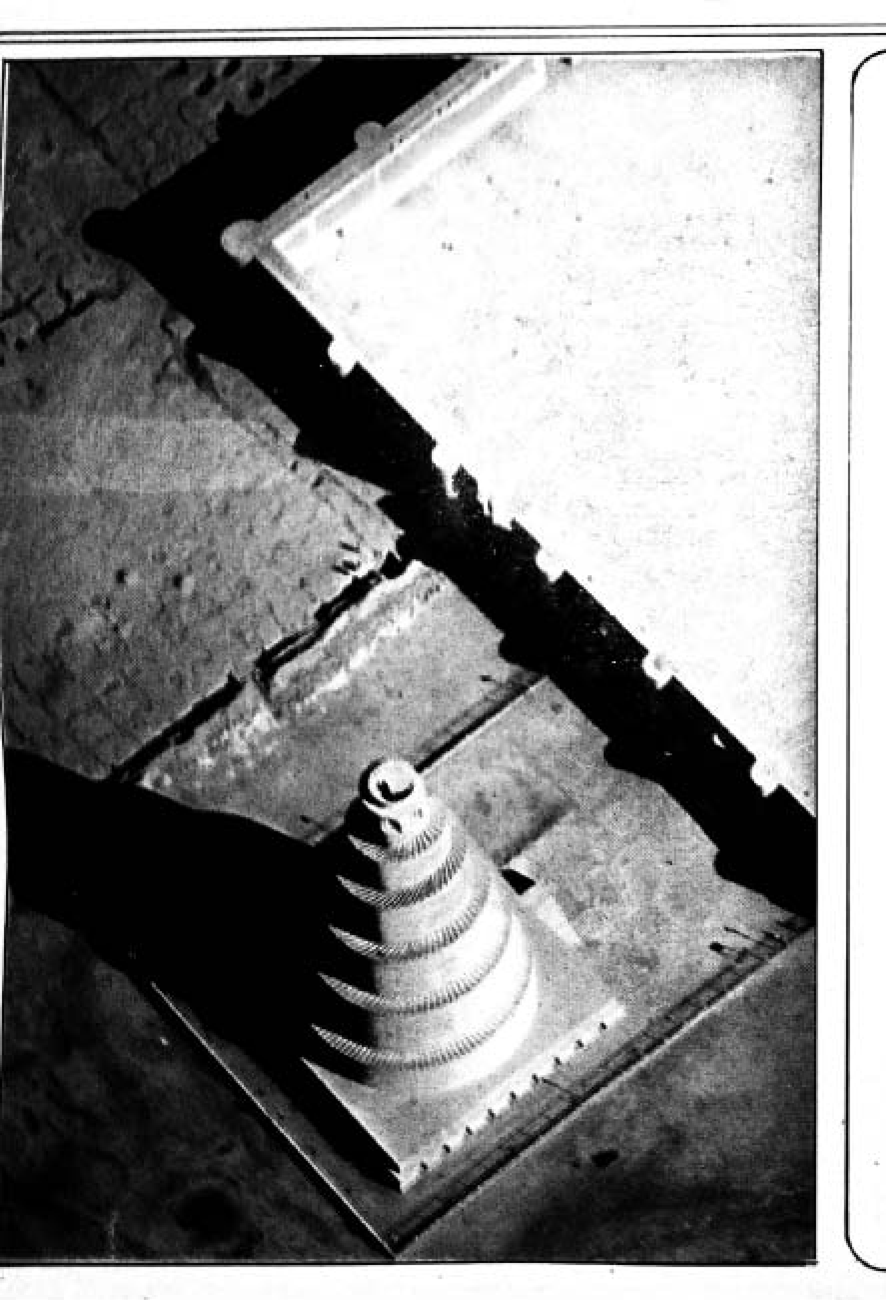
العمارات العربية الإسلامية في العراق



الجزء الأول

تخطيط مُدن ومساجِد

تأليف

الدكتور عيسى سلمان

نجلة العِزي

هناء عبد الخالق

نجاة يونس

دار الرشيد للنشر
١٩٨٢

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
السلسلة الفنية
(٥١)

العمارات العربية الإسلامية

في العراق

الجزء الأول

تأليف

الدكتور عيسى سلمان
نجاة يونس
نجلة العزي
هناء عبد الخالق

مدخل

نقول ، قد تسهم مقدمة لتأريخ العراق السياسي ، منذ أن حرره الجيش العربي الاسلامي من السلطة الايرانية الساسانية عام ٦٣٥ – ٦٣٧م الى قيام سلطة وطنية عام ١٩٢١ م ، في تسهيل فهم واستيعاب موضوع هذا الكتاب • والحقيقة ان ما يسمى بالعراق الان لم يحكم كقطر او اقليم منفصل وبحدوده المصطنعة الحالية خلال القرون الثلاثة عشرة والنصف من تاريخه التي ستغطي هذا البحث • فلم تعرف أرض هذا القطر الانفصال عن الوطن الأم • ولئن تعرض العراق لذلك فلقد كان حدثا عابراً وليس اصيلا ، والعابر دائما مصيره الزوال والاصيل هو الباقي وهذا منطق التاريخ • ومن الصعوبة بمكان صياغة صورة دقيقة للاحداث السياسية كلها خلال هذه الفترة الزمنية المعنية فكل الاحداث السياسية التى تعرض لها العراق لها امتداداتها الواسعة والعميقة على جملة أقاليم هي أقاليم الوطن العربي الاسلامي وغيرها • وغالبا ما يكون للعراق دور أساسي في التأثير بالاحداث والتأثر بها وذلك ناتج عن الدور القيادي الرائد الذي لعبه هذا الاقليم خصوصا خلال القرون الستة الاولى من تاريخ العالم العربي الاسلامي •

واذا ما احسن صياغة هذه المقدمة فأنها ستلقي الضوء على نشوء وتطور وازدهار هذا الفن المهم من الفنون العربية الاسلامية والذى يمثل صفحة مشرقة من صفحات حضارتنا • فالابداع التقني والمهارة الفنية

في حقل العمارة لم تبحث بدقة وبروح علمية وموضوعية من متخصصين عرب الى الان .

وكما هو الامر في تاريخ العراق السياسى ، فان تاريخه الحضارى او تراثه هو جزء من تراث الامة العربية الاسلامية . وتنعكس صور الاساليب والطرز العمارية التى سادت في العراق في اغلب ارجاء اقاليم الوطن العربي الاسلامي وتتمثل فيها الوحدة العمارية والفنية والتنوع المتناسق . فالوحدة الفنية هى سمة الحضارة العربية الاسلامية وانعكاس لوحدة الامة ووحدة عقيدتها الدينية ، التي كان لها الدور الاساسي في تحريك ضمير الامة وترجمة طاقتها الخلاقة الى آوابد وفنون وأدب وفكر وعلوم تؤشر مرحلة مشرقة في حياة الامة العربية .

ولم نرد لكتابنا هذا ان يعزز الاقليمية ويكرسها بل نريده ان يكون عاملا من عوامل الكشف عن اصالة وحدة التراب العربي ووحدة الامة العربية ومثلا ساطعا ودليلا قاطعا لوحدة حضارتها وتراثها ، اما التجزئه فظاهرة عابرة في حياة الامة العربية وليست من صنعها بل من صنع قوى الظلم والاستعمار الغاشم . فحاجة المكتبة العراقية والعربية الى كتاب تضم فصوله الفن العمارى العربي الاسلامي منذ نشوئه حتى دخول الاساليب العمارية الغربية هو الدافع الأول لنا لنسد جزءا من هذا الفراغ .

كان لقادة الامة العربية الاسلامية من خلفاء وسلاطين وملوك وأمراء ووزراء ، دور مهم في نشوء وازدهار هذا الفن الرفيع الملموس والمهم في حياة الانسان كأهمية الطعام والكساء . فكان دورهم كبيراً في اتخاذ القرار والمشاركة احيانا في التخطيط والاشراف على التنفيذ خصوصا اذا ما اخذت المباني العامة دينية ومدنية ، بنظر الاعتبار ، كالمساجد الجامعة والمدارس والمشاهد وغيرها. ولكن الدور الاساسي يبقى للشعب فهو اداة التنفيذ والابداع ومنه المهندس والعامل والبناء والنحات والنقاش والخطاط . فدور الشعب مهم واساسي في

مثل هذه الاعمال الكبيرة التى خلدت صانعيها ، ومتخذى قرارات انشائها ومنفذيها .

انطلقت الجيوش العربية الاسلامية من شبه جزيرة العرب ، بعد ان توطدت مبادىء الدين الاسلامي خصوصا بعد ان قضى الخليفة الراشدي الاول على المرتدين ، حاملة راية الدين الجديد لتحرير العراق والشام ومصر من السيطرة الأجنبيـة . وتم تحقيق هذا الهدف عـلى عهـد الخليفة عمـر بن الخطـاب (١٣ - ٢٣ هـ / ٦٣٤ / ٦٤٣ م) . وكان الانتصار الذى حققه جيش القائد العربي المشهور سعد بن ابي وقاص في واقعة القادسية حاسما ، عندما تقدمت الجيوش العربية الاسلامية بعد ذلك بسرعة وتم تحرير العراق تماما من السيطرة الساسانية خصوصا بعد ان دخل جيش سعد الظافر مدينة طيسفون منتصرا سنة ١٦هـ / ٦٣٧م . فلم يكن امام ملك الساسانيين الا ان ينجو بنفسه هربا الى فرغانة وواصل الجيش العربي الاسلامي مسيرته الظافرة فحرر الجزيرة اى جزيرة بلاد ما بين النهرين . ولم تشغل حروب التحرير الواسعة الخليفة عمر بن الخطاب عن التفكير في امور ادارة الاجزاء العربية المحررة وبناء قواعد او معسكرات للجيوش العربية الاسلامية فاتخذ قرارات مهمة بتمصير الامصار وبتدوين الدواوين وحساب التاريخ بالعام الهجرى . وامر بانشاء البصرة والكوفة والفسطاط وذلك بموجب تخطيطات هندسية ومعمارية تؤيد عبقرية الخليفة ونظرته المستقبلية الصائبة في هذا المجال .

تبوأ العراق مكان الصدارة بين الاقاليم العربية الاسلامية الناهضة وهذا ما دفع باخر الخلفاء الراشدين على بن ابي طالب (٣٥ - ٤١هـ / ٦٥٥ - ٦٦١م) ان يجعل من مدينة الكوفة عاصمة لكل العالم العربي الاسلامي .

ولم يفقد العراق مكانته بعد ان جعلت مدينة دمشق حاضرة للعالم العربي الاسلامي انذاك عندما انتقلت الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان . وقد استطاع الخلفاء الامويون تشييد دولة وطيدة ذات طابع متميز . فبذل الخلفاء الأول

جهودا جبارة للقضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية . وتكللت جهودهم بالنجاح فانطلقت جيوشهم شرقا وغربا وشمالا رافعة راية الاسلام العظيمة وحامية الدولة العربية الاسلامية الفتية . فوصلت جيوشهم اقاصي الارض ودانت لهم ممالك واقاليم كثيرة . وحرص الخلفاء الامويون على تعزيز وحدة الأمة واستكمال شروط قوتها ومكانتها وذلك بازالة كل مخلفات التسلط الاجنبي كالتجزئة وغيرها . فعربت الدواوين وضربت النقود ووحدت المقاييس والمعايير والمكاييل . وقد كان لهذه القرارات المهمة أثرها في ازالة رواسب ومخلفات العهود السابقة .

ركز الخلفاء الامويون اهتمامهم على العراق فكانوا يختارون له اكفأ الولاة واكثرهم قدرة من الناحية الادارية والسياسية . وبذل الولاة قصارى جهودهم في تعمير القطر وتقدمه . فازدهرت مدينتا الكوفة والبصرة واشتهرتا بمساجدهما وقصورهما اثناء ولاية زياد بن ابيه على العراق ، في عهد معاوية الذي جعل من مسجد الكوفة ومسجد البصرة اعجوبة العصر وتناثرت القصور والدور البهية هنا وهناك.وبذل الحجاج بن يوسف الثقفي اموالا كثيرة لتجديد المساجد الجامعة وتوج اعماله العمرانية ببناء مدينة واسط التى اشاد الجغرافيون بتخطيطها وعماراتها والجهود المبذولة في اختيار موقعها وهندستها . وقد دامت ولاية الحجاج للقطر من سنة ٧٥هـ الى ١٠٥هـ / ٦٩٤ - ٧٢٣م . ولم يقصر الخلفاء الامويون اهتمامهم هذا على البناء والعمارة حسب بل تعدى ذلك الى الزراعة والتجارة والصناعة والعلوم النقلية والعقلية التى نمت وازدهرت في كل ربوع الدولة العربية الاسلامية .

غير ان انشغال المتأخرين من الخلفاء الامويين عن امور السلطة وادارة دفة الدولة ادى الى تحرك القوى المعادية والطامعة في الحكم ولا سيما في شرقي العالم العربي الاسلامي حيث تسكن بعض القبائل العربية الاسلامية

وبعض الطوائف الاسلامية التى لم تستوعب نزعات وطموحات الامويين .
فازدادت المعارضة وتبلورت الافكار المضادة فتحولت الى ثورة مسلحة قادها
عبد الله بن محمد بن على بن العباس الذى اشتهر باسم السفاح ، والذى
استطاع ان يقود جيشا لجبا ضد مروان الثاني اخر الخلفاء الامويين وان
يهزمه في معركة الزاب ، وان يقضى على الحكم الاموي في العراق وتتم له
البيعة بالخلافة في الكوفة سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م . وبمقتل مروان الخليفة الاموى
في مصر ، التي التجأ اليها بعد هروبه من العراق امام جيش عباسي كان يقوده
صالح بن علي ، انتهت السلطة الاموية وافل نجم دمشق حيث اتجه العباسيون
الى العراق الذى ناصرهم . فقرر الخليفة عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله
ابن العباس اتخاذ مدينة الانبار عاصمة لدولته ثم انتقل منها الى الهاشمية .

الا ان الخليفة العباسي الثاني ابا جعفر المنصور لم يستقر في الهاشمية
بل فضل ان يبنى حاضرة جديدة لدولته فوقع اختياره على موضع يتوسط
العراق على دجلة في منطقة ذات سمات معينة تتلاءم وطموحاته . فابتدأ
البناء فيها سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م وسماها « مدينة السلام » . ويعتبر تصميم
هذه المدينة وتخطيطها اروع نموذج في تاريخ تخطيط المدن العربية الاسلامية
وقمة تطور هذ الفن الذى بدأ في تصميم مدينة البصرة . وقد ازدهرت وبسرعة
الحياة في العاصمة الجديدة وعلت شهرتها ارجاء العالم العربي الاسلامي واقاليم
كثيرة وصارت خلال خمسة قرون محط انظار العلماء والفقهاء والفنانين
والعماريين وولاة الاقاليم ، وكانت الرحال تشد اليها لطلب العلم والمعرفة
ولاظهار النبوغ والابداع . بنيت مدينة السلام المدورة على شاطىء دجلة
الغربي ثم امتد العمران الى الجانب الشرقي من النهر وصارت بغداد الشرقية
معروفة بقصورها ومساجدها ومدارسها ودور العلم فيها . ولم يقتصر البناء
والتعمير على مدينة السلام بل شمل معظم المدن العراقية وظل كذلك طيلة
الفترة التى سبقت سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م . وامتد تأثير الفنون

العمارية من العراق الى كل ارجاء العالم العربي الاسلامي وتبوأ العراق دورا قياديا ليس في هذا الفن فحسب بل في مختلف فنون العلم والادب والصناعة وغيرها .

وتذكر كتب التاريخ والسير والجغرافية ان الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤١م) قرر انشاء عاصمة جديدة لدولته وذكرت كذلك دوافع ومبررات هذا القرار . فوقع اختياره على موضع شرقي دجلة يبعد بحدود ١٢٠ كيلو مترا شمال مدينة السلام ودعا مدينته الجديدة سر من رأى وكان ذلك سنة ٢٢١هـ / ٨٣٦م . والشيء الاساسي الذى يهمنا هو تخطيط المدينة فهو يختلف تماما عن تخطيط المدن السابقة ولعل ظروف العالم العربي الاسلامي الذاتية والموضوعية كان لها اثر في شكل تصميم المدينة الجديدة . والشيء الاخر الذي يعنينا هو ان مساجد هذه المدينة الجامعة وبعض قصورها ودورها تعتبر من اهم واقدم الامثلة الشاخصة في قطرنا والتى تمثل روعة وتقدم الفن العماري العربي الاسلامي هندسة وتقنية وفنا وزخرفة . اما الجانب الاهم فهو ان طراز سر من رأى العمارى يمثل عالمية انتشار هذا الفن في اقاليم بعيدة جدا عن العراق وعلى الرغم من قصر حياة هذه المدينة التي لم يزد عمرها على نصف قرن . وخلال هذه الفترة اتسعت سر من رأى وقام الخليفة المتوكل على الله بأنشاء مدينة شمال سر من رأى دعاها المتوكلية او الجعفرية واهم ما بقي منها مسجدها الجامع الذي يعرف بجامع ابي دلف . ولكن مجد مدينة سر من رأى لم يدم طويلا حيث قرر الخليفة المعتمد على الله سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ان يعود الى مدينة السلام (بغداد) ويهجر العاصمة الجديدة .

بدأت بغداد تحتل موقعها من جديد كعاصمة لاعظم امبراطورية وبدأ البناء يتعالى فيها وعلى الاخص في الجانب الشرقي منها . وتنافس الخلفاء والامراء والقادة والتجار في تعمير دورهم وبذل الاموال الكثيرة لتجديد وانشاء المباني الدينية والمدنية ، هذا على الرغم من ان سيطرة الخليفة الفعلية

بدأت تتقلص وان عدة اقاليم قد حصلت على حكم ذاتي • وبدأ دور قادة الجيش يتعاظم ولعب القادة الاتراك دورا مهمـا في تقليص سـلطة الخليفة وتثبيت مراكزهم ومواقعهم • وقد ادى هذا الوضع الى ان يتجرأ بعض الامراء من الديلم على التفكير في دخول بغداد وحكمها باسم الخليفة العباسي •

نجح البويهيون الديلم ، الذين قدموا من ايران في عام ٣٣٤هـ / ٩٤٦م في القضاء على نفوذ القادة العسكريين الاتراك الذين كانوا يحكمون باسم الخليفة العباسي • وقد اعترف الخليفة بالغزاة الوافدين ومنحهم الالقاب ووزع عليهم حكم الاقاليم ودامت السيطرة البويهية الى سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م لكنها لم تؤثر في القطر تأثيرا كبيرا من حيث التقدم العماري وازدهار الحياة فقد اوردت المصـادر التاريخية اخبـارا عن عمران بغداد وكثرة قصـورها ومستشفياتها وجوامعها ايام الخليفة ابي الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع (٣٦٣هـ - ٣٨١هـ / ٩٧٣م - ٩٩١م) • وتعاظمت النهضة العمرانية في العراق خلال سيطرة السـلاجقة الأتراك الذين دخلوا بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م فوضعوا حدا للسيطرة البويهية وحصلوا على موافقة الخليفة بحكم العالم الاسلامي وبغداد باسمه وكان هؤلاء السلاجقة اول من حمـل لقب سلطان وملك وقد دام حكمهم حتى سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م حيث توجت الحركة التى بدأها الخلفاء العباسيون للتخلص من النفوذ الاجنبي بانتصار الخليفة الهمام الناصر لدين الله على السلاجقة وطردهم من العراق ثم قضى عليهم في ايران ايضا• وقد شهدت السيطرة السلجوقية ظهور المدارس في العالم الاسلامي واتخاذها دوراً للتدريس وتلقين العلوم المختلفة الى جانب المساجد والجوامع التي كانت تدرس فيها العلوم الدينية والاداب العربية واللغوية • وعلى الرغم من ذلك فان هذه الفئات الغازية الطامعة كان دورها محدودا في التقدم العمراني في القطر وكان الدور الاساسي للشعب او سكان القطر الذين كانوا على مستوى عال من التقدم الحضاري لا يقارن بما كان علية الغزاة •

امتدت سيطرة الخليفة الناصر الفعلية الى جنوبي العراق ووسطه اما في الشمال فقد قامت هناك دويلات دعيت بالاتابكيات وهي دويلات شبه اقطاعية اشتهرت من بينها اتابكية بني زنكي في الموصل التي حكمت المدينة من ٥١٦هـ الى ٦٦٠هـ / ١١٢٢ الى ١٢٦٢م وكان لهذه السلالة فضل في تعمير المدينة وبناء المزيد من المساجد والمدارس والقصور فيها ، والحقيقة ان معظم اثار مدينة الموصل الاسلامية الباقية الى الان مثل جامع النورى ومنارته الحدباء والمسجد المجاهدى ومشهد الامام يحيي بن القاسم وقصر بدر الدين لؤلؤ ، كلها تعود الى فترة حكم الاتابكيين .

وحكمت سنجار سلالة اتابكية اخرى من اسرة بني زنكي ايضا دام حكمها من ٥٦٦هـ الى ٦١٦هـ / ١١٧٠ الى ١٢١٩م.كذلك اشتهرت اتابكية اربيل من سنة ٥٣٩ – ٦٣٠هـ / ١١١٤ – ١٢٣٢م واميرها مظفر الدين كوكبرى (٥٦٣ – ٦٣٠هـ / ١١٦٧ – ١٢٣٢م) باني جامع اربيل الذى لم يبق منه الا مأذنته .

وتعتبر الفترة العباسية المتأخرة ، اى منذ ان حرر الخليفة الناصر لدين الله العراق واجزاء مهمة من العالم الاسلامي من السيطرة السلجوقية حتى سقوط بغداد سنة ١٢٥٨/٦٥٦م من المع الفترات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية . فقد عادت للخلافة هيبتها وصار الخليفة المحرك الاساسي لمعظم الامور فاستقرت الاحوال وعلت مكانة بغداد وازدهرت فيها العلوم والاداب وكثر البناء والاعمار . وتعود معظم آثار بغداد العباسية المتبقية الى هذه الفترة . وكان لشخصية الخليفة الناصر لدين الله وطول فترة حكمه التي تجاوزت الاربعين عاما وولعه بالعلوم وجمعه المال وتسيير امور الخلافة بنفسه ، اثارها الفعالة في نهضة البلاد وتقدمها . فقد اشاد المؤرخون بالخليفة وأتوا على ذكر اعماله العمرانية من تعمير المساجد ، وتجديد المشاهد وبناء الاربطة والمدارس ودور الضيافة للصادر والوراد مما شمل معظم مدن العراق ومدن الاقاليم الاخرى التي كانت تحت سيطرته . واشتهر كذلك

من الخلفاء العباسيين في هذه الفترة الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ / ١٢٢٦ - ١٢٤٢م) ، الذى استغل الثروات الطائلة والاموال الكثيرة التي جمعها الخليفة الناصر لدين الله في تعمير البلاد ورعاية العلم والعلماء . فاشتهر ببنائه المدرسة المستنصرية على شاطيء دجلة الشرقي والتي اكملت سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م ، ونالت شهرة واسعة كما عرفت بمكتبتها الضخمة ودار طبها ، ودار القرآن التابعه لها . وشيد المستنصر مساجد عدة في الجانب الغربي من بغداد وامر ببناء رباط دار الروم سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م مع مأذنة . كما بنى مستشفى في البصرة وعمر جامعها وكذلك امر ببناء دور الضيافة للفقراء في جميع محلات بغـــداد القريبة منهـا والبعيدة . وتذكر كتب التاريخ والرحلات جملة من المباني الدينية والمدنية التي امر بتشييدها هذا الخليفة . ومن يقرأ كتب الرحالة والمؤرخين من الذين تحدثوا عن العراق ولا سيما مدنه الرئيســية ، بغداد والكوفة وواسط والبصرة وغيرهـــا يعجب بما كان عليه العراق من تقدم وازدهار . حيث نضجت الحضارة وبرع العلماء في شتى ميادين العلم والفن .

وكان عهد الخليفة المستعصم بالله(٦٤٠ - ٦٥٦هـ / ١٢٣٢ - ١٢٥٨م) عهد الهدوء الذى سبق العاصفة الصفراء التى بدأت ترعب العالم الأسلامي . فمنذ ٦١٦هـ / ١٢١٩م تحركت جحافل المغول تنشر الدمار والقتل والتخريب في اقاليم العالم الاسلامي الشرقية . ووصلت هذه الجحافل المغولية سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م الى شمال العراق فاحتلت اربيل وبلغت نينوى وبعد محاصرة مدينة اربيل او قلعة اربيل انحدر المغول جنوبا فبلغوا تخوم بغداد بعد ان اكتسحوا داقوق ، ومروا بسامراء ولكنهم هزموا على يد جيش الخليفة العباسي فاتجهوا نحو خانقين واعادوا الكرة فاغاروا على بغداد لكنهم لم يتمكنوا منها وكان هؤلاء المغول يدمرون المدن التي يمرون بها ويرتكبون افحش الاعمال واكثرها وحشية مما ترك آثاره النفسية السيئة في نفوس المسلمين قاطبة .

حاصر المغول تحت قيادة هولاكو حفيد جنكيز خان ، مدينة بغداد وبعد مناورات ومناوشات محدودة دخلوا المدينة سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م فبدأوا بأعمال القتل الجماعي والنهب والسلب التي دامت اربعين يوما وبلغ عدد القتلى زهاء ثمانمائة الف نسمة . وقد حل الوباء في المدينة واحرقت دور العلم فيها وبيعت كنوز قصورها ومدارسها ومشاهدها بابخس الاثمان ، وامتدت اعمال القتل والنهب الى مدن عراقية اخرى بينما حصلت القليل منها على امان فنجت من الغول المغولي المتعطش للدمار والتخريب والتدمير .

كانت مأساة بغداد مأساة العالم الاسلامي باجمعه . فقد قتل الخليفة المستعصم بالله واهل بيته وانهارت الخلافة في العراق ، وظلت الاجيال تروي مأساة بغداد وفاجعتها المروعة قرونا عديدة وظل الشعراء والادباء والمؤرخون يندبون الخلافة وما حل بالعالم الاسلامي من تدمير وخراب وصارت تلك الفاجعة عنوانا لظلم الانسان لأخيه الانسان ودليلا على عدوان التخلف والطيش والهمجية على التقدم والحضارة والانسانية . غير ان كل ذلك الحقد وكل اعمال التدمير والتخريب التى اصابت العراق وعددا من الاقاليم الاسلامية لم تقض على اشراقة الحضارة العربية الاسلامية وانسانيتها الشاملة فقد وقف الطغاة الهمج في حيرة ودهشة امام شوامخ تلك الحضارة وتتاجها العلمي والادبي ، وشعروا بما هم عليه من تأخر وهمجية ، فاعتنقوا الدين الاسلامي واحاطوا انفسهم بالعلماء والادباء والصناع المهرة من المسلمين حيث صهرتهم حضارتنا الانسانية وصقل ديننا الاسلامي الحنيف اخلاقهم ، وهذب نفوسهم ، وغير اساليب تفكيرهم .

فقد العراق دوره القيادي واستقلاله لفترة طويلة واصبح ولاية او اقليما من اقاليم الدولة او الامبرطورية الايلخانية التي كانت عاصمتها فى شرقي العالم الاسلامي . وعين المغول لادارة بغداد عميلهم مؤيد الدين محمد ابن العلقمي وزير المستعصم بالله ، ثم خلفه بعد وفاته في ادارة شؤونها ابنه

ابو الفضل عزالدين واطلق على حاكم بغداد لقب الوزير • وظل الولاة الايلخانيون يحكمون العراق حوالي ثمانين سنة بين ٦٥٦هـ ـ ٧٤٠هـ / ١٢٥٨ ـ ١٣٣٩م •

لم تستقر الاحوال في العراق على الرغم من اهتمام الايلخان به وتعيين خيرة الولاة له • فكثرت الفتن والاضطرابات مما مهد للشيخ حسن الجلائرى الاستيلاء على بغداد سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م والقضاء على سلطنة الايلخانيين • وبالرغم من هذه المنازعات فقد عمرت بعض المدارس في بغداد وعدد من المساجد • ومن اشهر ما تبقى منها جامع الخلفاء الذى يعرف بمسجد سوق الغزل والذى لا تزال مأذنته الايلخانية باقية الى اليوم •

اتسمت فترة الحكم الجلائرى ، على الرغم من قصرها ، باستقرار نسبي ساعد على قيام نهضة عمارية وعلمية وفنية رعاها السلاطين الذين بذلوا الأموال الطائلة لتزيين العاصمة بغداد • واشتهر من السلاطين الجلائريين السلطان اويس (٧٤٠ ـ ٧٥٩هـ / ١٣٣٩ ـ ١٣٥٧م) والسلطان حسين اللذان بذلا جهودا كبيرة في تعمير البلاد وازدهارها • وقد عرف عن السلطان وجيه الدين اسماعيل بن زكريا ٧٧٦ ـ ٧٨٠هـ / ١٣٧٤ ـ ١٣٧٨م بانه فنان وشاعر وخطاط •

ومن الشخصيات التي اشتهرت في تاريخ بغداد والعراق في هذه الفترة الخواجة امين الدين مرجان الذى عينه السلطان معز الدين اويس واليا عليها والذى عرف عنه بانه جدد المبانى العامة من مدارس ومساجد ، وبنى العديد الجديد منها ، واشهر هذه المبانى المدرسة المرجانية ، وخان مرجان ، ودار الشفاء وبعض الخانات والاسواق • ووصل الامر بالخواجة مرجان الى اعلان الاستقلال عن العاصمة الجلائرية تبريز ولكن السلطان استرد بغداد وتم الصلح بينهما وظل امين الدين ابن عبد الله بن عبد الرحمن مرجان يحكم بغداد الى سنة ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م • وقد اشاد المؤرخون بالعدد الكبير من

المدارس والمساجد والخانات والاسواق عدا القصور التى شيدها مرجان وورد ذكر بعض هذه المدارس والمساجد والتي لايزال البعض منها قائما الى يومنا هذا في مصادر تلك الحقبة . واشهر المدارس مدرسة مرجان والمدرسة الوفائية ومدرسة الخواجة مسعود ومدرسة العاقولي وغيرها ومن الجوامع عرف جامع سراج الدين وجامع النعماني وجامع سيد سلطان علي . ومع هذه النهضة العمرانية ازدهرت فنون الزخرفة والتزويق والخط والتجليد والتذهيب وغيرها .

تعرض العراق الى موجة اخرى من المغول حين دخل تيمورلنك بغداد سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م وهرب السلطان احمد الجلائري منها فنهبت ودمرت بعض المدن العراقية الاخرى مثل الموصل وتكريت وغيرها . ولكن السلطان احمد الجلائرى تمكن من استرداد بغداد بعد سنتين من احتلالها وعاود تيمورلنك الكرة ودخل بغداد مرة اخرى عنوة سنة ٨٠٣ / ١٤٠١م بعد ان حاصرها أربعين يوما فانهزم الجلائري أحمد الى تركيا.وبعد فترة وجيزة تم استرجاع بغداد . ولم تستقر الامور حتى سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠م حين قتل السلطان احمد واستولى على بغداد الشاه محمد بن قرايوسف مؤسس الدولة البارانية او دولة الخروف الاسود التركمانية (قرا قيونلو) وكيفما كانت الحال ، فان البلد تعرض الى ركود حضاري بسبب الحروب والتدمير والتخريب الذى اصابه من دخول جيوش تيمورلنك واستيلاء التركمان عليه ودام حكم هذه الاسرة للعراق حتى ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م واشتهر عن امرائها سوء السلوك والابتعاد عن القيم الدينية فتخربت البلاد وهدمت المساجد وتعطلت الصناعات وتعتبر فترة حكم هذه الاسرة والاسرة التي تلتها من الفترات المظلمة في تاريخ الحضارة الاسلامية في العراق .

وقع العراق سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م تحت حكم اسرة تركمانية اخرى اتخذت من تبريز عاصمة لها هي اسرة (اق قيونلو) الخروف الابيض او الدولة

البابندرية التي امتد حكمها في القطر من سنة ٨٧٢ - ٩٠٨هـ/١٤٦٧-١٥٠٢م ولم يختلف حكم امراء هذه الاسرة عن حكم من سبقهم من الاسر التركمانية فاهملت البلاد ولم يبرز من العلماء والفنانين والادباء ما يلفت نظر المؤرخين الذين دونوا تاريخ هذه الفترة • وقد انتهى حكم هذه الاسرة بدخول جيوش الشاه اسماعيل الصفوى بغداد سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م •

ولم تتوقف اطماع دول الاقاليم المجاورة للعراق ولا سيما الناشئة والقوية منها • فقد دفع غنى القطر وموقعه الاستراتيجي ومكانته الحضارية والسياسية الى اثارة المنازعات والمشاحنات ، فتأججت النزعات الدينية والطائفية تبعا لذلك•

فبعد الفوضي والتدمير والركود الذى اصاب البلد نتيجة التحرك المصلحي للامراء والولاة ، وتعرض القطر الى الفيضانات المدمرة والاوبئة الفتاكة ، توجه مؤسس الدولة الصفوية في ايران ، الشاه اسماعيل الصفوى (٩٠٨ - ٩٣٠هـ / ١٥٠٢ - ١٥٢٣م) نحو العراق فدخله وهرب سلطان بغداد التركماني ولقد قام الشاه اسماعيل بزيارة كل من كربلاء والنجف وقدم هدايا نفيسة الى الاضرحة فيهما ، كما باشر بتعمير مرقد الامام موسى الكاظم ، هذا فى الوقت الذى دفع الحقد الطائفي الشاه اسماعيل نفسه الى تدمير عدد من مراقد الائمة والشيوخ من امثال الامام ابي حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني وغيرهما وقتله الكثيرين من اهل العراق •

ثارت ثائرة الدولة العثمانية القوية والمنافسة للدولة الصفوية لهذه الاعمال الطائفية التي عززها الصفويون في العراق فراحت تترقب الفرصة لوضع حد لمثل هذه الامور • وكانت للدولة العثمانية اكثر من مصلحة في القطر العراقي فاتخذت الذريعة المذهبية اساسا لمحاولة السيطرة عليه • فبعد وفاة الشاه اسماعيل استغل والي العراق الظروف التي نشأت بعد ذلك فثار على الشاه الصفوي طهماسب واستنجد بالسلطان العثماني سليمان القانوني ، ولكن الشاه طهماسب قضى على عصيان ذلك الوالي • وامتعض السلطان سليم مما

حدث فجهز جيشا كبيرا ، ووجهه لفتح بغداد بإمرة قائده المشهور ابراهيم باشا وقد انجز الجيش العثماني هذه المهمة سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م.

قام السلطان سليمان القانوني بزيارة للقطر ، ووضع خطة لتعمير وتنظيم ادارة القطر العراقي ، فعمل على اذابة النزعات الطائفية لتوحيد كلمة الشعب وسد الثغرات التي قد ينفذ منها الاعداء . وعلى النقيض مما اقترفه الملوك الصفويون اصدر السلطان سليمان فرمانا بتكميل عمارة ضريحي الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد اللذين بدأهما شاه اسماعيل . كما امر بتعمير جامع الامام ابي حنيفة الاعظم واهتم بتجديد مرقده وصيانة القبة المشيدة عليه بالاضافة الى بناء دار ضيافة ملحقة بالمرقد المذكور . كذلك امر السلطان بان تبنى قبة عالية لضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني ودار ضيافة تابعة له . هذا فضلا عن تعمير جوامع اخرى في بغداد مثل جامع السليماني او جامع السراى .

وسلك ولاة السلاطين العثمانيون مسلكا جيدا في الحفاظ على وحدة القطر وتعمير المباني الدينية والعامة وراحوا يتسابقون في بناء الجوامع والمساجد . فقد انشأ الوالي اسكندر باشا جامعا في بغداد سنة ٩٧٤هـ ١٥٦٦م كما بنى الوالي مراد باشا الذى استمر حكمه ما بين سنة ٩٧٤ - ٩٨٢هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٤م جامعا آخر سماه باسمه واكمل بناءه سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م ويقع هذا الجامع في محلة الميدان . وفي سنة ٩٩١هـ / ١٥٨٣م عمر الوالي العثماني علي الوند زاده الذى استمر حكمه من ٩٨٢ - ٩٩٩هـ / ١٥٧٤ - ١٥٩٠م قبر الحسين وجامعه . واهتم الوالي جقاله زاده سنان باشا الذي استمر حكمه ما بين سنة ٩٩٩ - ١٠٠٣هـ / ١٥٩٠ - ١٥٩٤م بتعمير الاضرحة والمساجد والمدارس ، وأمر بتأسيس جامع الى جانب مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني ولم يتم اكمال هذا الجامع . وقام الوالي التالي ببناء تكية المولوية التي تعرف الان بجامع الآصفية وكان بناؤها سنة ٩٩٩هـ / ١٥٩٠م ، وبنى الى جانبها خانا ومقهى وسوقا . كما عمر هذا الوالي جامع الصاغة ، وجامع الخفافين

ومدرسته وهو في الاصل مسجد الحظائر • وذكر ان الوالي حسن باشا الذي تولى الحـكم ما بين ١٠٠٣ــ١٠١٢هـ / ١٥٩٤ــ١٦٠٣ بنى جامعـا سـماه باسمه ويسمى الان باسم جامع الوزير •

وبالاضافة الى المساجد والجوامع والمدارس السابقة فقد تم في هذه الفترة كذلك تعمير جامع الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وجامع القلعة وتكية خضر الياس للطائفة البكتاشية •

ويظهر ان المنازعات بين الولاة العثمانين قد دفعت البعض من رجال الولاية الى التحرك لوضع حد لمثل هذه المشاحنات • فقد استنجد مدير شرطة بغداد بكر صوباش بالشاه عباس الصفوى داعيا اياه الى فتح بغداد • فتقدم جيش الشاه وفتح بغداد عنوة سنة ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م ، وسيطر على معظم اجزاء القطر • ولكن السيطرة الصفوية على العراق لم تدم طويلا حيث استعد السلطان العثماني مراد الرابع لاستعادة العراق فجهز جيشا ضخماً وتقدم به سنة ١٠٤٧هـ / ١٦٣٧م فاسترد الموصل وكركوك واربيل والسليمانية ثم دخل بغداد في اواخر سنة ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م ووضع حدا نهائيا للحكم الصفوي في العراق •

اندفع الولاة العثمانيون وبتوجيه من السلطان مراد الرابع الى اصلاح القطر وتعمير جوامعه ومساجده ومدارسه ووضع حد للاضطرابات والفوضى التي كانت تسوده بسبب المنازعات والمشاحنات بين الطامعين واصحاب المصالح والمتنفذين •

وقد اشتهر من هؤلاء الولاة حسن باشا وابنه احمد باشا اللذان بذلا جهودهما لتوطيد القانون والامن وانفقا الامـوال الطائلة لبنـاء المسـاجد والمدارس •

وشيد الوالي محمد باشا الخاصكي جامعا عرف باسمه سنة ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م وتم كذلك في ايامه بناء مسجد الامام على بن ابي طالب (رض) في

النجف . وفي ايام الوالي الوزير عمر باشا ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م تم تعمير جامع الامام الاعظم وقبة ضريحه ، كما انه امر بتعمير مرقد الامام ابي يوسف وجعل له قبة ورواقا وبنى مدرسة بالقرب من جامع قمرية اشتهرت بتصميمها المتقن وهندستها الرائعة ، وقام كذلك بتعمير خان ازاد على طريق بغداد المحمودية . كما جدد هذا الوالي جامع السراي «جامع جديد حسن باشا» وذلك سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م وقام الوالي احمد اغا كتخدا سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م بتعمير الجانب الغربي من جامع حسن باشا الجلبي ، وبنى له قبة عالية ووسعه ، وهذا الجامع هو الجامع الذى يعرف اليوم بجامع الوزير . وبنى احمد اغاكتخدا ايضا سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م ما يعرف الان باسم جامع حسام المالح في بغداد . وبنى الجامع المشهور الذي يعرف بالاحمدى في بغداد ولكنه لم ينجزه وفي سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٨م تم بناء خان بني سعد وهو على الطريق بين بغداد وبعقوبة .

ولم تستمر الامور على ما كانت عليه اثناء حكم السلطان مراد الرابع فقد تغيرت الاحوال بعد وفاته وشهد العراق فترة عصيبة ، من اضطرابات وفوضى ، اثارتها المنازعات القائمة بين الدولة الايرانية والدولة العثمانية .

وكان ضعف الدولة العثمانية عاملا مشجعا للولاة وللمتنفذين في تحدى السلطة والاستقلال او اعلان الانفصال عن جسم الدولة في بعض الاقاليم البعيدة عن العاصمة وذات المواقع المشجعة على ذلك . فقد استطاع احد المماليك في العراق ان يخرج على سلطة الدولة العثمانية ويعلن استقلاله عنها ، وذلك سنة ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م وتعود قصة المماليك في العراق الى ايام الوزير والوالي حسن باشا الذى اكثر من استخدامهم في امور السلطة واستغلالهم كأداة لضرب منافسيه واعدائه . ولكن كثرتهم وتسلطهم ادى بهم الى الخروج على طاعة الدولة العثمانية التي اضطرها ضعفها الى ان تعترف بهم وان تقيم علاقات حسنة معهم .

صار العراق ايام حكم المماليك الذى استمر الى سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م

دولة شبه مستقلة واصبحت بغداد عاصمة القطر كله ، وتعتبر فترة الهيمنة المملوكية في الواقع ، من الفترات المستقرة نسبيا في العراق حيث اقام المماليك علاقات اقتصادية وعسكرية مع البلدان الخارجية وعمروا المساجد والجوامع والمدارس وغيرها . واهتموا نسبيا بالثقافة والعلوم واظهار مقدرة معينة في الحفاظ على النظام والامن .

اشتهر من المماليك سليمان باشا بأعماله العمرانية التي لم تقتصر على بغداد ، بل شملت معظم مدن القطر . فقد قام هذا الوالي بتعمير سور بغداد الذى تعرض للهدم والتخريب واكمل بناءه ، وجعل للجانب الغربي من بغداد (الكرخ) سورا وخندقا ، وبنى دار الحكومة (السراى) من جديد . وانشأ مدرسة سماها المدرسة السليمانية واودع فيها خزانة كتب نفيسة . كما امر بترميم جامع القبلانية وجامع محمد الفضل وجعل كلا منهما مدرسة ، وجدد كذلك جامع الخلفاء وطلى رأس منارة جامع الامام الاعظم بالذهب . واشتهر قصره الذى بناه لنفسه في الرصافة شمالي دار الحكومة . وهو الذى بنى قناطر دلي عباس وجمن ونارين سنة ١٢١٢هـ–١٢١٤هـ . وامر كذلك ببناء قلعة في كوت العمارة ومخازن للغلال في انحاء بدرة وجصان ، كما بنى سور مندلي وعمر سوري البصرة والحلة وبنى سورا لماردين واكثر من بناء الابنية المحكمة فيها . وشيد قلعة قرب الموصل مع ابنية اخرى .

ومن مشاهير المماليك ايضا داود باشا الذى حاول ان يحافظ على قوة دولة المماليك . ولكن المشاكل الداخلية وعلى الاخص موقف سكان البلد الاصليين المعارض للمماليك ، وتحين الدولة العثمانية الفرصة المناسبة لاسترجاع العراق كل ذلك ادى الى انهيار سلطة المماليك والى خضوع القطر للسيطرة العثمانية مجددا وكان ذلك سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م حيث نجح القائد علي رضا باشا اللاز في فتح بغداد وانهاء سلطة المماليك . وحاولت السلطة العثمانية ان تحافظ على تبعية القطر المباشرة لها لا سيما بعد ان

ازدادت اهميته بسبب توسع العلاقات مع اوربا ومستلزمات حماية المصالح والنفوذ في هذا القطر ذي الموقع الستراتيجي المهم • ولذلك راحت الدولة العثمانية ترسل الى العراق من الولاة من ينفذ لها هذا الطموح • ولا بد هنا من اشارة عاجلة الى ان الدولة العثمانية حاولت ان تمارس سلطة مركزية على القطر فقضت على الامارات المستقلة التي ظهرت خلال حكم المماليك ومن بين هذه الامارات الامارة الجليلية في الموصل والتي قضى عليها سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٣٤م • وما تزال العمارة لهذه الامارة قائمة في مدينة الموصل • وكذلك تم القضاء على امارة بهدينان العباسية وامارة راوندوز وبابان والعمادية • وفي هذه الفترة زاد الاتصال بالغرب وبدأت الدولة العثمانية خطة للاصلاح والتنظيم الاداري فظهرت الجرائد والمطابع ونشأت بذور القوى الشعبية في القطر •

كان اول ولاة العراق في هذه الفترة هو على باشا اللاز الذى كان يلقب بالوزير ايضا • ولكن سوء الحظ حالف هذا الوزير فقد اجتاح الفيضان بغداد فاغرقها وتفشى وباء الطاعون فيها وحدثت ثورة في بغداد ، مما اثر كبيرا على العمران فخربت أكثر العمارات الدينية والمدنية •

وفي سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م تم تشييد القلعة وهي وزارة الدفاع الحالية وذلك لان الولاة لم يعودوا يطمئنون الى الشعب فاخذوا يزيدون من حصانة الابنية التي كانت تشيد لهم • وفي سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م جدد ضريح الامام الحسين في كربلاء وتركز العمل في الضلع الغربي منه وفي الصحن • ويؤشر كذلك في ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م بانشاء الشكنة (التي تعرف الان بالقشلة) في عهد ولاية محمد نامق شاه ولم تكمل في عهده فقام الوالي المشهور مدحت باشا باكمالها • ومن اعمال مدحت باشا انشاء المدرسة الرشدية (وهي مدرسة ابتدائية) وجعلت هذه المدرسة كلية للحقوق فيما بعد ثم متصرفية للواء بغداد • ومن اعماله ايضا تحويل المدرسة العلية الى

مدرسة الصنائع • والمدرسة العلية هذه ، بدأ بانشائها الوالي علي باشا وذلك سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م وقد اصبحت هذه المدرسة التي حولها مدحت باشا الى مدرسة للصنائع مقرا للبرلمان بعد ان حصل العراق على استقلاله ١٩٢١م •

وقام الوالي مدحت باشا باعمال اخرى كان لها تأثيرها في حياة الشعب العراقي ولكن السلطان العثماني عزل مدحت باشا سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م • وحاول الولاة الذين تعاقبوا على ولاية العراق منذ عزل مدحت باشا والى سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م ان يصلحوا الامور ولكن دون جدوى وحاول البعض منهم مد الانشاءات والتعمير الى مدن اخرى من العراق فتم انشاء جامع في الرمادي سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م وافتتح سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م وبديء بمشروع انشاء جامع ومدرسة في المسيب من قبل مديرها ولكنه لم يكمل • وفي سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ابتديء ببناء القشلة في كركوك وبعض المباني الاخرى ، وكذلك انشيء الجسر المسمى بالجاى في كركوك سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٥م وفي سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م تم بناء قلعة عسكرية في قضاء الحي وبنيت كذلك جسور وقناطر على الانهار للوصول الى المدن الرئيسية • وفي سنة ١٣٠٤ ـ ١٨٨٦هـ ، تم تعمير أو ترميم مرقد الزبير وطلحة وأنس بن مالك في محافظة البصرة وكذلك مرقد الشيخ أحمد الرفاعي وتم تجديد مساجد ومدارس اخرى في العاصمة وبعض المدن المهمة •

وانتهى الحكم العثماني في العراق بسقوط بغداد بايدي القوات الانكليزية الغازية سنة ١٩١٧ واحتلال القطر وحكمه حكما عسكريا مباشرا استمر حتى قيام الثورة العراقية الكبرى في ربيع وصيف سنة ١٩٢٠ حيث اعقب ذلك قيام الحكم المدني الشكلي فيه باعلان فيصل بن الحسين ملكا عليه سنة ١٩٢١.

سمات ومظاهر

يقف الباحث في فنون العمارة العربية الاسـلامية باجلال واكبار امام جذرية وشمولية التغيير الذى احدثه الاسلام في حياة الامة العربية فالاسلام ثورة ، حركت ضمير الامة وطاقاتها الخلاقة التي سرعان ما ترجمت الى اعمال خوالد في تاريخ الحضارة الانسانية . وتجسيد هذا التغيير الثوري في رؤية واضحةواستيعاب شامل للظروف الذاتية والموضوعية للمرحلة ، وفهم عال لسياق حركة التاريخ واستشراف ثاقب لافاق المستقبل . واذا ما حصرنا الموضوع في فن تخطيط وبناء المدن والمساجد فاننا نرى كيف عبر المسلمون ، قيادة وقاعدة ، عن قيم ومبادىء الدين الاسلامي في اختيار المواقع وتخطيط الابنية وسمة مواصفاتها .

تقدم الجيش الاسلامي يحرر الارض من عبودية المغتصبين ، وتم خلال عدد من السنوات لا تزيد على عدد أصابع اليدين دفع المتسـلطين وتدمير امبراطوريتهم فقامت الحاجة الى اتخاذ مراكز انطلاق في الاقطار المحررة . وعندما طلب من القيادة في المدينة المنورة انشاء هذه المراكز ، اقرت القيادة ذلك واشترطت ان يكون اختيار الموقع من قبل خبراء وان يكون على طرف البادية قريباً من الماء والمرعى ولا تفصله عن الحاضرة موانع طبيعيه كالانهار والجبال . وبموجب هذا التوجيه تم اختيار موضع البصرة والكوفة ، وتكشف

التوجيهات عن الاهمية السوقية لهاتين النقطتين حيث جعلت الصحراء خط انسحاب مأمون • ولكن الأمر تغير خلال ثلاثة أرباع القرن ، وذلك عندما قرر الوالي الاموي انشاء مدينة جديدة فى العراق • فأكد على الشروط الادارية أي ان تكون وسط القطر ، والاقتصادية من زراعية وتجارية والطوبوغرافية والصحية وعدم التعرض للغرق اذا ما فاضت الانهار • وهي نفس الشروط التي اهتم بها المنصور عندما اختار المكان الذى اراد له ان يكون موضعا لمدينته الجديدة.ويعكس عدد المدن الجديدة التي تم اختيار مواقعها في العراق الثقل الاداري والسياسي والديني والاقتصادي لهذا القطر والدور القائد الذي لعبه بين اقطار العالم الاسلامي • وبعد مرور قرن بنى الخليفة المعتصم بالله عاصمة لدولته شرق دجلة وهو اول اختيار من نوعه في العراق ويمكن القول بايجاز ان اختيار مواضع المدن الجديدة فى العراق يعكس وبصورة واضحة جدا الظروف الذاتية والموضوعية للمجتمع العربي الاسلامي وتوجيه قيادته السياسية من منطلق استيعاب هذه الظروف •

تمثل تصاميم المدن العربية الاسلامية الاولى عبقرية الامة وابداعها في مختلف مجالات الحياة • فقد اوصى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بتخطيط هندسي يكشف عن علم ودراية في هذا الفن • فالمسجد الجامع هو قلب المدينة تجاوره دار ممثل الخلافة الاول وتحيط بهما ومن كل الجهات الخطط التي تفصل بينها ، اى بين كل واحدة واخرى ، شوارع متوازية عرض كل منها ٢٠ مترا وتوصل بينها ازقة بعرض ١٠ امتار • ويجب ان تؤدي جميع الشوارع الرئيسية الى قلب المدينة حيث الجامع ودار الامارة • وتنتشر في خطط المدينة ساحات مربعة طول ضلعها ٣٠ مترا •

ولم يكتف الخليفة بذلك بل اوصى ان تكون دور الناس من طابق واحد وان لا يزيد عدد الغرف في الدار الواحدة عن ثلاث • وفن تخطيط هذه سماته يكشف عن مستوى الامة الحضاري • ولم تسور المدن الاولى اي البصرة

والكوفة والفسطاط ولكن ومن منطلق الظروف الذاتية والموضوعية للأمة ، تطور التخطيط واضيفت اليه وسائل دفاعية هي الاسوار والخنادق التي تميزت بها واسط ومدينة السلام . والحقيقة ان مدينة السلام تمثل اروع ما وصل اليه فن تخطيط المدن في العالم العربي الاسلامي من حيث الاتقان والتنظيم واحكام مداخلها واسوارها وخنادقها . ومن الامور المهمة التي نلاحظها في تخطيط مدينة واسط ومدينة السلام هو ان قصر الامير في واسط وقصر الخليفة في مدينة السلام جعلا مركزا للمدينة تتقاطع عنده الشوارع الاربعة الرئيسية وصار المسجد الجامع تابعا لها كما انخفضت مساحته الى نصف مساحة القصر وهذه الظاهرة تعكس العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة المدنية انذاك . اما تخطيط سرمن رأى فيمثل مرحلة اخرى في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ويكشف أن اذابة الاطر القومية غير ممكن فكان تخطيطها بهيئة قطاعات خصص كل قطاع لامة من الامم واحتوى على سوق وحمام ومسجد وجعل الجامع وسط الاسواق الرئيسية غير بعيد عن دار الخلافة .

أكدت التحريات التي اجريت في المساجد الجامعة للبصرة وواسط ودور الامارة فيها ما جاء في الاشارات التاريخية حول اشكال هذه الابنية ، فهي مربعة ذات ابعاد معينة ولكن التعرف التام على تخطيط اى من هذه المساجد الجامعة والقصور غير ممكن بسبب جملة التجديدات والتعميرات والتوسعات التي تعرضت لها هذه الابنية . واذا ما اعتمدنا التخطيط الذي تعرفه لعدد من هذه المرافق في عصور لاحقة فانها تكشف جميعا عن نمط معمارى ساد وانتشر في العراق قبل الاسلام وظل سائدا لفترة طويلة في العصر الاسلامي الا وهو الطراز الحيري الذي ذكره الجغرافيون ومثلته الابنية العربية الاسلامية الاولى . ويختلف شكل تخطيط مسجد سرمن رأى الجامع ، عن اشكال المساجد الجامعة السابقة ولدينا صورة دقيقة عن تخطيطه وعلاقته بقصر الخليفة الذى ابتعد عن الجامع واتسعت مساحته ليضم مباني عديدة ضرورية لادارة الاقاليم الواسعة التابعة لهذه الحاضرة . على ان التطور الذى اصاب الشكل لم يؤثر

على جوهر الطراز العماري حيث تجد قصور سرمن رأى ومسجدها الجامع الطراز الحيري أيضا • ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان تأثير الفن العربي العماري قبل الاسلام قد ترك اثاره في تسوير المدن وتدعيم اسوارها بابراج ضخمة وفي هيئة مداخلها الدفاعية • فالباحث لايحتاج الى اكثر من ان يذكر مدينة الحضر العربية بشكلها شبه المستدير وسوريها الداخلي والخارجي وخندقها الذي يزيد في قوة ومنعة الاسوار المبرجة • وتتلمس هذه الصفات في مدينة السلام حتى من هيئة مداخل السور الخارجي ذات الطابع الدفاعي المميز •

استخدم العرب المسلمون مواد انشائية بسيطة في اقامة مدنهم الجديدة فاستعملوا القصب والخوص ثم اللبن والطين والطابوق والجص في فترات مختلفة وكما نعرف أن طبيعة المنطقة تلعب الدور الاساسي في فرض نوع المواد البنائية • وقد غلب استعمال اللبن والطين على مر العصور في معظم ابنية هذه المدن واقتصر استعمال الطابوق والجص على اهم مرافقها • وهذا لا يعني قطعا ان الحجر لم يستخدم في البناء فلدينا من الشواهد ما يدل على هذا الاستخدام منذ العهد الاموي وان كان قد ظل محدودا بسبب صعوبة نقل مثل هذه المواد من مناطق بعيدة •

حظي المسجد باهتمام كبير تجسد في تعيين موقعه من المدينة والعناية بتخطيطه وبنائه وتحليته من الداخل والخارج • واصل هذا الاهتمام نابع من موقع الدين الاسلامي في نفوس أبناء الامة • ففي هذا البناء تمارس شعائر الدين والتوعية بمبادئه والتثقيف السياسي والاجتماعي وغيرها من الامور التي كانت توحد كلمة الامة وترص صفوفها • فكان مسجد البصرة الجامع ومساجد الكوفة وواسط ومدينة السلام وسرمن رأى ومعظم مساجد القطر تحتل او تشغل موقعا مركزيا في هذه المدن • وكانت المساجد الجامعة الاولى مربعة الشكل اما المساجد اللاحقة فاغلبها مستطيلة •

ومنذ البداية تميز تخطيط المساجد الجامعة وصار لها نمط تخطيطي معين

لم يتغير في الجوهر بل تطور مع تطور ظروف الامة الذاتية والموضوعية .
ويتألف تخطيط معظم مساجد العراق خلال القرون الهجرية الخمسة الاولى من بيت للصلاة ومجنبتين ومؤخرة تحيط بصحن مكشوف . ويحدد بيت الصلاة عرفا بمجموعة الاساكيب والبلاطات التي تقع على جدار القبلة وتشغل مساحة واسعة من الجامع اذا ما قورنت مع المساحة التي تشغلها المجنبتان والمؤخرة . ونقصد بالاساكيب عموما الاروقة التي توازي جدار القبلة وتكون عمودية على الجدارين من جهة اليمين واليسار اما البلاطات فهي الازوقة التي تكون عمودية على جدار القبلة ويدعى ما يشغل ما بين الجدارين اللذين يوصلان بين بيت الصلاة والمؤخرة وبين الصحن ، بالمجنبتين وفي معظم مساجد هذه الحقبة تكون سعة الاساكيب والبلاطات متساوية في كل من هذه الاقسام الاربعة عدا بلاطة المحراب التي تتوسط بيت الصلاة والمؤخرة والتي يتوسطها المحراب فهي اوسع من البلاطات التي تقع يمينها ويسارها حيث نجد ذلك في معظم مساجد القطر .

ويلاحظ الباحث ان تطورا هاما قد اصاب تخطيط المساجد في القرون اللاحقة ، فنرى في مساجد القرن السادس الهجري وما بعده ان تخطيط اغلب المساجد صار يتألف من بيت للصلاة فقط يشغل القسم الجنوبي الغربي من القطعة التي يحتلها المسجد وصحن مكشوف كبير نسبيا يحيط بالمصلى احيانا من جهات ثلاث . ويحتمل جدا ان هذا التطور كان نتيجة لوجود اكثر من مسجد جامع في المدينة وبسبب الظروف المناخية خصوصا في القسم الشمالي من القطر الذى يتصف بصيف حار لاهب وشتاء بارد قارس . واصبح بيت الصلاة تبعا لذلك يتألف من مصلى شتوي يتصف بسعة بلاطة المحراب ، الى حد انها صارت تشغل اكثر من نصف مساحة المصلى الشتوى ، ومصلى صيفي ينفتح على الصحن مباشرة ويتألف في معظم مساجد العراق من اسكوب اورواق واحد ، ويشغل مساحة صغيرة نسبيا اذا ما قورنت مع مساحة بيت الصلاة الشتوي . وخير ما يمثل هذا الطراز جامع النوري ومجاهد الدين في الموصل والكواز والمرادية والخاصكي

والعاقولي والحيدرخانة في بغداد وفي بعض المدن العراقية .
وإذا ما امعن النظر في التخطيط المتطور فانه يكشف عن ان المصلى هذا صار يمثل بيت الصلاة والمجنبتين والمؤخرة في جوامع القرون الهجرية الخمسة الاولى فبلاطة المحراب صارت بمثابة بيت الصلاة الرئيس واصبحت البلاطات التي تجاورها من اليمين واليسار بمكانة المجنبتين الشرقية والغربية . اما المصلى الصيفي فيعوض عن المؤخرة . وانتشار هذا التخطيط المتطور لا يعني قطعا اختفاء التصاميم التي سادت في البداية فاننا نجد ان مساجد البصرة والكوفة وواسط ظلت على ما هي عليه حيث لم يجرؤ من امر بتجديدها او صيانتها على تغيير تخطيطها الاول . وبسبب موقع اقليم العراق الجغرافي بالنسبة الى مكة المكرمة فان جميع مساجد العراق تتشابه في اتجاهات جدرانها بالنسبة الى الجهات الاربعة . فجدار القبلة فيها يتجه نحو الجنوب الغربي وجدار المؤخرة نحو الشمال الشرقي اما جدار المجنبتين فأحدهما باتجاه الجنوب الشرقي والاخر في اتجاه الشمال الغربي . ويشغل بيت الصلاة في معظم الاحيان جدار القبلة واحيانا الوسط منه فقط .

يكشف بناء المساجد عن ان ابرع المهندسين قد قاموا بتخطيطها وتصميمها ، وان اشهر المعمارين قد اشرفوا على بنائها وهندستها وان اجود المواد الانشائية قد استعملت في بنائها لذا فان اغلب هذه المساجد قاومت عوامل التخريب والتهديم وظلت شامخة تحكي لنا قصة هذا الفن العماري الرائع الذي تميز بأصالة واضحة وتطور متوازن خلال العصور المختلفة . اتسمت ابنية مساجد المدن الجديدة بضخامة جدرانها وارتفاعها النسبي وتدعيمها بابراج نصف اسطوانية تجلس على قواعد مستطيلة وابراج اركان شبه مستديرة تستند على قواعد مربعة واستخدام هذه الجدران المبرجة هو حل للمساحات الشاسعة التي كانت تشغلها تلك المساجد مثل جامع المتوكل في سرمن رأي . وكانت سقوف هذه المجموعة مستوية تسندها دعامات واعمدة متصلة مع بعضها عن طريق اقواس وعقود ترفع الجسور البنائية التي يجلس عليها السقف . وترسم صفوف هذه الدعامات والاعمدة تقسيم

السقوف من الجامع الى بلاطات واساكيب واروقة . وكانت الاعمدة الرخامية التي استخدمت في جامع الكوفة ذات ابدان اسطوانية رشيقة وتيجان وقواعد جميلة وقد نقشت الاعمدة الاسطوانية الحجرية التي رفعت سقوف جامع الحجاج باروع الزخارف النباتية . اما دعامات جامع المتوكل المثمنة فقد زينت باعمدة رخامية اسطوانية رشيقة في اركان القاعدة الرباعية التي تجلس عليها الدعامة . ولم تستخدم الابراج في جدران المساجد الجامعة التي انشئت بعد القرن الخامس الهجرى وهذا ناتج عن صغر هذه المساجد وعدم ارتفاع جدرانها الى مستوى ارتفاع جدران المساجد الاولى . وزينت هذه الجدران من الداخل والخارج بمشاك ذات اشكال مختلفة ونوافذ ذات عقود متنوعة لتدخل النور الى الاجزاء المسقوفة فيها .

تحيط الاقسام المسقوفة في المساجد الجامعة الاولى بصحن مكشوف ، مربع او مستطيل ، وتطل عليه ببوائك مفتوحة تكون عقودها موازية للجدران التي تؤدي اليها . اما فى المساجد المتطورة فان المصلى الصيفي هو الذي يطل على الصحن ببوائك مفتوحة فقط .

يتوسط المحراب جدار القبلة في جميع المساجد . وهذا العنصر المعماري عبارة عن حنية ذات عقد معين تغور في جدار القبلة . وليس هناك من شك فى ان وظيفة حنية المحراب هي تضخيم صوت الامام وايصاله الى كافة انحاء بيت الصلاة لذا نرى حنايا محاريب بيوت الصلاة الواسعة جدا تكون عالية ومركبة من حنيتين متتاليتين كما هو الامر في جامع المتوكل والنوري ومجاهد الدين . فهذا العنصر هنا اذن جديد وغير مقتبس من ابنية دينية سابقة ونظرا لاهمية المحراب فقد صرفت جهود كبيرة في اتقانه وتحليته بالزخارف . وتضم مساجد القطر أنفس مجموعة من هذه المحاريب مثل محراب الخاصكي والنوري ومجاهد الدين وغيرها . ويجاور المحاريب بناء ذو تصميم معين يدعى بالمنبر وهو مخصص للخطيب اي خطيب يوم الجمعة ، واقدم المحاريب هو محراب مسجد قصر الاخيضر اما اقدم المنابر الباقية فهو منبر جامع

ابي دلف ، والمعروف ان المحاريب ادخلت في المساجد في بداية العهد الاموي أما المنابر فقد اضيفت في زمن النبي (ص) والأموي ايضا وبالاضافة الى ذلك تضـم بيوت الصـلاة مقاصير ويرجع قـدم هـذه المقاصـير الى زمن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان او الى زمن الخليفة الاموي معاوية بن أبي سفيان واضافة هذه المقصورة الى المسجد قديم قدم المحراب والمنبر ..

وكان الدافع الى ايصال صوت المؤذن الى سكان المدينة هو الاساس في بناء ماذن للمساجد فهي مبتكرة غير مقتبسة . وتشير المعلومات المتوفرة لدينا ان المساجد الاولى ، اي مساجد عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ، لم تكن لها مآذن وان الاذان كان يرفع من اي مكان مرتفع عندما يحين موعد الصلاة . ولكن اتساع المدن الجديدة ادى بالضرورة الى بناء ابراج مرتفعة للمساجد لاعلان مواعيد اقامة الصلوات الخمس ، دعيت بالماذن . وكشفت التحريات التي اجريت في المسجد الجامع بالبصرة القديمة عن قواعد حجرية فيه لمأذنتين بنيتا ايام زياد بن ابيه الذي وسع واعاد بناء هـذا الجـامع . وهاتان القاعدتان هما اول واقدم دليل على هذا العنصر المعماري في المساجد .

أما اقدم ماذن العراق الشاخصة فهي مأذنة جامع المتوكل في سامراء وتتصف مآذن العراق بتنوع في أشكال قواعدها وأبدانها ورؤوسها والمقرنصات الزخرفية التي تزينها . فجميع قواعدها مضلعة بين مربعة مثل قواعد ماذن جامع المتوكل وابي دلف وعنه والنوري وغيرها ، ومثمنة مثل مأذنة سنجار واربيل وداقوق وغيرها ومسدسة ثم اثني عشرية مثل قاعدة مأذنة سوق الغزل وتزين معظم القواعد بتحليات من حنايا ومشـاك وتشـكيلات زخرفية مختلفة . اما الابدان فبعضها حلزوني مثل مأذنة جامع المتوكل وابي دلف ومثمن مثل مأذنة عنه ثم اسطواني وهو الغالب المميز في جميع مآذن العراق . وهذه الابدان الاسطوانية تتباين في ارتفاعها ورشاقتها والتحليات الزخرفية التي تزينها واغلبها ذات حوض واحد يكون الصعود اليه بواسطة سلم حلزوني أو سلمين يدوران داخل البدن . ومن ذوات الحوضين مأذنة سوق الغزل وهي فريدة في

ذلك ويحتمل أن تكون مأذنة سنجار وأربيل وداقوق ذوات حوضين أيضا ورقاب هذه المآذن رشيقة اذا ما قورنت بالابدان ، وهي متوجة جميعا برؤوس نصف كروية مدببة أو مضلعة في الغالب • ويرتبط بالمآذن نشوء وتطور عنصر معماري مبتكر هو المقرنصات، وفن القرنصة ابتكار عربي اسلامي صرف لم يك معروفا قبل العصر الاسلامي ومما لا شك فيه ان توصل المعمار العربي المسلم الى ايجاد قاعدة او مسند لبناء يبرز عن مستوى وجه الجدار هو اصل وبداية هذا الابداع • وقد حصل على ذلك عن طريق جعل رؤوس الحنايا ذات العقود المدببة تبرز الى الامام قليلا لتوفر القاعدة او المسند المطلوب • ونجد اقدم الامثلة لذلك في مأذنة سنجار اذ نشاهد صفا من حنايا صغيرة تدور حول قمة القاعدة وتبرز رؤوسها الى الامام حيث تجلس عليها قاعدة حوض او حافة القاعدة من الاعلى ، تطور هذا العنصر المعماري شأنه شأن بقية العناصر العمارية الاخرى فزيد عدد صفوف الحنايا الى ثلاثة في ماذن نهاية القرن السادس الهجري والنصف الاول من القرن السابع الهجري خصوصا في مآذن بغداد العباسية ، وتداخلت مع بعضها في تكوينات تركيبية هدفت الى زيادة بروز قواعد الاحواض وتوفير مساند قوية لها • واروع الامثلة لهذه المقرنصات تلك التي تسند حوض مأذنة جامع الكواز في البصرة والتي تشكل وحداتها المتتابعة ما يشبه العقود المفصصة • وقد تعددت صفوف المقرنصات وزاد عددها على الخمس في بعض المآذن وصاحب ذلك اتقان في التكوين ودقة في التركيب • وشغلت بطون حنايا هذه التكوينات العمارية تشكيلات زخرفية متنوعة في اشكالها ومختلفة في عملها وهي امتداد للتشكيلات التي تحلي الابدان • وتطورت المقرنصات نفسها الى تركيبات زخرفية تزين بواطن حنايا المداخل والنوافذ وباشكال عنقوديه جميلة بارزة بهيئة تكعيبات ذات تكوينات معينة وقد ساد هذا الفن في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وما بعده •

والقبة من العناصر المعمارية البارزة في المساجد ويمكن اعتبار ابتداء

هذا العنصر امتداداً لحنية المحراب لزيادة قوة صوت الامام وايصاله الى كافة انحاء بيت الصلاة لذا نجدها في البداية عبارة عن قبة صغيرة تغطي المربع الاول من تقاطع اسكوب المحراب مع بلاطة المحراب وتشكل سقفا لهذا الجزء الذي يتقدم المحراب مباشرة يكون أقرب تقبية لحنية المحراب وأقدم مثال لهذا النوع من القباب هو قبة جامع النوري في الموصل رغم ان القبة الحالية مجددة فمن المحتمل جدا انها اصلية • ومع تطور سعة بلاطة المحراب واشغالها لجزء كبير في المصلى الشتوي في المساجد التي أنشئت بعد جامع النوري استخدمت القباب الكبيرة لتغطية هذه البلاطة وهنا كان اصل قباب المساجد الكبيرة التي صارت السمة المميزة لعدد كبير من مساجد العراق الاثرية • وقبة جامع مجاهد الدين هي اقدم الأمثلة القائمة لهذا النوع من القباب • واصبحت وظيفة القبة هنا تغطية بلاطة المحراب بهيئة سقف مرتفع لها ، بعد ان فقدت وظيفتها الاولى ، أي زيادة قوة صوت الامام • ومن هذا المنطلق تعتبر قبة جامع مجاهد الدين من القباب المهمة في تاريخ العمارة العربية الاسلامية في العراق • ونجد مثل هذه القبة في جامع المرادية والحيدرخانة وقباب مساجد العراق متنوعة الاشكال والاحجام ومختلفة في طول رقابها والمرحلة التحويلية فيها • ويعم هنا الشكل النصف الكروي المدبب كانعكاس لسيادة الاقواس المدببة • فبعضها ذات اشكال مفلطحة مدببة الرأس تمثل العقد المدبب المنفرج • والبعض الآخر ذات أشكال بصلية مثل قبة جامع الحيدرخانة وهذا ناتج من استخدام للأقواس المدببة المنفوخة والذي نريد ان نقوله ان القباب ذات الشكل النصف الكروي تماماً غير سائدة في قباب الاقليم العراقي • وتتفاوت اطوال رقاب هذه القباب فبعضها ذوات رقاب قصيرة مثل قبة جامع المرادية وبعضها يتصف برقاب طويلة حيث يزداد تبعا لذلك ارتفاع القبة مثل قبة جامع الحيدرخانة وغالبا ما تخترق مثل هذه الرقاب نوافذ وتحليات متنوعة ويمتاز البعض الاخر منها بارتفاع مرحلة تحويل المربع الى مثمن لغرض تهيئة قاعدة مناسبة للقبة وقد يبالغ في ذلك احيانا مثل قبة جامع مجاهد الدين حيث يزيد ارتفاع مرحلة التحويل هذه

على ارتفاع الرقبة فيساعد بدوره في زيادة ارتفاعها .

ولم يقتصر استخدام القبة لتغطية بلاطة المحراب فقط بل استخدمت لتغطية بقية اجزاء المصلى ، سواء كان شتويا ام صيفيا ، ونجد هذا النمط في التسقيف قد ساد وعم في مساجد القرن السادس الهجري وما بعده اي في جامع النوري ومجاهد الدين والمرادية والحيدرخانة وغيرها . وغالبا ما تكون هذه القباب صغيرة ومفلطحة ولا تبرز كثيرا عن مستوي سطح بيت الصلاة .

ومما يلاحظ ان القباب الرئيسية قد زينت باشكال زخرفية متنوعة وتم التركيز في هذه التحلية على القباب من الخارج وهذا النوع من المظهرية نجده في معظم مساجد القرن السادس الهجري وما بعده . ومثل المآذن حليت بعض القباب بالتفنن في صف الطابوق والطابوق المزجج ، واستخدم في تغطية بعضها الواح قاشانية ذات زخارف نباتية دقيقة ورائعة مثل قبة جامع الحيدرخانة . وزينت الرقاب ايضا بكتابات والواح قاشانية متقنة الزخارف . وادى هذا التركيز الزخرفي في القباب من الخارج الى هذه المظهرية . ولم يعن كثيرا بتحلية القباب من الداخل ومعظم قباب مساجد العراق خالية من التشكيلات الزخرفية الا فى حالات قليلة حيث شغلت الحنايا الركنية بمقرنصات ذات طابع زخرفي وطوقت بعض الرقاب بكتابات تذكارية .

العقد المدبب ابتكار عربي اسلامي صرف وهو بحق ابرز العناصر المعمارية واكثرها استعمالا وتنوعا في مساجد العراق . ويعرف هذا النوع بالعقد او القوس العربي في اللغات الاوربية واقدم مثل معروف له في قصر الاخيضر ثم المساجد التي تعود في تاريخها الى القرن الثالث الهجري ، كالعقد المدبب في حنايا جامع المتوكل وعقود مسجد ابي دلف . ويتميز هذا العقد بقابلية معينة ، في تحمل ثقل البناء الذي يرتكز عليه ، ومثل بقية العناصر

المعمارية تطور هذا العقد مع تطور التكوين العماري وتعقيده على مر العصور. وأول أشكال هذا التطور هو العقد المفصص الذي يتوج منافذ جدار القبلة في مصلى جامع المتوكل في سر من رأى واستخدم فيما بعد في عدد من مساجد العراق. واتخذ العقد المدبب شكلا آخر هو ما يدعى بالقوس المدني الذي نجده في مشاكي جامع ابي دلف . واهم مشتقات العقد المدبب القوس الذي يسمى بالعقد المنفرج ، وقد استخدم هذا العقد لتهيئة جسر لبلاطة عريضة نسبيا او اسكوب عريض حيث نجد مثل هذه العقود توصل بين دعامات بيوت صلاة مساجد القرن السادس الهجري وما بعده خصوصا بعد ان زاد اتساع بلاطة المحراب وزاد عرض البلاطات المجاورة لها فصار من الضروري ان يتسع العقد ليوصل بين الدعامات . واستخدم هذا العقد في بيوت صلاة جامع مجاهد الدين والحظائر وقمرية والمرادية وغيرها . ونجد العقد المدبب منتفخا او مطولا ليقوم بوظيفة استوجبها التكوين العماري للبناء .

تشير جملة التشكيلات الزخرفية التي تحلي المساجد ، ومنذ البداية ، الى نظرية جمالية لاتباع الدين الجديد فلم يتردد بناة هذه المرافق الدينية عن تحليتها بما لا يقف ضده دين الله « الاسلام » ، ويتناسب مع الهدف الاساسي الذي بنيت من اجله هذه البيوت . وقد زينت المساجد الاولى مثل مسجد قصر الاخيضر وجامع المتوكل وابي دلف بتشكيلات من زخارف هندسية محفورة على الجص وأشكال من حنايا ونوافذ ومشاكي كان لها وظائف اخرى بالاضافة الى قيمتها الجمالية . فنوافذ جدار القبلة في جامع المتوكل وحنايا قاعدة المأذنة ذات العقود المدببة وحنايا قمة المأذنة ذات العقود المدببة والاعمدة المندمجة هي تحليات زخرفية ولكنها تشير بنفس الوقت الى هوية البناية حيث صممت حنايا القاعدة والقمة على غرار حنية المحراب فهي اذن علامة من علامات هوية البناء ومشاكي قاعدة مأذنة جامع ابي دلف وقمتها وتلك التي تزين الجدران التي تطل على الصحن هي ايضا من هذه العلامات . ان جميع هذه المشاكي عبارة عن اشكال مصغرة لهيئة محراب الجامع والذي

نريد ان نؤكده هو ان هذه العناصر الزخرفية لها اكثر من وظيفة وهي بنفس الوقت عبارة عن تطوير للعناصر المعمارية الى اشكال زخرفية لتتناسب وتنسجم مع عناصر البناء المعمارية وتزيد من جماله وتمثل هذا التطوير ذكـاء وابداع المعمار والمهندس العربي المسلم الذي لم يسبقه في مثل هذا الابتكار اى من المعماريين القدامى .

ولم تتوقف التشكيلات الزخرفية عند هذا الحد بل نجدها تتطور وتنمو وتزدهر بسرعة ونلاحظ تنوعا كبيراً في الاشكال ، واتقانا واضحا في التنفيذ وتنوعا بارزا في التقنيات والملاحظ ان الاقبال قد زاد على تحلية المساجد من الخارج فنجد هذه التحليات تغطي المآذن والقباب والجدران والواجهات وتقتصر التحلية من الداخل على المحراب وأجزاء من جدار القبلة . فالتنافس بين ملوك الاقاليم وسلاطينها ومحاولاتهم الظهور بمظهر يضاهي خليفة بغداد في القرنين السادس والسابع الهجريين هو العامل الاهم ، على ما نعتقد ، في هذه المظهرية حيث بذلت جهود جبارة في تغطية مساحات واسعة من ابنية المساجد بتشكيلات زخرفية كلفت أموالا كثيرة . ويجسد جامع النوري هذا الاتجاه فقد كسيت مأذنته باروع التشكيلات الزخرفية الناتجة من التفنن في صف الطابوق العادي والمقصوص والمنجور . وفن صف الطابوق ابتكار عربي صرف نجد امثلته الاولى في قصر الاخيضر ونضوجه التام في حدباء الموصل . وفي نفس الجامع نجد اروع تحفة من تحف الحفر على الرخام فقد نقش محرابه الرخامي بأدق الزخارف النباتية الفاخرة واستند عقد حنيته على اعمدة حلزونية مندمجة تذكرنا زخارفه النباتية بمحراب جامع الخاصكي الذي يحتمل جدا انه محراب جامع مدينة السلام (جامع المنصور) وبالاضافة الى ذلك زينت اجزاء من جدار قبلة هذا الجامع اى جامع النوري بتشكيلة من الزخارف المحفورة على الجص بطريقة رائعة وتتداخل فيها كتابات كوفية مع اشكال نباتية وهندسية وتعتبر اللوحة التي اكتشفت قبل سنوات من أجمل التشكيلات التي تمثل الرقش العربي وبكل معـــاني الكلمة . واذا ما

اعتبرنا هذه التشكيلات الزخرفية التي تحلي جامع النوري من اجمل التشكيلات فانها تشير الى مستوى الازدهار الذي وصلت اليه الفنون العربية الزخرفية عند نهاية القرن السادس الهجري •

وبرع الفنان او الصانع العربي المسلم في استخدام العناصر المعمارية لاغراض التحلية والتزيين كما برع في استخدام الكتابة للتحلية بالاضافة الى تثبيت الحقائق والاخبار عن البناء الذي نقشها او ثبتها عليه • وهذه الطريقة مبتكرة ولم يسبق في عصور ما قبل الاسلام ان استخدمت الكتابات لاغراض التحلية • وتفنن الصناع العرب في اتقان خطوط هـــذه الكتابات وقولبتها بما يتناسب مع التشكيلات الزخرفية الاخرى •

وقد تنوعت خطوط هذه الكتابات ، مثل تنوع الاشـــكال الهندسية والنباتية ، فنجد بعضها بخط الثلث وبعضها بخط كوفي والبعض الآخر بخط النسخ وغيرها من الخطوط التي كتب بهـا العـرب المسـلمون • ولم يقتصر الامر على ذلك بل تعداه الى تزيين حروف هذه الكتابات باشكال زخرفية حيث تضفر الحروف احيانا وتتبعج نهاياتها احيانا اخرى مشكلة اوراقا وازهارا • وتتداخل هذه الكتابات في بعض الاحيان مع الاشكال الهندسية والعناصر النباتية في تناسق بديع مشكلة أجمل لوحات الرقش العربي • وتمثل مجموع الكتابات التذكارية التي تزين الآن مأذنة سنجار وجامع النوري ومأذنة باب الدير ومأذنة جامع الكواز وجامع الكفل ومأذنة الخاصكي وجامع الحيدرخانة تطور الخط العربي وتنوعه • وقـد نفـذت هـذه الكتابات بتقنيات مختلفـة ومن مواد مختلفة ايضا •

كان الاقبال كبيرا على استخدام الاشكال الهندسية في فنون التحلية والتزيين في المساجد بصورة عامة وهذا الفن معروف قبل الاسلام ولكن الفنان المسلم طوره الى ابعد الحدود • ويلاحظ ان هذه الاشكال قد تنوعت وخصوصا بعد القرن الخامس الهجري • نشاهد ذلك في أشكال المعينات والمسـتديرات والمضلعات والاشكال الاخرى التي تغطي اجزاء واسعة من مأذن وجدران

المساجد . وتتمثل روعة التطور الذي اصاب الاشكال في التداخل المتقن المتناسق فيما بينها ومع الاشكال النباتية والكتابية التي استخدمت احيانا كحشوات لاشغال الاشكال الهندسية او بهيئة حواف لها . وتعكس الاطباق النجمية التي انتشرت في القرنين السابع والثامن الهجريين مدى التداخل والتنوع والتشعب الذي وصلت اليه الاشكال الهندسية كعنصر زخرفي يمكن ان يقولب ليعبر عن قيم جمالية يحس بها الفنان ويتذوقها المشاهد . وقد نفذت الاشكال الهندسية ، مثل الكتابات بتقنيات متنوعة ومواد مختلفة . وتظهر قدرة الفنان العربي هنا في استيعاب وهضم الاشكال السابقة ليجعل منها طرازاً جديداً ومميزا .

وتكشف مساجد القطر الاثرية عن عدم الميل الى استعمال الاشكال النباتية في التحليات الفنية ، اذا ما استثنينا اعمدة جامع البصرة والكوفة وواسط . ولكن استخدام هذه الاشكال قد ازدهر في ابنية اخرى غير المساجد كالقصور بالدرجة الاولى . ونرى أيضا ان التشكيلات النباتية المحفورة على الجص والمرمر قد وصلت مرحلة عالية من التطور في تحليات بيت صلاة جامع النوري ومجاهدالدين . ويحتمل جدا ان معظم المساجد قد حليت بمثل هذه التشكيلات النباتية خصوصا مساجد القرون السادسة والسابعة والثامنة الهجرية ولكن كثرة التعميرات والاكساءات وتهدم عدد من هذه المساجد قد ادى الى اختفاء هذه التشكيلات . وبالاضافة الى ذلك فان نوع المادة النباتية يؤثر تأثيرا مباشرا على نوع العناصر الزخرفية التي تناسب تلك المادة . واذا ما عرفنا ان معظم مساجد القطر قد شيدت بالطابوق فان الامريكون واضحا حيث يصعب حفر الفروع النباتية على مثل هذه المادة خصوصا اذا كانت المساحات التي يراد تحليتها غير صغيرة . ومع ذلك يزداد الاقبال على التشكيلات الزخرفية النباتية خلال القرن الثامن الهجري في المساجد حيث نقشت اغلبها على الطابوق بطريقة الحفر المفرغ . وكان توصل الفنان العربي الى استخدام الواح القاشاني في تحلية المساجد عاملا مهما في ازدهار التشكيلات النباتية التي

تنوعت اشكالها وزاد اتقانها وتباينت الوانها • واروع ما يمثل الزخارف النباتية المعمولة بطريقة التفريغ ما تبقى من مآذن العصر الايلخاني والجلائري مثل مأذنة سوق الغزل ومأذنة الكفل • اما اجمل الزخارف النباتية المعمولة على ألواح القاشاني فتشاهد في مأذنة جامع المرادية وقبة جامع الحيدرخانة حيث بلغت هذه الزخارف الذروة في التنوع والاتقان وتنسيق التداخل مع الاشكال الهندسية والكتابية • ان العناصر النباتية في التحلية معروفة قبل الاسلام ايضا ولكن الفنان العربي استوعبها واخرجها في طراز جديد ينسجم مع عقيدته ولا يتنافر مع الاشكال الزخرفية الاخرى بل يكملها ويتداخل معها في قوالب متميزة هي قوالب الرقش العربي •

ورب سائل يسأل ، بعد ان يقرأ موضوع الاشكال الزخرفية سواء كانت مشتقة من عناصر معمارية او هندسية ، كتابية ونباتية ، لماذا لم يستخدم الفنان العربي رسوم الانسان والحيوان والطير في تحلية المساجد ؟ الجواب ، ان الفنان امتنع عن ذلك تقيدا بفتاوى عدد من الفقهاء المسلمين المتشددين • الحقيقة هي انه ليس في القرآن الكريم ما يحرم عمل التصاوير واستخدام رسوم ذوات الارواح في تحلية بيوت الله • لكن فتاوى الفقهاء قائمة على عدد من الاحاديث النبوية الشريفة التي تحرم التصاوير بصورة شاملة واستخدامها لاي غرض وفي اي مكان • وتتحدث اقوال الرسول (ص) عن العقاب الذي يصيب صانع التصاوير ومستعملها ومشاهدها يوم القيامة ومن هذه الاحاديث « من صور صورة في الدنيا كلف ان ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ » و « لا تدخل الملائكة بيتا فيه الصورة و ••• » ويعني ذلك ان مشاهد الصورة يجب عليه ان يتلفها وان لم يقدر فعليه بمغادرة المكان الذي هي فيه وقد اختلف المفكرون من رجال الدين حول تحديدات هذه الاحاديث المكانية والزمانية • ونتج عن ذلك سلسلة من الفتاوي منذ عهد التابعين الى يومنا هذا • على اننا نجد بجانب هذه الفتاوى سلسلة من النتاجات الفنية لاشكال ذوات الارواح منذ العهد الاموي حتى الآن ، ولكن خارج المساجد ، ويعكس هذا الامر التناقض بين

النظرية والممارسة من جهة والتمسك بفتاوى الفقهاء في مجالات محدودة من جهة اخرى ، والواقع ليس هناك من قول للرسول الاعظم يدل على ان الاحاديث قصد بها غير التصاوير التي تعبد من دون الله ، ونبذ فكرة وطقوس الوثنية التي استأصلها الاسلام • اما اصحاب فتاوى التحريم فيرون ان عمل هذه التصاوير ، خصوصا رسوم ذوات الارواح فيه مضاهاة لخلق الله ، ذلك ان المصور مطالب بنفخ الروح في التصاوير التي عملها يوم القيامة •

وعلى أية حال ابدع الصناع والفنانون العرب المسلمون في صناعة هذه التشكيلات الزخرفية • وابرز ما توصلوا اليه في البداية هو الحصول على اشكال هندسية عن طريق التفنن في صف الطابوق • واقدم الامثلة المعروفة لهذه التقنية الجديدة تلك التي تزين اجزاء من ابنية قصر الاخيضر ، كما ذكرنا ، فقد كانت الاشكال الهندسية محدودة والمساحات التي تشغلها صغيرة نسبيا ، وسرعان ما اتسع استخدام هذه التقنية وتطورت الاشكال الناتجة عنها ايضا ونجد اروع الامثلة له في حدباء جامع النوري حيث تنوعت الاشكال الى درجة كبيرة واتسعت المساحات التي زينت بنقوش ناتجة من التفنن في صف الطابوق ، فنرى تشكيلات حصيرية ومعينات واشكالا هندسية مختلفة على مستويات متباينة وفي تناسق تام • وظل هذا الفن سائدا الى يومنا هذا وقد اصابه تطور معين هو استخدام الطابوق المزجج وباحجام مختلفة للحصول على التشكيلات الهندسية المطلوبة ، واستخدام الطابوق المزجج بدأ قبل نهاية القرن السادس الهجري وزاد الاقبال عليه خلال القرون اللاحقة ، عدا الفترة الايلخانية ثم بلغ ذروته في القرن العاشر وذلك في مأذنة جامع الكواز في البصرة حيث استخدم الطابوق المزجج المتنوع الالوان في الحصول على الكتابات الكوفية بالاضافة الى الاشكال الهندسية التقليدية • ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل نرى ان الاشكال الهندسية والنباتية والكتابية اخذت تنقش على القراميد القاشانية التي نعتقد انها تطور جديد للطابوق المزجج الذي يتسم بشكله المستطيل بصورة عامة والذي يصعب في بعض الاحيان ان تنقش عليه الزخارف تزجيجا ، مما دفع

الصناع العرب المسلمين الى تطوير الطابوق المزجج الى قراميد قاشانية تصلح للتشكيلات الزخرفية النباتية والهندسية والكتابية التي تنفذ عليها بموجب تصميم معين حيث تطورت التقنية ايضا وصار بالامكان الحصول على تشكيلات واسعة لاي عنصر زخرفي او مجموعة عناصر زخرفية .

واروع امثلة التشكيلات الزخرفية المعمولة من قراميد قاشانية تلك التي تزين مأذنة جامع المرادية وقبة جامع الحيدرخانة وغيرها . وساعد استخدام الطابوق في تشييد اغلب الابنية على ازدهار هذه المهارة واستمرارها وتطورها على مر العصور . فقد ثبت ان اصلح مادة انشائية للعراق هي الطابوق والجص . كما ساهمت اشكال الطابوق الهندسية في هذه العملية ايضا . ويحتمل جدا ان الاتجاه المظهري في زيادة جاذبية مظهر المساجد والمساجد الجامعة والتفنن في ذلك كان له الاثر الفعال في ازدهار هذه التقنية وتطورها حيث كسيت معظم الاجزاء الخارجية بالطابوق ثم غطيت بكسوة جصية في معظم الحالات لا نعدام الحاجة اليها .

وساعدت طبيعة الطابوق على تنوع الاشكال الزخرفية المعمولة منه وعليه ، ونجح الصناع في قص الطابوق ونجره في أشكال معينة وبموجب تصميم معين. وهذه طريقة جديدة ايضا ابتدعها الصناع الفنانون وتوصلوا الى تكوينات متقنة جديدة واشكال هندسية متنوعة . واقدم الامثلة لهذه الطريقة هي الاشكال الهندسية التي تزين حنايا قاعدة مأذنة سنجار . وقد تطورت هذه الطريقة وزاد الاقبال عليها في تحلية المساجد ومآذنها وخصوصا الاقسام الخارجية منها فنجدها في مآذن الحدباء والمظفرية وداقوق ومآذن الفترة الايلخانية . وتتميز الاشكال الزخرفية المعمولة بهذه الطريقة بانها ذات مستوى واحد ومثبتة على طبقة من الجص . وتغلب فيها الاشكال الهندسية وصارت تعمل ايضا في طابوق مزجج وفي هذه الحالة تقص الاشكال المطلوبة اولا ثم تزجج وتستخدم بعد ذلك في تكوين الاشكال المطلوبة . ويحتمل جدا ان هذا الاسلوب أو التقنية هو في الاساس تقليد لفن التطعيم الذي استخدم في

التحف المعدنية والخشبية والحجرية بعض الاحيان .

وتفنن الصناع المهرة في ابتكار عدة تقنيات لاستخدام الطابوق فبالاضافة الى التشكيلات الناتجة من التفنن في صف الطابوق وتلك التي تعمل بقص ونجر الطابوق بموجب تصاميم معلومة توصل الصناع الى نقش التشـــكيلات بهيئة خاسفة ، وذلك ان ترسم التصاميم على لوحة تتألف من عدد من الطابوق ثم تحفر الفراغات بين الاشكال حيث تبرز هذه الاشكال وكأنها مفروشة على أرضية خاسفة . على ان طريقة حفر الاشكال الزخرفية هذه ليســت جديدة تماما . فقد كانت معروفة قبل الاسلام ولكنها كانت مقتصرة على حفر الزخارف على الحجر والجص فالجديد هنا هو استخدام الطابوق كمادة تحفر عليها هذه الزخارف . ويحتمل جدا ان التقنيات السابقة كانت مستخدمة للحصول على الاشكال الهندسية واشكال كتابية بخط معين . اما الاشكال النباتية فيصعب الحصول عليها باستخدام التقنيتين الســابقتين لذا تم اسـتخدام الطابوق في الحصول على الاشكال النبــاتية في وقت متأخر نســبيا اذا ما قورن مع التقنيات السابقة . واقدم الامثلة للزخارف المحفورة تجسيما على الطابوق هي تلك التي تزين اجزاء محدودة جدا من مأذنة الحدباء في الموصل . ولكن الاقبال زاد على ذلك خلال القرن السابع والثامن الهجريين وبلغ الذروة في مأذنة سوق الغزل في بغداد ، وسادت الاشكال النباتية في هذا النوع من الزخارف وتشابكت مع الاشكال الهندسية التي استخدمت كاطر لها وتداخلت ايضا مع الكتابات وبخطوط مختلفة ايضا .

وتتجسد عبقرية الصناع المهرة العرب في تقنية جديدة تماما في صناعة الزخارف بانواعها المختلفة . وهذه التقنية هي حفر الزخارف بطريقة التفريغ وهي صورة معكوسة لحفر التشكيلات الزخرفية المجسمة . وهنا نرى ايضا هذه التقنية تستخدم الطابوق كمادة أســاسية لنقش التشكيلات الزخرفية وبموجب تكوين معين . ونلاحظ ان اغلب الاشكال المفرغة هي عناصر نباتية تستخدم كحشوات للاشكال الهندسية او للاشكال المعمارية الزخرفية وتطورت

هذه التقنيـة بسرعة فتنوعت مسـتويات الزخارف المفرغـة واصـبحت بعض التشكيلات المفرغة تصنع فوق ارضية من زخارف مفرغة دقيقة فتظهر وكأنها ، اى الزخارف الاساسية قائمة على مشبكات تشبه خلايا النحل في تجسيمها وجمال مظهرها .

واقدم الامثلة المتبقية في صناعة هذه التقنية هي تلك التي تحدد الاشكال المعينية التي تزين بدن مأذنة المكيطيمة في اليوسفية والتي تنسب الى نهاية القرن السادس الهجري . ثم نرى المثال الآخر وبهيئة حشوات ، تشغل بطون حنايا مقرنصات مأذنة جامع باب الدير في بغداد والتي تعود الى سنة ٦١٢هـ والاشكال الزخرفية المفرغة في مأذنة المكيطيمة عبارة عن نجيمات رباعية مفرغة على ارباع طابوق اما التي تزين مأذنة جامع الحظائر فيسود فيها العنصر النباتي .
وقد تطورت هذه التقنية بسرعة وبلغت الذروة خلال الربع الثاني من القرن السابع الهجري كما نراها في التشكيلات الزخرفية المكتشفة حديثا في جامع البصرة القديم والتي تشير الى التجديدات التي امر بها الخليفة المستنصر بالله فنجد في هذه التشكيلات التداخل والتناسق والانسجام بين الاشكال النباتية والهندسـية والكتابات المنقوشـة بطريقة متقنة للغاية وقد جعلت الكتابات الكوفية المضفورة على ارضية من الزخارف النباتية المفرغة الدقيقة وتعقدت اشكال هذه الزخارف المفرغة وتباينت مستوياتها وتداخلت فيها الاشكال الهندسية النباتية في العصر الايلخاني ممثلة في التحليات التي تزين مأذنة سوق الغزل . ولم يكن الاقبال عليها شديدا بعد القرن الثامن الهجري حيث طغت الاشكال الناتجة من التفنن في صف الطابوق المزجج والقراميد القاشانية .

وتجدر الاشارة هنا الى اننا نجد نتاجات هذه التقنيات المختلفة مجتمعة في بعض المساجد لتحلية قبة او بيت صلاة او محراب او منبر او مأذنة او مدخل .

فن تخطيط المدن

اهتم العرب المسلمون ببناء مراكز انطلاق لجيوشهم التي اندفعت من شبه جزيرة العرب رافعة راية الدين الاسلامي ، وتقدمت مظفرة لتحرير الاقاليم العربية التي كانت ترزح تحت نير قوى الهيمنة والاستغلال فقرر الخليفة عمر بن الخطاب ، وبعد الانتصارات الحاسمة التي حققتها هذه الجيوش في العراق وسوريا ومصر ، تمصير الامصار . وتؤشر المعلومات المتوفرة لدينا والمستقاة من المصادر التاريخية وضوح رؤية الخليفة بخصوص اختيار مواقع هذه الامصار وطريقة تخطيطها . والحقيقة ان امعان النظر بالمفاهيم والقيم التي اوصى بها الخليفة في هذا المجال تكشف عن المستوى الحضاري الذي كانت عليه الأمة في حقل الفنون العمارية وتدل على الاستيعاب الكامل للظروف الذاتية والموضوعية والافاق المستقبلية للامة العربية .

لم تقتصر الغاية من انشاء المدن الجديدة على الهدف العسكري حسب ، بل اريد لها ان تكون موطنا لعوائل المجاهدين ودار هجرة للعرب المسلمين ومراكز ادارية للاقاليم المحررة وكذلك نقاط اشعاع للعلم والمعرفة ومراكز للتجارة والصناعة والزراعة . لذا فقد وضع الخليفة شروطا واضحة لاختيار المكان المناسب لها وأوضح خريطة تخطيطها وأمر أن يشارك المهندسون قادة الجيوش في تنفيذ التخطيط بعد اختيار الموقع الذي تنطبق عليه الشروط الموضوعية . وتعبر هذه القيم والمفاهيم عن سمات الوليد الجديد المتمثل في كل من البصرة والكوفة والفسطاط . وقد قدمنا دراسة فن تخطيط المدن على فن عمارة المساجد لان هذا الفن ابتدأ في القطر العراقي قبل غيره من الاقطار وابتدأ بصيغة تخطيط مدينة يحتل المسجد الجامع فيها مكانا مركزيا .

١ - البصرة - تخطيطها وتاريخها

تنتشر اطلال مدينة البصرة القديمة اليوم الى الشرق من بلدة الزبير ، وبعد التوسع العمراني السريع الذي اصابها في السنوات الاخيرة امتدت مباني هذه البلدة ، على اجزاء مهمة من غربي وشمالي المدينة الاثرية . وعلى الرغم مما اصاب اطلالها ، فستظل لهذه المدينة اهميتها كأول مدينة مصرت في العصر الاسلامي خارج شبه الجزيرة العربية . وتأتي هذه الاهمية ، بالاضافة الى ذلك،

---

(١) تغطي انقاض البصرة القديمة مساحة واسعة من الارض تقع على بعد ١٤ كيلومترا الى الجنوب الغربي من المدينة الحالية . وهناك اكثر من اشارة الى ان البصرة القديمة كانت مأهولة بالسكان الى القرن السابع عشر الميلادي ثم اخذت تتقلص وتنمو على حساب ذلك البصرة الحالية . ويظهر ان اندثار النهر الذي كان يخترقها وجفافه كان العامل الاساس لهجرانها . وقد نقل الكثير من طابوق ابنيتها واستعمل في بناء دور بلدة الزبير ، كما هو الحال في عدد من المدن الاثرية . فتحولت بمرور الزمن وبتأثير عوامل التخريب الطبيعية الى تلال واكوام من تراب ولم يبق منها سوى الركن الشمالي الغربي من مسجدها الجامع الذي ينسب الى العصر العباسي المتأخر .

من كون تخطيطها وشكل مسجدها الجامع ودار امارتها ودور سكانها عند انشائها تعتبر الامثلة الاولى لسلسلة طويلة من العمارات الدينية والمدنية التي شيدت في ارجاء الوطن العربي في العصور اللاحقة . وهذه الامثلة الاولى هي طليعة الفن العماري الذي انتشر وتطور وازدهر خلال حقبة معينة من الزمن .

تبدأ قصة بناء مدينة البصرة حينما افلح جيش عتبة بن غزوان في تحرير مناطق واسعة من جنوبي العراق واجزاء مهمة من اقاليم الخليج العربي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وشعر القائد هنا بضرورة اتخاذ مكان ما ليكون مركزا لانطلاق الجيش ومقرا له ايام توقف معارك التحرير وكان ذلك سنة ١٤هـ / ٦٣٥م . وكتب بذلك الى الخليفة عمر واوضح له ما كان يدور بذهنه معبراً عن ذلك بالكلمات الاتية « انه لابد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ويسكّنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم » . وكان جيش عتبة بن غزوان ينزل انذاك في منطقة تدعى الخريبة . ورد الخليفة على مقترح القائد بقوله : « ان اجمع اصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى واكتب الي بصفته » . وبعد ان استلم عتبة جواب الخليفة كتب اليه يقول : « اني وجدت ارضا كثيرة القصب في طرف البر الى الريف دونها مناقع ماء فيها قصب» اطلع الخليفة على رسالة القائد بخصوص اختيار الموقع واعلم القائد بان « هذه ارض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب » ، وكتب اليه ، « ان انزلها الناس » فانزلهم اياها[1] .

وكانت الارض التي اختارها القائد ارضا بكرا خالية من المباني الا بعض مسالح قديمة وقصر قديم . وقد وصفت تلك البقعة بانها « ارض غليظة فيها حجارة بيض صلاب . وارض هذه صفتها تدعى البصرة » [2] وكانت تقع

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص٣٥٤ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص١٩٢ .

الى غرب دجلة العوراء بمسافة اربعة فراسخ وتم حفر نهر يوصلها بدجلة .

كلف القائد ابو الحرباء عاصم بن دلف احد بني غيلان بن مالك بن عمر من تميم بالاشراف على انزال الجيش فيها[٣] . وجعل وسط المنطقة للمسجد الجامع ومرافق اخرى . وبنيت الدور والمرافق العامة بالقصب الذي كان المادة الاساسية في البناء انذاك . وكان القصب يجمع ويحزم ويخزن عندما يتقدم الجيش الى الامام ويعاد ترتيبه عندما يعود الجيش من الجهاد . وظلت الحالة على ما هي عليه الى ان ولي امارة البصرة القائد ابو موسى الاشعري . وقد حدث ان التهم حريق هائل قصب دور البصرة . وقام الاشعري باخبار الخليفة عمر بذلك واستأذنه بالبناء باللبن والطين بدلا من القصب . فاذن الخليفة له بذلك واوصاه بتنفيذ التخطيط الهندسي للمدينة بحيث يكون عرض الشوارع الرئيسية أربعين ذراعاً والمتوسطة أو الثانوية عشرين ذراعا والازقة سبعة أذرع . وان تكون دور الناس متلاصقة ولا يزيد عدد الغرف في الدار الواحدة عن ثلاث وان لا يرتفع البناء فيها اكثر من طابق واحد واوضح ايضا ان تتوسط كل محلة رحبة أو ساحة طول ضلعها ستون ذراعا . وان تكون خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الامارة غير متصلة فيها . والحقيقة ان خريطة تخطيط مدينة البصرة جديدة تماما ومتقنة وهندسية ، وتتناسب وطبيعة الظروف الذاتية والموضوعية للمجتمع العربي الاسلامي . وتعتبر هذه الخريطة المظهر الاول لفن تخطيط المدن في العالم العربي الاسلامي . وسوف نرى في بناء المدن الاخرى ان التمسك بجوهر هذا التصميم قد استمر الى جانب اضافات وتحويرات اقتضتها طبيعة التطور الذي حدث في القرون اللاحقة .

كان الاقبال شديدا على سكنى المدينة الجديدة . وقد شجع الخليفة عمر العرب المسلمين على الهجرة اليها وقيل انه سير اليها سبعين الفا ، منهم عدد كبير من الصحابة الذين لعبوا دورا مشرفا في نشر مبادىء الدين الاسلامي وساهموا

---

(٣) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، ج٣ ، ص ٢٥٩٠ .

مساهمة فعالة في التحرير • ونتيجة لذلك اتسعت رقعة المدينة وزادت قيمتها الادارية •

ولم يؤثر انتقال الخلافة الى الشام على البصرة ، بل استمرت رفعتها في التوسع وكثر عمرانها وكان لازدهار الحياة الاقتصادية اثره الفعال في استمرار توسع المدينة وزيادة عمرانها • وظلت المدينة مركزا اداريا في القطر وبذل ولاتها الامويون جهودا كبيرة في اظهارها بالمظهر اللائق كمركز مهم من مراكز ولاة الاقاليم في بداية الحكم الاموي • وذكر المؤرخون ان البناء بالاجر والجص قد حل محل البناء باللبن والطين واشاروا الى عدد من الدور الفخمة والقصور التي انشئت فيها وحولها كما ذكروا روعة مساجدها وبهائها • وصاحب هذا التقدم العمراني نمو واضح في الصناعة والزراعة والتجارة وفنون اخرى • وقد جرت محاولات لتقدير عدد نفوس البصرة في هذا العهد حيث يقال انهم بلغوا ٣٠٠ الف نسمة بينما يعتقد اخرون انه كان حوالي ٦٠٠ الف في عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي •

ازدهرت البصرة ايام العهد العباسي الاول فطارت شهرتها وقصدها طلاب العلم والادب واللغة وبرز فيها اعلام كان لهم دور بارز في علوم اللغة والفقه والادب • ولكن التقدم الذي شهدته المدينة لم يدم طويلا فاحتلها صاحب الزنج سنة ٢٥٧هـ/٧٨١م ، وعاث فيها فسادا ، فخرب مبانيها وقتل الكثير من اهلها • وتركت هذه النكبة اثارها الكبيرة على الحياة بصورة عامة • وتعرضت الى فاجعة اخرى عندما احتلها القرامطة سنة ٣١١هـ فخربوا ودمروا كل ما وقعت عليه ايديهم • ولم تسترد البصرة ايام عزها بعد ذلك فكانت الحياة فيها تتأثر بالمشاكل والمشاحنات والمضاربات التي كانت تحدث بين القادة والوزراء والمتنفذين في العاصمة • فقل الاقبال على السكنى فيها وبدأ الناس يهجرونها ، فتناقص عدد سكانها حتى هجرت تماما في القرن السابع عشر الميلادي كما ذكرنا • وتحول معظم السكان الى البصرة الحديثة التي حلت محل

البصرة القديمة وبمرور الزمن ذهبت اثارها الشاخصة وهدم بعضها فتحولت الى تلول اكوام انقاض تغطي مساحة واسعة من الارض • ولم يبق من اثارها سوى جزء من الركن الشمالي الغربي لمسجدها الجامع الذي يدعى الان بمسجد الامام علي بن ابي طالب •

المســـجد

المسجد اهم ابنية المدن الاسلامية الاولى لذا اهتم القادة بتعيين موقعه والاشراف على تخطيطه او قيامهم بذلك بانفسهم لانهم ادرى من غيرهم بعدد المسلمين الذين يؤدون الصلوات الخمس فيه • ولم تك وظيفة المسجد مقتصرة على ذلك بل كان المكان الذي كانت تعقد فيه الاجتماعات السياسية والاستشارية والادارية • وقد اتسعت وظائفه بمرور الزمن وكان المكان الاول للتعليم اي تعليم مبادىء الدين الجديد ثم تطور ليشمل مختلف العلوم ومن هنا تبلورت فكرة المدارس • وتشير المصادر الادبية الى اكثر من شخص ممن قاموا بتخطيط مسجد البصرة • فتذكر ان القائد عتبة بن غزوان هو الذي خططه بنفسه • ولكن بعضها يذكر محجن بن الاذرع البهزي او نافع بن الحارث بن كلدة • ويشير خبر اخر الى ان الذي قام بذلك هو الاسود بن سريع[1] • ان اختلاف الرواة في ذكر اسم من قام بتخطيط المســـجد تعبير عن أهميته وعن مكانـة الشخص الذي أوكل اليه تنفيذ هذا الامر المهم •

وكان بناء المسجد في البداية بالقصب مثل بقية ابنية المدينة • ويظهر ان الحريق الذي اجتاح مدينة البصرة قد التهم المسجد ايضا • وسبق ان ذكرنا ان والي البصرة الجديد حصل على موافقة الخليفة باستعمال اللبن والطين بدل القصب كمادة بنائية • فقام ابو موسى الاشعري بتوسيع المسجد وبنائه باللبن

---

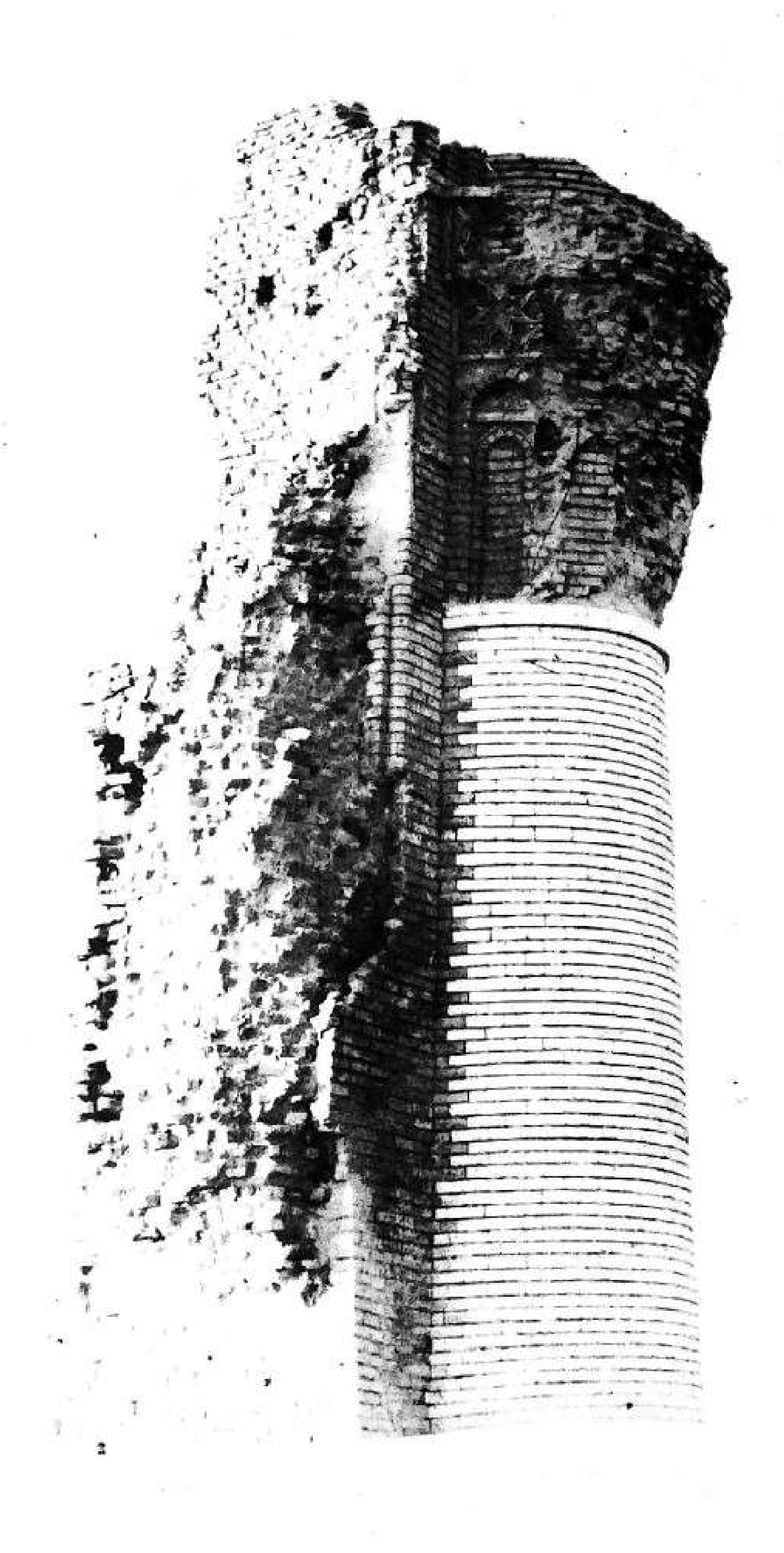
(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٥٤ .

والطين وذكر انه صبغ جدرانه واتخذ له سقفا • وكل ما نعرفه عنه على عهد الاشعري انه كان مربع الشكل •

لم يبق هذا المسجد على حالته الاولى بل وسع وجدد واعيد بناؤه اكثر من مرة • واهم ما حدث فيه هو ما امر به والي البصرة زياد بن ابيه ، الذي دامت ولايته ما بين ٤٥ و ٥٥هـ / ٦٦٥ و ٦٧٥م ، من هدمه وتوسيعه واعادة بنائه بالطابوق والجص واقامة سقوفه ، المعمولة من خشب الساج ، على اعمدة حجرية طوال تتألف من عدة قطع اسطوانية يضمها الى بعضها سفود حديد يمر بمركزها • واتخذ زياد للجامع مأذنة ومقصورة وامر ايضا ان تكون دار الامارة ملاصقة له من جهة جدار القبلة وجعل بينهما مدخلا يؤدي من الدار الى بيت الصلاة • وجعل بناء الدار باللبن والطين • وظلت معلوماتنا عن هذا المسجد محدودة ، خصوصا على عهد زياد ، الى ان قامت بعثة فنية من مديرية الآثار العامة برئاسة الدكتور عبد العزيز حميد سنة ١٩٦٠م بالتنقيب والتحري في المسجد • ونتيجة للجهود العلمية والفنية التي بذلتها الهيئة تم الكشف عن بقايا ابنية الجامع على عهد زياد • فظهر انه كان مستطيل الشكل طوله من الشمال الى الجنوب ٣٠ر١٢٠ مترا وعرضه من الشرق الى الغرب ٥٠ر٨٨ مترا وتبين ان بيت الصلاة فيه يتألف من خمسة اساكيب ناتجة عن خمسة صفوف من الاعمدة الاسطوانية والقائمة على قواعد مربعة طول ضلع كل منها ١٠ر١ مترا وتتكون كل من المجنبتين والمؤخرة من اسكوبين فقط يتكونان من صفين من الاعمدة والمسافة بين عمود وآخر ثلاثة امتار فقط وتم الكشف ايضا عن قاعدتي مأذنتين احداهما في الركن الشمالي الغربي والاخرى في الركن الشمالي الشرقي•ويعتبر هذا الاكتشاف أهم اكتشاف في تاريخ التنقيبات التي أجريت في المواقع العربية الاسلامية في العراق • فلاول مرة نحصل على تخطيط اول مسجد انشيء في العهد الاسلامي خارج شبه جزيرة العرب ومن بداية العصر الاموي وسنرى ان هذا الطراز سيسود لعدة قرون في القطر العراقي • وبعد بضع سنوات من بناء المسجد ، سنة ٥٥هـ / ٦٧٥م حدث تعديل بسيط

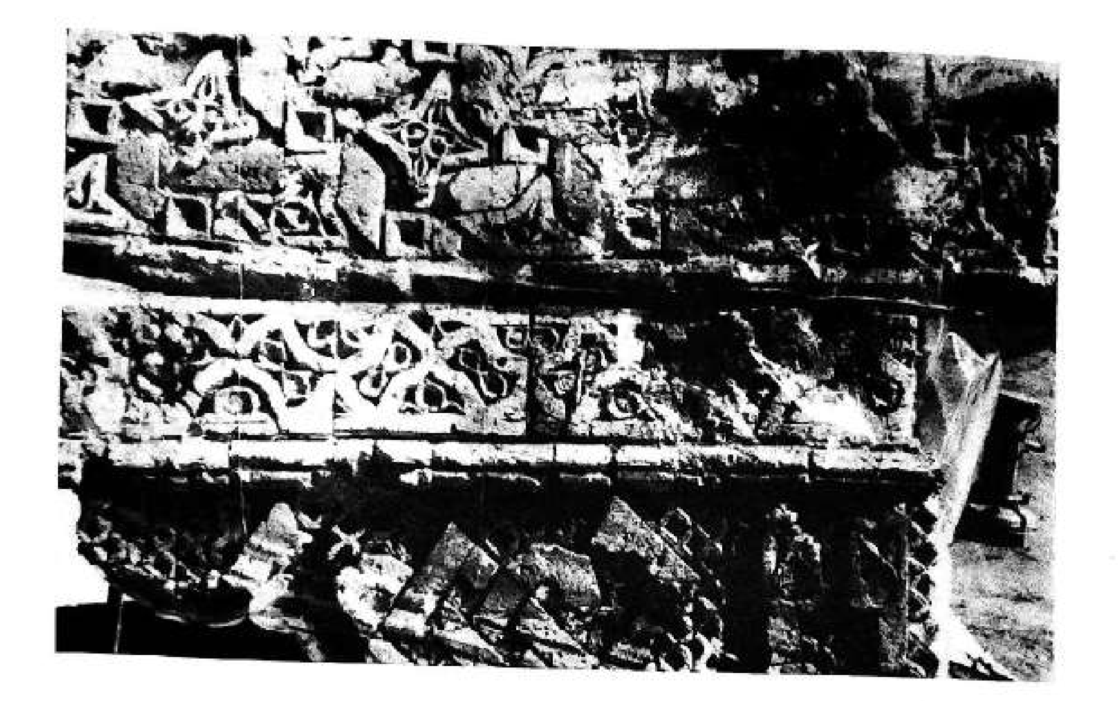
فيه عندما امر الوالي عبيد الله بن زياد بهدم جزء من دار كانت ملاصقة للمسجد من جهة جداره الشمالي ومعترضة لاستقامة الجدار حسبما تذكر المصادر الادبية •

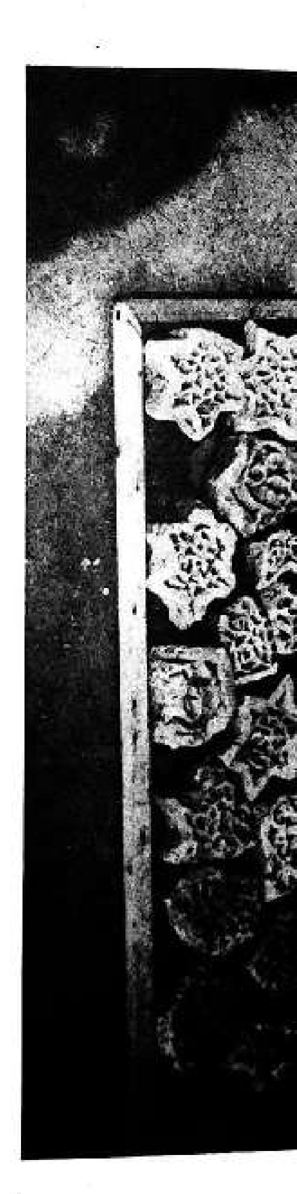
وبعد ان توسعت البصرة وزاد عدد سكانها في العصر العباسي ضاق المسجد بالمصلين فامر الخليفة المهدي بتوسيعه وكان ذلك سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م وادخلت عدة دور مجاورة له في هذه الزيادة • ويظهر ان ذلك لم يحل مشكلة استيعابه للاعداد المتزايدة من المصلين ، فقد وسع بامر من الخليفة هارون الرشيد وامتدت الزيادة الى دار الامارة التي ادخلت فيه • وصار جامع البصرة من اوسع المساجد الجامعة انذاك وابهاها وصار له ١٨ مدخلا ، وجاء ايضا ان عدد مرابط الخيل على جدارنه الخارجية بلغ ١٤ الف مربط • ويظهر ان بناء هذا المسجد الجامع قد اصابه التخريب مما دفع الخليفة العباسي المستنصر بالله ، الذي عرف بحبه للبناء والتعمير ، الى تجديده او اعادة بنائه سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢١م على ما تذكر المصادر الادبية • وتشير هذه المصادر ان سقوف المسجد المعمولة من خشب الساج قد احترقت ويظهر ان حريقا اصاب المسجد فاتلفه • وكانت عمارة المستنصر بالله رائعة فقد اعيد تسقيفه بالساج واستعملت مدورات اساطينه القديمة مرة اخرى • واستطاعت بعثة مديرية الاثار العامة ان تظهر اجزاء من تخطيط وعمارة المسجد على عهد هذا الخليفة وهي لا تختلف كثيرا من حيث طراز التخطيط عن طرازه الاول لان التغييرات انصبت على سعة المسجد والوحدات الزخرفية التي تحلي جدرانه وتعكس طراز النصف الاول من القرن السابع الهجري حيث بلغت فنون الحفر المفرغ على الطابوق اوج تقدمها • وكل ما تبقى من عمارة المستنصر بالله جزء من الركن الشمالي الغربي متوج ببقايا مقرنصات يظهر انها كانت تسند قاعدة حوض مأذنته • وقد حليت بواطن حنايا المقرنصات بحشوات دقيقة ذات زخارف نباتية مفرغة (لوح ١) •



(لوح ١) : بقايا الحشوات الزخرفية التي تزين مقرنصات حوض مأذنة جامع البصرة .

(لوح ٢) : تشكيلات من الزخارف
التي كانت تزين جامع البصرة .







وقبل اربع سنوات قامت هيئة فنية من جامعة البصرة برئاسة الدكتور خالد احمد الاعظمي بأكمال التحري والتنقيب في هذا الجامع • فكشفت عن اجزاء من جداره الشرقي مزينة ، على نطاق واسع ، بحشوات من الزخارف النباتية الخطية الاجرية المفرغة (لوح ٢) • وهي تعود أيضا الى نفس العهد الذي يعود اليه الجزء القائم من المسجد وتعتبر وحداتها الزخرفية وثيقة اخرى مهمة لما بلغه هذا الفن في نهاية العصر العباسي •

دار الامـــارة

لا تتعدى معلوماتنا عن هذه الدار ما ذكره البلدانيون والمؤرخون وكتاب السير والتراجم • لاسيما فقـــد جعل القائد عتبة بن غزوان الدار بالقرب من المسجد الجامع في منطقة كانت تدعى بالدهناء • وسبق ان ذكرنا ان الوالي الاموي زياد بن ابيه عندما وسع واعاد بناء المسجد جعل هذه الدار ملاصقة له وامر ان تبنى باللبن والطين • وامر الحجاج بن يوسف الثقفي ، اثناء ولايته على العراق ، بهدمها بحجة اعادة بنائهـا بالطابوق والجص ولكنها تركت على حالها الى عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك، الذي أمر ان تبنى بالطابوق والجص فوق اسسها الاولى ، اي على ما كانت عليه قبل الهدم • وقام والي العراق في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بمحاولة اجراء تعديل او زيادة فيها فلما علم الخليفة بذلك منع الوالي عما اراد ؛ ويظهر ان الدار ظلت على ما هي عليه الى ان امر الخليفة هارون الرشيد باضافتها الى المسجد كما ذكرنا •

الكوفة - تخطيطها وتاريخها

تغطي مباني بلدة الكوفة الان اجزاء واسعة من انقاض الكوفة القديمة . ولكن جامعها لم يهجر بل عمر وجدد مرات عديدة وما زال يشغل مكانا من البلدة وتقام فيه الصلوات الخمس . وقامت هيئات من مديرية الاثار العامة بالتحري والتنقيب في نقاط معينة من هذا الجامع وما يلتصق به من الناحية الجنوبية الغربية فتوصلت الى نتائج ذات اهمية في تتبع تاريخ المسجد ودار الامارة .

ويظهر ان اعمال الهدم المتعمد ، من اجل الحصول على الطابوق وتخريبات العوامل الطبيعية كان لها اثر فعال في تحويل ما تبقى من ابنية الكوفة القديمة الى تلول واكوام من الانقاض حول المسجد والدار خصوصا في المناطق التي لم يمتد اليها العمران بعد .

انطلق جيش القائد سعد بن أبي وقاص ، رافعا راية الاسلام ومحررا مناطق مهمة من العراق وكان الانتصار حليفه في معارك عظام ، القادسية والمدائن فهدم عرش الطغيان وانجز تحرير العراق . فبرزت ضرورة اتخاذ مركز انطلاق للجيش المظفر ، وضرورة ايجاد مكان لسكن عوائل المجاهدين والمهاجرين ، وذكر ان قائد الجيش سعد بن ابي وقاص قد سمح في البداية للمجاهدين بالنزول في المدائن واتخاذ الخطط فيها . وجاء أيضا ان سعدا وافق على نزول افراد جيشه في الانبار قبل ذلك وبعد ان قرر الخليفة عمر ان يكون للعرب المسلمين دار هجرة في هذه المناطق المحررة . ويظهر ان الظروف المناخية وعوامل اخرى كان لها اثر في ان يعيد القائد النظر في اختيار مكان اخر غير هذين المكانين يصلح تماما من حيث الموقع والمناخ وافاق المستقبل لان يكون دار هجرة للمسلمين . كتب سعد بذلك الى الخليفة فوافق الخليفة على المقترح وأمر سعدا ان يعتمد على رائدي الجيش سليمان وحذيفة بن اليمان لاختيار الموقع المناسب

لانشاء دار الهجرة هذه، وبموجب الشروط التي روعيت في اختيار موقع البصرة، قام الرائدان بالتفتيش عن مكان مناســب لهذا الغرض فوقع اختيارهما على موضع مرتفع بين الحيرة والفرات، وصف بانه لسان بري معروف بنباتاته من الشيح والاقحوان والقيصوم والخزامى والشقائق . وكان الموضع مستديرا وسمي بخد العذراء . ولما نزل سعد الموضع كتب الى الخليفة « اني نزلت الكوفة منزلا بين الحيرة والفرات بريا بحريا ... وخيرت المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقـام تركتـه فيها كالمســلحة فبقي أقوام من الافنـاء واكثر بني عبس » .

مصرت الكـوفة عام ١٧هـ / ٦٣٨م وكانت خططها قبائلية مثل خطط البصرة . وقد ذكر المؤرخون خطط المدينة واسماء القبائل التي أنزلت فيها بدقة ووضوح . والذي يهمنا هنا هو التخطيط لا الخطط . وتخطيط الكوفة هو نفس تخطيط البصرة ، فقد امر الخليفة ان يكون المسجد الجامع في القلب وتكون دار الامارة قريبة منه . اما خطط الناس فتكون حول المكان المختار للجامع والدار وان يكون عرض الشوارع الرئيسـية ٤٠ ذراعا والمتوسطة ٢٠ ذراعا والازقة ٧ اذرع وان تتوسط كل محلة ساحة طول ضلعها ٦٠ ذراعا وان لا يزيد عدد غرف الدار الواحدة عن ثلاث ولا يزيد ارتفاعها عن طابق واحد وان تكون متراصة . وذكرت المصادر الادبية ، التي اوردت خبر التخطيط ، اسماء من أشرف على انزال المسلمين وتخطيط المسجد والدار والمحلات . كما ذكرت ان اسماء الشوارع الرئيسية اخذت من اسماء القبائل التي نزلت الكوفة .

استعملت اخصاص القصب في البداية في بناء دور البلدة الجديدة وحدد مسجدها بخندق . وكانت هذه الاخصاص تجمع اذا ماتقدم الجيش للجهاد ويعاد ترتيبها عند العودة . وتروي المصادر نفسها ان الكوفة احترقت بعد سنة من تمصيرها فتم اعادة بناء دورها باللبن والطين . وكان مسجدها انذاك لا يتسع لاربعين الفاً من المصلين . وعلت مكانة المدينة عندما اتخذها الخليفة علي بن

ابي طالب (رضی) حاضرة للدولة العربية الاسلامية الفتية وكان ذلك سنة ٣٦هـ / ٦٥٧م •

لم تفقد الكوفة مكانتها في العصر الاموي ، وعلى الاخص قبل بناء واسط. فقد ظلت محافظة على اهميتها كمركز اداري لجزء كبير من العراق وكان الوالي الاموي يقيم فيها ، وظلت دار الامارة فيها مقرا للوالي حتى بعد سقوط الخلافة الاموية • واهتم بها الولاة الامويون وبذلوا الاموال لتعمير مسجدها الجامع ومرافقها العامة الاخرى • واستعمل الطابوق والجص في تشييد دورها كما نشطت فيها التجارة والصناعة وبدأت فيها بواكير حركة فكرية وادبية ازدهرت فيما بعد • وكان الحجاج بن يوسف الثقفي ، والي العراق المشهور ، يقيم فيها ستة اشهر من السنة وستة في البصرة قبل بناء واسط • لم يؤثر عليها وعلى الحياة فيها كثيرا بناء واسط ومدينة السلام وسرمن رأى • فقد استقرت الحياة فيها وصارت من مدن العراق المعروفة في مجال الادب واللغة والفقه وغيرها من العلوم وكانت لها مكانة تجارية وصناعية • وظلت دار الامارة فيها مقرا لحكام الاقليم طيلة العصر العباسي حتى العهد الايلخاني •

ورغم ماتعرضت له المدينة من ويلات ونكبات وتخريبات كبقية مدن العراق فان الحياة فيها استمرت وساهمت في البناء الحضاري للقطر وقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم والبلدان والرحلات اخبار المدينة ومن اشتهر فيها • كما ذكرت هذه المصادر اماكن العبادة ايضا ومسجدها الجامع الذي ظل شامخا الى يومنا هذا يؤدي الوظيفة التي انشيء من اجلها رغم التجديدات والتعميرات المستمرة التي اجريت فيه •

المسـجد

اختط القائد سعد بن ابي وقاص مسجد الكوفة بنفسه كما تروي كتب التاريخ • وجعله مربع الشكل حيث امر رجلا قوي الذراع ان يطلق اربعة سهام

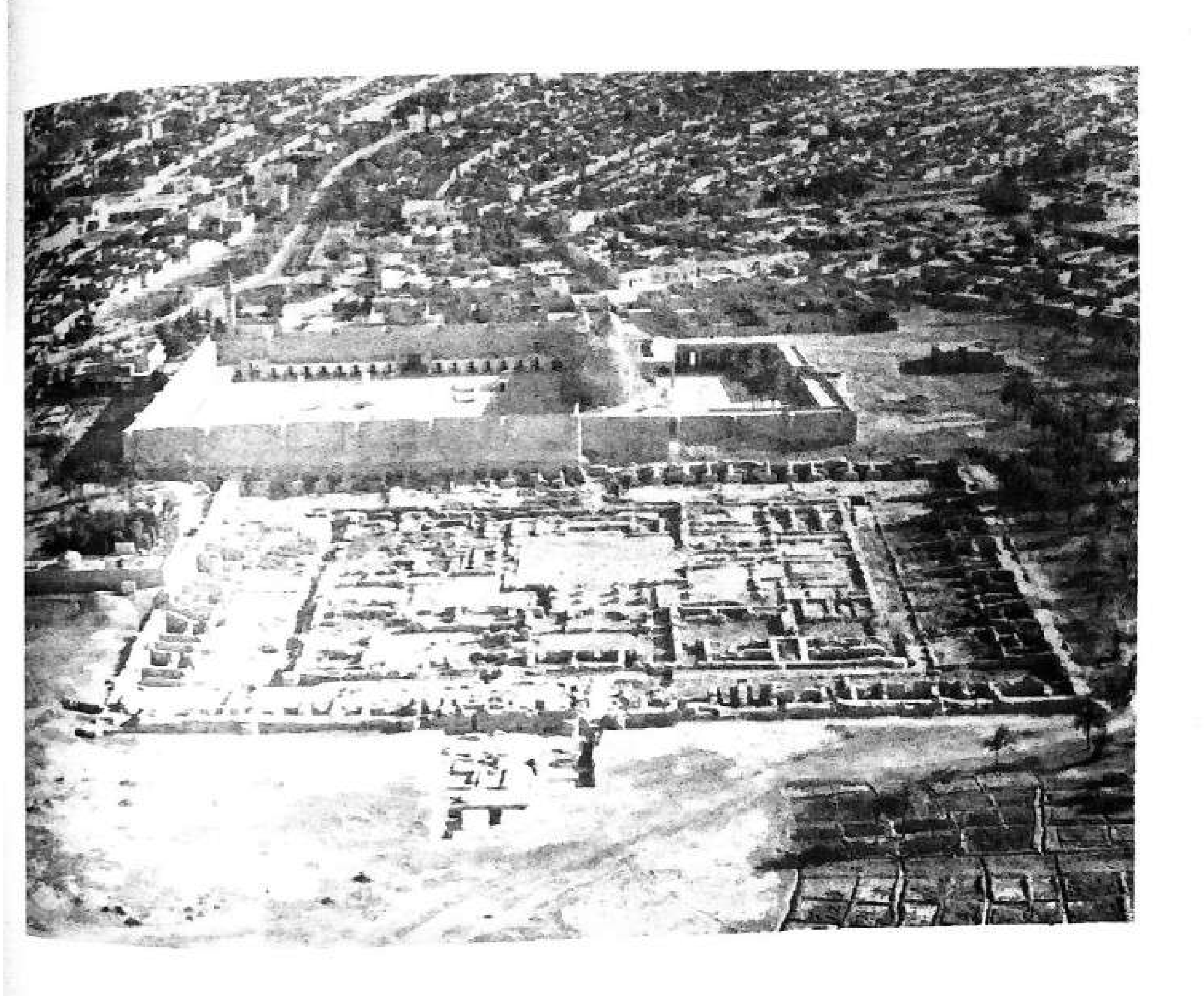
بالاتجاهات الاربعة وامر ان تكون مواقع تلك السهام حدودا له • وامر ان تعلم حدود المسجد بخندق يفصله عما حوله من ابنية اخرى • ويظهر ان القائد قد جعل للمسجد ظلة ، اي بيت صلاة ، كان سقفها يستند على اعمدة من رخام ذات تيجان جميلة •

واهتم من تولى الامارة بعد سعد بن ابي وقاص بالمسجد الجامع حيث تم توسيعه وتجديده عدة مرات • وأول من فعل ذلك المغيرة بن شعبة سنة ٤١/ ٦٦١م • ثم الوالي زياد بن ابيه الذي امر بتوسيع المسجد واعادة بنائه بالاجر والجص ، واقام سقوفه على اساطين من رخام اسطوانية طوال يقال انها جلبت من خارج العراق لهذا الغرض • ومن المعروف ان الوالي اوكل كل ذلك الى مهندسين مشهورين • واستطاعت هيئة فنية من مديرية الآثار العامة ان تكشف عن بقايا جدران هذا المسجد على عهد زياد بن ابيه • فظهر انه كان مربع الشكل طول ضلعه ١١٠ أمتار وانه كان مشيدا بالطابوق والجص وان طابوقه ذو قياسات موحدة وغير منقول من بناء سابق كما كان يعتقد البعض من المتخصصين • وكانت جدرانه مدعمة بابراج نصف اسطوانية تقع قواعدها الان على عمق ٥ر٥ مترا عن مستوى أرضية الجامع الحالية • وتمتد بقايا جدران مسجد الكوفة القديم تحت الجدارن الحالية • ولم تستطع الهيئة ان ترسم مخطط الجامع القديم وذلك لان الجامع الحالي يقوم على القديم بأكمله •

ويستدل من الاشارات التاريخية ان الجامع ، في عهد زياد بن ابيه ، كان يتألف من مصلى ومجنبتين ومؤخرة تطل جميعها على صحن يتوسط البناء • واتخذ زياد مقصورة في هذا المسجد • وذكر ان الحجاج بن يوسف الثقفي قد امر ببناء ما تهدم من جدرانه •

ويعتبر وصف الرحالة العربي ابن جبير للمسجد مهما لانه اشار لاول مرة الى أقسامه وتخطيطها • وقد مر ابن جبير بالكوفة سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م • وذكر

(الوح ٤): تيجان وقواعد أعمدة جامع الكوفة على عهد زياد بـ



(الوح ٣): صورة جوية لجامع الكوفة ودار الامارة


٩٠
٧٠
٥٠
٣٠
١٠ سم

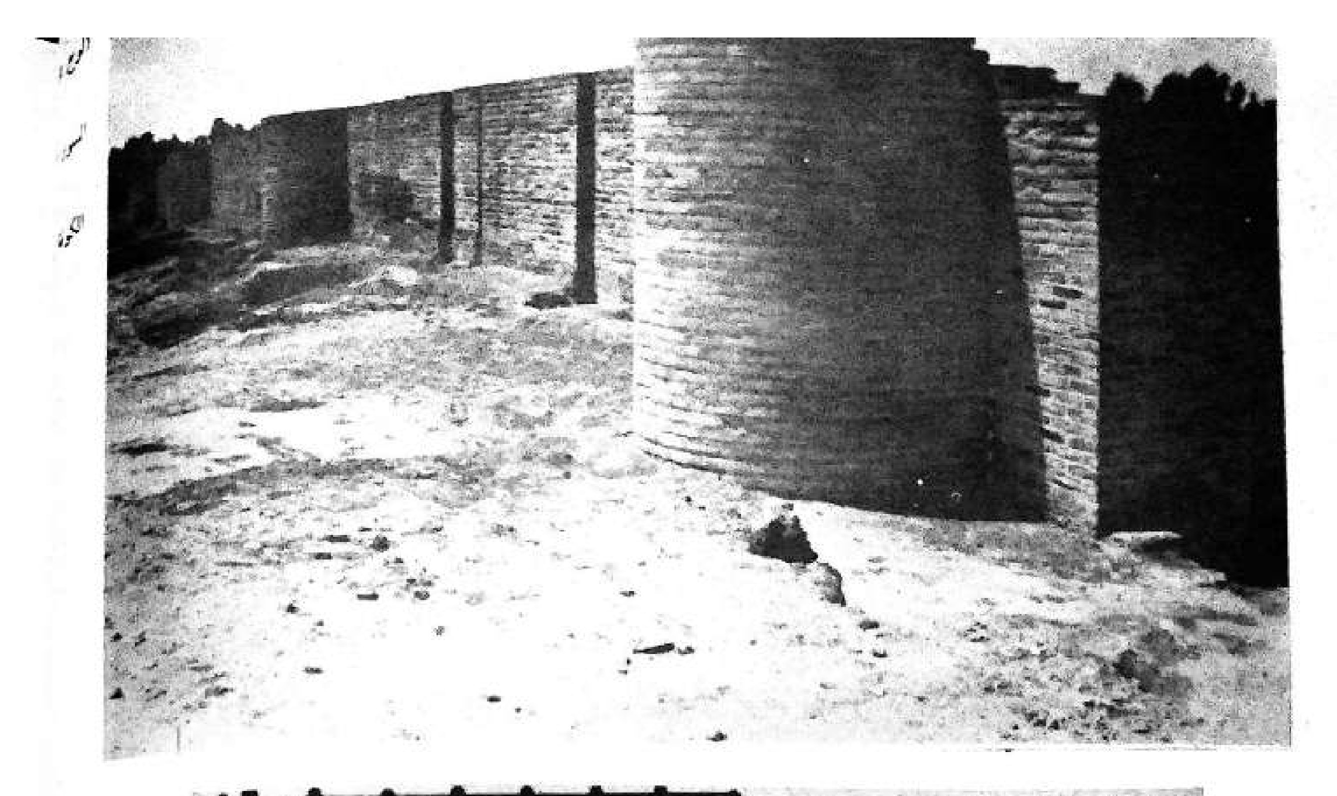
ان بيت الصلاة فيه يتكون من خمسة اساكيب وان كل مجنبة تتألف من رواقين وكذلك المؤخرة • واشار الى ان سقوفه قائمة على اعمدة رخامية طويلة • كما ذكر هذا الجامع الرحالة ابن بطوطة الذي زار الكوفة سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م • واشار الى ان بيت الصلاة فيه يتكون من سبعة اساكيب • ويظهر ان هناك زيادة أحدثت في المسجد مابين زيارة ابن جبير وزيارة ابن بطوطة• وان المسجد جدد مرات اخرى بعد ان وصفه ابن بطوطة • ويظهر ان التجديد تركز على هيكل البناء الداخلي اي المصلى والمجنبات والمؤخرة • اما الجدران الخارجية فظلت قائمة الى يومنا هذا ، مقاومة عوامل التخريب وهي متينة جدا وواضح انها من بناء العصر الايلخاني (لوح ٣) • وتؤشر الجدران الحالية انه لم يتم فيه أية زيادة بعد عهد زياد بن أبيه حيث يبلغ طول ضلعه في الوقت الحاضر ١١٠ أمتار وهي نفس الابعاد التي كان عليها في ذلك العهد وترتفع جدرانه بمسافة تزيد على عشرة امتار وهي مدعمة بابراج نصف اسطوانية عددها ٢٤ برجا ، تدعم خمسة منها جدار القبلة وسبعة جدار المؤخرة وتسند خمسة منها جدار المجنبة الغربية وسبعة منها جدار المجنبة الشرقية • وتلتصق بهذه الجدران من الداخل اروقة وابنية عدة تعود الى فترات متأخرة جدا • وصحن المسجد فسيح يتوسطه منخفضا ذا أقواس وحنايا ومحراب يدعى بالسفينة • ويستدل من الزخارف الاجرية التي تزين بواطن عقوده وواجهة محرابه انه يعود الى زمن اقدم من بناء المسجد الحالي• وكانت للمسجد مأذنة ذات طراز ايلخاني من نفس فترة بناء الجدران الحالية ولكن هدمت سنة ١٩٥٦ واعيد بناؤها بطراز يختلف تماما عن طرازها الاصلي •

ويشغل جزء من الصحن مصلى صيفي تقوم فيه اجزاء من اعمدة رخامية اسطوانية هي بالتأكيد من بقايا اساطين المسجد التي امر بها زياد بن ابيه • وتم العثور ايضا على عدة تيجان وقواعد اعمدة.رخامية محلاة بزخارف من اوراق نباتية (لوح ٤) يعكس اسلوبها طراز الفن العربي الاسلامي ايام زياد بن ابيه •

تتصل في الوقت الحاضر بجدار المسجد الجنوبي الشرقي جدران مشهدي مسلم ابن عقيل وهاني بن عروة كما يتصل جداره الجنوبي الغربي بجدار دار الامارة (لوح ٣) •

دار الامـــــارة

ان معلوماتنا عن هـذه الدار غير وافية ومختصرة جـدا خصوصـا اذا ما قورنت مع الروايات والاخبار التي أوردها المؤرخون والجغرافيون وغيرهم عن المساجد الجامعة الاولى • ويغلب على الظن ان هـــذا ناتج من كون دور الامارة أبنية شبه خاصة وارتيادها محدود من قبل من اهتم بتدوين أخبـــار هذه المنشآت•ويقتصر مانعرفه عنهذه الدار على ان القائد سعد بنأبيوقاص قد عين مكانها على مقربة من المسجد الجامع وجعلها مفصوله عنه بشارع • واهتم القائد بها فنسب احد مشاهير المهندسين للاشراف على بنائها • ويظهر انها كانت متميزة جدا فشبهت بقصور الحيرة المنذرية • وكان بيت المال فى هذه الدار • وحدث ان سرق فلما علم الخليفة عمر بن الخطاب كتب الى سعد بأن يجعلدار الامارة هذه ملاصقة للمسجد ومتصلة به••وذكر أيضا ان الوالي زياد بن ابيه قد امر بتجديدها عندما اعاد بناء المسجد الجامع واخر من ذكرها الرحالة ابن بطوطة الذي قال انها متهدمة وكل ما تبقى منها هو اساسها فقط • ولم يذكر شيئا عن تخطيطها وبنائها ومساحتها والتجديدات والتعميرات التي اجريت فيها • وظل الامر على هذه الصورة الى ان قامت هيئة فنية من مديرية الآثار العامة بالتنقيب والتحري فيها ولعدة مواسم فتوصلت الى نتائج مهمة عن بناء الدار وما طرأ عليها من تجديدات قبل ان تهجر تماما • وقد ابتدأت التنقيبات سنة ١٩٣٨م وما زالت جارية الى الآن حيث تقوم هيئة فنية بصيانة ما تبقى من ابنية الدار •



الكوفة
المسجد
و
قصر الامارة

نعرف اليوم ان دار امارة الكوفة كانت مربعة الشكل عند انشائها ، مشيدة بالطابوق والجص ، وان قياسات هذا الطابوق موحدة وانه غير منقول من أبنية سابقة . ويبلغ طول ضلعها ١١٠ أمتار أي بطول ضلع المسجد تماما . وتغور قواعد جدرانها حوالي ٩٠سم في الارض البكر . وهذا هو عمقها . ودعمت الجدران بابراج ذات قواعد مستطيلة ابعادها ٦×١٫٥ مترا . ويبلغ عدد الابراج عشرين برجا موزعة بالتساوي على جدران الدار والمسافة بين قاعدة واخري ١٨ مترا . اما سمك الجدران فبحدود المترين . وكشفت هذه التحريات ان جدران الدار لا تتصل بالمسجد الجامع .

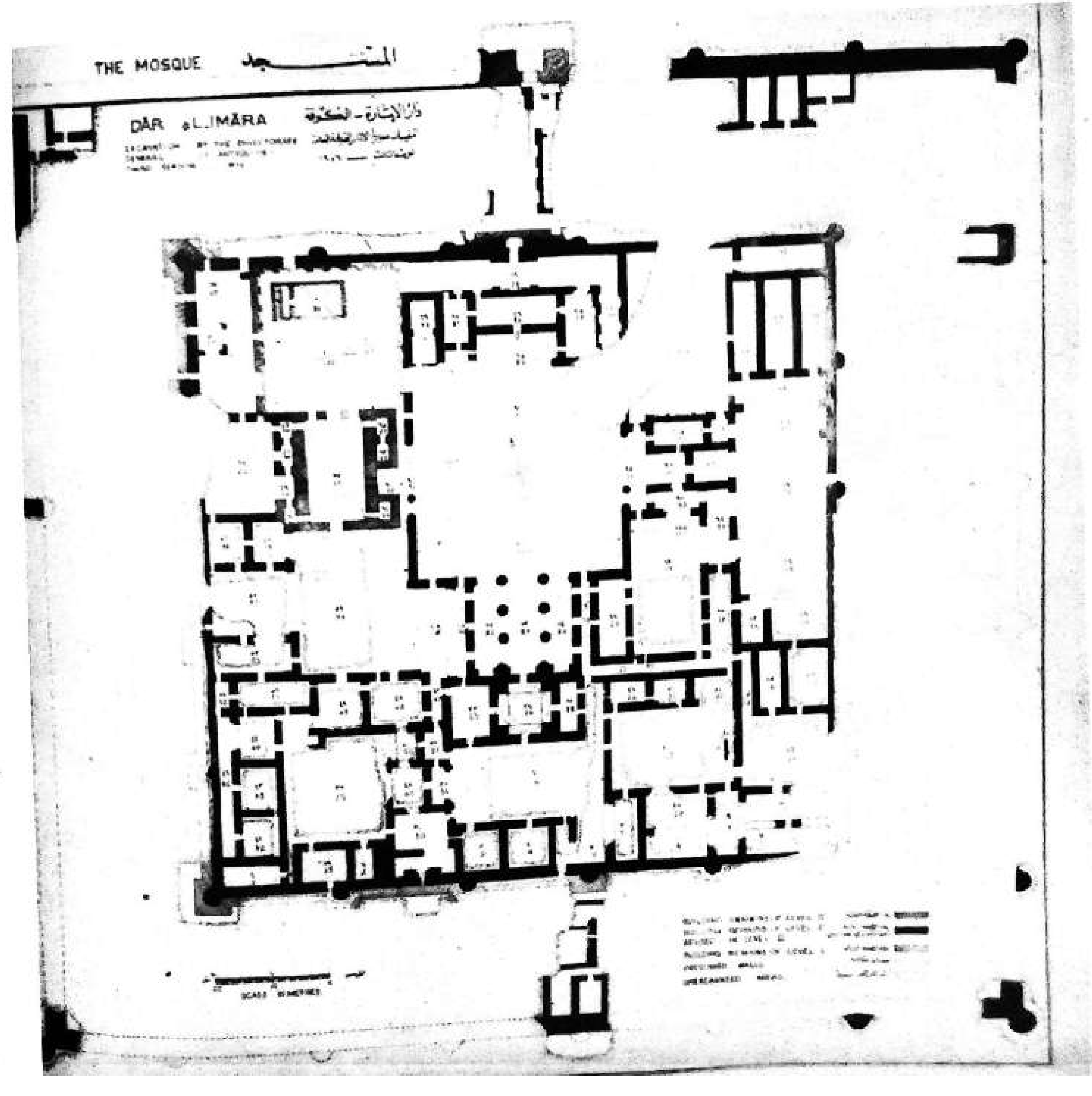
هذه معلوماتنا عن الدار في عهد القائد سعد بن ابي وقاص .— اما تخطيطها فلم يعرف بسبب التجديدات فيها وتراكم طبقة سميكة من الانقاض والابنية تعذر ازالتها لان ذلك سوف يدمر الابنية اللاحقة ويحتاج الى وقت طويل جدا .

واظهرت التنقيبات ان الوالي زيادا قد احاط الدار بسور اخر خارجي وان هناك تجديدات وتعميرات اخرى اجريت في الدار ايام عبد الملك بن مروان . وظهر ان زيادا قد امر باعادة بناء الجدران الداخلية والسور الداخلي من الخارج وبسمك ١٫٧٠ مترا . وتم تدعيمه بنفس عدد الابراج التي كانت تسند الجدران السابقة ، اما شكلها فهو نصف اسطواني بقطر ٣ امتار ما عدا ابراج الاركان فهي شبه مستديرة . وتم الكشف عن خمسة ابواب يتوسط احدها الضلع الشمالي وتخترق ثلاثة منها الضلع الجنوبي وهناك مدخل واحد في الجدار الغربي .

ثمة ما يدل على ان السور الخارجي لم يكمل في نفس الوقت الذي انجز فيه بناء السور الداخلي بل تأخر بعض الوقت عن ذلك . والسور هذا ضخم

جدا يبلغ سمك جدرانه بحدود أربعة أمتار وهو مربع الشكل أيضا ، طول ضلعه ١٧٦ مترا • وتدعمه ابراج نصف اسطوانية ، وابراج الاركان شبه مستديرة ويدعم هذا السور ٢٣ برجا ، معدل قطر كل واحد منها ثلاثة امتار ونصف المتر • وتبلغ المسافة بين كل برج واخر اربعة وعشرين مترا • وتدعم ستة أبراج كلا من الجدران الشرقية والجنوبية الغربية وبرجان للجدار الشمالية • ويتصل الجدار الشمالي بجدار قبلة المسجد الجامع • وهناك اكثر من مدخل يخترق السور الخارجي اهمها ذلك الذي يتوسط الجدار الجنوبية • (لوح ٥) • وقد استخدم الطابوق والجص في التجديدات والزيادات وتغطي

(مخطط ٢) : تخطيط دار الامارة في عصور لاحقة



الجدار طبقة سميكة نسبيا من الجص • اما تفاصيل التخطيط ، اي تخطيط ابنية الدار الداخلية ، فلم تستطع الهيئة ان ترسمه ، بسبب التجديدات اللاحقة (مخطط ١) •

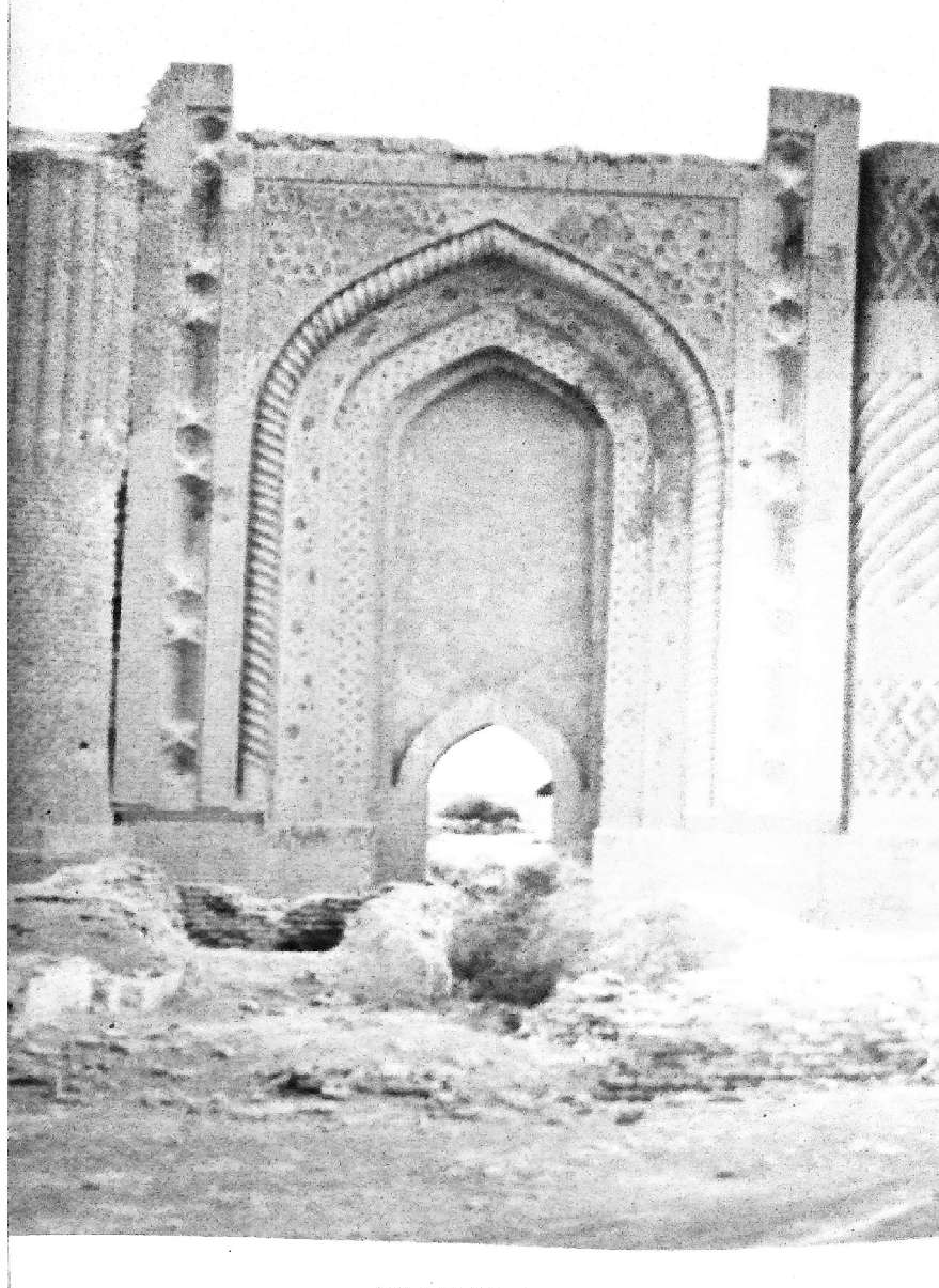
وكشفت هذه التحريات ايضا ان الدار قد هدمت واعيد بناؤها في العصر العباسي الاول • وقد شمل الهدم السور الداخلي وما يضمه من ابنية فقط • وتم ترميم السور الخارجي في هذه الفترة ايضا • والمعروف ان الكوفة كانت مقرا لوالي سيطر على منطقة واسعة من العراق طيلة حكم العباسيين لذا فان الاهتمام بالدار كان كبيرا • ويظهر ان تغييرا اساسيا لم يحدث في تخطيط الابنية الداخلية التي تعود الى العصر السابق • فقد انشئت معظم الابنية الجديدة على نفس اسس الابنية السابقة ولكن هناك اضافات اخرى • واصبحت الدار مستعملة لفترة طويلة بعد ذلك الى الحكم الايلخاني وحدثت فيها غرف وقاعات واروقة تطل على باحة مكشوفة او تحيط بها من كل الجوانب • ويؤشر ما تبقى من جدران هذه الوحدات ان بعضها كان مخصصاً للامور الرسمية وبعضها الآخر للسكن والخدمات الاخرى • واستعمل ايضا الطابوق والجص في تشييد هذه الابنية ولكن بقياسات تختلف عن قياسات طابوق الفترة السابقة • كما كسيت الجدران بطبقة سميكة نسبيا من الجص • وظلت الدار مستعملة لفترة طويلة بعد ذلك الى الحكم الايلخاني وحدثت فيها تجديدات اخرى ولكنها غير مهمة من الناحية التخطيطية والعمارية • (مخطط رقم ٢) •

ويستدل من تخطيط هذه الابنية وعمارتها ان الطراز الذي ساد وانتشر في العراق خلال القرون السابقة لتجديد الدار هو المتبع ايضا في بناء هذه المرافق • ويدعى هذا الطراز بالطراز الحيري الذي كان سائدا في العراق قبل الفتح الاسلامي •

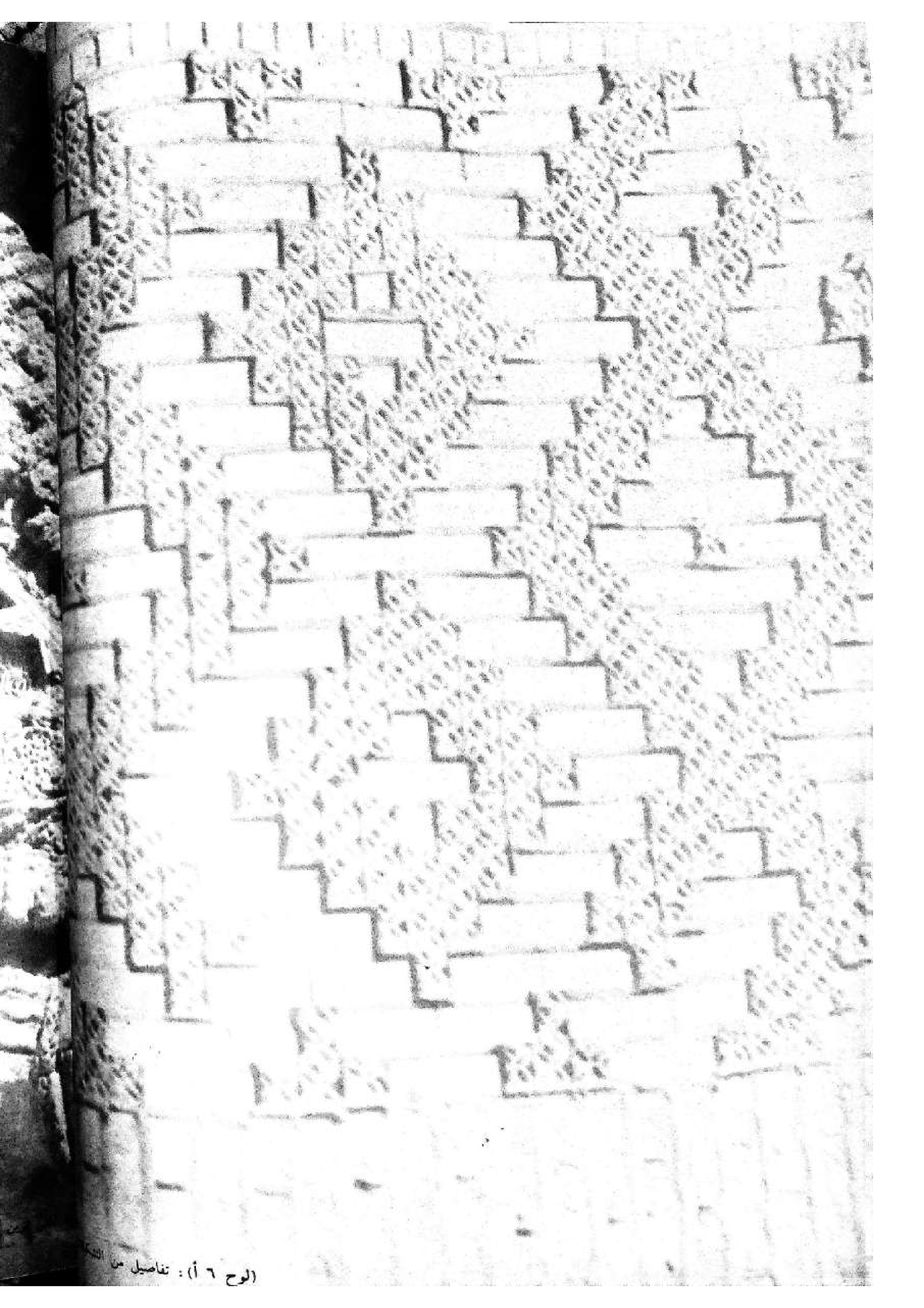
هذا وتقوم هيئة فنية من مديرية الاثار العامة بصيانة ما تبقى من جدار الأسوار والابنية الاخرى كما ذكرنا •

مما لا شك فيه ان تغيير مجرى نهر دجلة في وقت ما كان العامل الاساس لهجر وخراب هذه المدينة المهمة والذي يزور موقعها لا يجد الا تلولا ترابية متناثرة هنا وهناك وانقاض ابنية منتشرة على جانبي واد عميق هو مجرى دجلة القديم • وتقع واسط اليوم الى الجنوب الشرقي من بلدة الحي في محافظة واسط وعلى بعد ١٥ كيلو متر ، وتدعى بين سكان المنطقة بالمنارة نسبة الى بقايا احدى المنارتين أو المأذنتين اللتين تحيطان بمدخل فخم جميل المظهر متناسق الاجزاء• ويحتمل جدا ان هذا المدخل هو مدخل المدرسة الشرابية التي امر ببنائها الوزير الشرابي ، مقدم الجيوش ايام الخليفة العباسي المستعصم بالله • وهناك من يعتقد ان هذا البناء هو مدخل مشهد يعود الى نفس الفترة التاريخية التي بنيت بها المدارس الشرابية • يقوم هذا البناء في الجانب الشرقي من المدينة • والبناء لوحة فنية من الناحيتين المعمارية والزخرفية•ويشبه المدخل فيه المدرسة المستنصرية في ناحية ومدخل المدرسة المرجانية في ناحية اخرى • اما الوحدات الزخرفية التي تغطي اقساما واسعة جدا منه فهي اروع ما انتج خلال النصف الاول من القرن السابع الهجري • فقوام الاشكال الزخرفية فيه عناصر نباتية واشكال هندسية واطر مفتولة نفذت في غاية الدقة والاتقان وجمعت بين الوحدات الزخرفية الهندسية الناتجة من التلاعب او التفنن باوضاع الطابوق والزخارف المحفورة المفرغة على الاجر حيث تداخلت الاشكال الهندسية مع العناصر النباتية في وحدة وانسجام ونتج عن ذلك جملة اشكال وتكوينات يعجز القلم عن وصفها وتفصيلها (لوح ٦) •

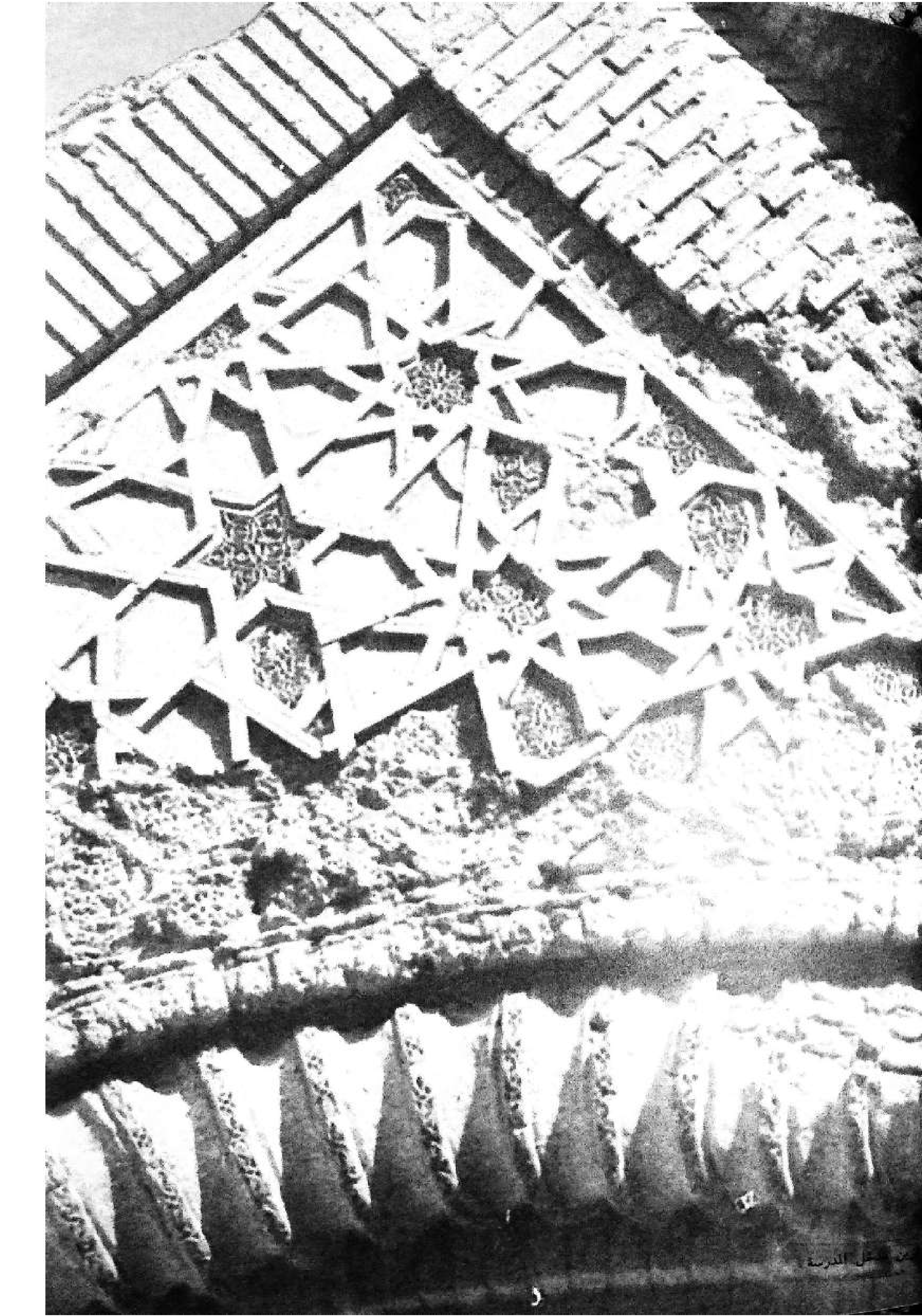
يظهر ان الحجاج بن يوسف الثقفي ، والي العراق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، قد احس بانه من الصعب عليه الاستمرار في ادارة القطر من الكوفة والبصرة حيث كان يقيم ستة اشهر في كل منهما • وتذكر



(لوح ٦) : مدخل المدرسة الشرابية في واسط .



(لوح ٦ أ): تفاصيل من الت



مدخل المدرسة

المصادر التاريخية ان موقف اهل الكوفة كان غير ودي تجاهه • ويحتمل جدا ان هذه العوامل وغيرها هي التي دفعت الوالي لان يفكر جديا في بناء مدينة جديدة تسهل مهمته • فقام الحجاج باعلام الخليفة بصورة الامر الواقع واستأذنه في بناء مدينة جديدة تتوفر فيها المستلزمات الادارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية • فاذن له الخليفة بذلك وبدأ الوالي يستعد لتنفيذ هذا الامر •

الف الحجاج لجنة ، ان صح التعبير ، من اصحاب علم ودراية في قضايا الصحة والزراعة والري والتجارة لاختيار الموقع المناسب لانشاء المدينة الجديدة • وطلب من أعضاء اللجنة أن يكون المكان مرتفعا وعلى نهر جار عذب الماء وان يكون مناخ المنطقة جيدا وطعامها سائغا • فبدأت البعثة تجوب القطر من عين التمر الى البحر فوقع اختيارها على بقعة أرضها بكر ، مرتفعة عن مستوى سطح النهر ، هواؤها عذب وطعامها سائغ على دجلة او دجيلة تتوسط القطر او المدن المهمة فيه مثل الكوفة والبصرة والمدائن • وافق الحجاج على اختيار الهيئة بعد ان وصف له الموضع وشرحت صفاته المميزة •

اختلف الجغرافيون وكتاب السير والتراجم والمؤرخون حول تاريخ الابتداء في انشاء المدينة • فمنهم من ذكر ان الابتداء كان سنة ٧٨هـ/٦٩٧م • اما البعض الآخر فيذكر ان الابتداء كان سنة ٨٣هـ/٧٠٢م وتمت سنة ٨٦هـ/ ٧٠٥م • وفي ضوء بعض الوثائق التاريخية المعروفة لدينا يظهر ان الرواية الثانية هي الصحيحة • ومن غير المحتمل ان يبدأ الوالي ببناء مدينة جديدة بفترة قصيرة جدا من بعد استلامه القطر خصوصا اذا ما عرفنا ان الحجاج قد بذل جهودا كبيرة في سبيل توطيد الاستقرار وضرب الفتن والاضطرابات التي كانت تجتاح القطر آنذاك •

يعتبر تخطيط المدينة الجديدة ، التي دعيت « واسط » لكونها تتوسط مدن العراق ، خطوة الى امام اذا ما قورن بتخطيط البصرة والكوفة على الرغم من ان المباديء الاساسية في تخطيط واسط هي استمرار متطور للصيغ التي اتبعت في

تخطيط المدينتين السابقتين • ويعكس التطور الذي اصاب هذا الفن تغير الظروف الذاتية والموضوعية للدولة العربية الاسلامية لذا فان التغييرات في تخطيط واسط منطقية وتتناسب مع طبيعة المرحلة التي كان يمر بها المجتمع العربي الاسلامي •

جعـــل الحجاج دار الامـارة والمســـــــجد الجامع في قلب المدينة وترك حولهما فاصلا يفصلهما عن الاسواق والدور والخطط • وامر ان يكون القصر مربع الشكل طول ضلعه ٤٠٠ ذراع وان يكون ملاصقا للمسجد الذي جعله مربعا أيضا وبطول ضلع ٢٠٠ ذراع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أمر ان تكون دار الامارة في مركز المدينة تماما حيث تؤدي اليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الاربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة • وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية • وتختلف خطط واسط عن خطط البصرة والكوفة، حيث افرد الحجاج خطط اصحاب المهن ، كل حسب مهنته ، وافرد خطط اهل الشام واهل البصرة والكوفة • وجعل الاسواق تفصل بين الخطط وقلب المدينة • وقد سور المدينة بسورين وخندق ، حسب احدى الروايات ، او بخندقين وسور حسب رواية أخرى • وأمر الحجاج أيضا ان تقام أبواب حديدية في مداخل المدينة تغلق في الليل ولا يسمح لغير اهلها المبيت فيها • ولا نعرف فيما اذا كانت واسط مربعة او مدورة • وتذكر المصادر الادبية ان بناء هذه المدينة قد كلف الوالي خراج العراق لمدة خمس سنوات •

وتؤشر مقارنة تخطيط واسط بتخطيط البصرة والكوفة امورا ذات اهمية خاصة في هذا الفن خصوصا وان تخطيط مدينة السلام يكشف ايضا عن قضايا اساسية تربط بين واسط وبينها • فأول مظاهر هذا التطور هو زيادة سعة دار الامارة على سعة المسجد الجامع وجعلها المركز الاساس للمدينة • وصارت الدار تدعى بقصر الحجاج وعرفت بقبتها الخضراء التي كانت ترى من مسافات بعيدة • ويظهر ان الحجاج قد تأثر مباشرة في تحديد سعة القصر بما كان في دار الامارة في الكوفة في العهد الاموي حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجي ١٧٦ مترا بينما كان طول ضلع المسجد ١٠٣ أمتار • ويعكس

التوسع هذا ازدياد عدد افراد الجهاز الاداري وتنوع المهام حيث جعلت دار السك ، اي ضرب المسكوكات ، ضمن قصر الحجاج . اما خطط المدينة فانها غير قبائلية بل مهنية واقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة . ويستند هذا التطور الى التخطيط ايضا فقسمت واسط الى اربعة ارباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهي في قلب المدينة اما في البصرة والكوفة فكان عدد الشوارع الرئيسية بعدد خطط القبائل تقريبا . ومن مظاهر التطور هذه ايضا تحصين المدينة بسورين وخندق وهذه التحصينات غير مألوفة في البصرة والكوفة لانهما كانتا مراكز انطلاق بالدرجة الاولى اما واسط فصارت مركزا اداريا حيث استقرت مباديء الدين الجديد في القطر وزالت بقايا التسلط والهيمنة الاجنبية . ونرى ايضا ان اختيار الموقع لم يراع فيه قضية المانع الطبيعي بين المدينة الجديدة وحاضرة العالم العربي الاسلامي .

ظلت واسط محتفظة بمكانتها كمركز اداري للعراق طيلة العهد الاموي . ويظهر ان البناء فيها اخذ يمتد الى الجانب الشرقي من النهر فتم بناء جسر ليوصل بين الجانبين . ولم تفقد المدينة اهميتها بعد انشاء مدينة السلام وجعلها حاضرة للعالم الاسلامي . وقامت في واسط حركة تجارية وزراعية وعلمية وادبية ظلت تحتل مكان الصدارة مع المدن العربية الاسلامية لقرون عدة . وتناقل أخبارها المؤرخون والجغرافيون وكتاب السير . لكن مدينة واسط تعرضت ، مثل بقية معظم مدن العراق ، الى صدمة عنيفة عندما دخلتها جيوش هولاكو الوحشية سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وخربت الكثير من مبانيها ومرافقها وقتلت العديد من سكانها . ولم تنج المدينة ايضا من عبث ووحشية جيوش تيمورلنك حيث دخلها احد قادته سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٥م وعاث فيها فسادا .

ورغم هذه الاعمال البربرية اللانسانية قاومت مدينة واسط النكبات وعادت اليها الحياة الطبيعية وعلى الاخص فى القرن التاسع الهجري حيث ازدهرت المدينة وظلت كذلك الى حوالي بداية القرن الثاني عشر الهجري «الثامن عشر الميلادي » حيث بدأ النهر يغير مجراه وبدأ الناس يهجرون المدينة . وخلال فترة قصيرة جدا هجرت المدينة تماما وبدأت عوامل التخريب الطبيعية تعمل



(لوح ٧) : احد اعمدة جامع الحجاج في واسط .

عملها الى ان صارت اكواما من تراب وتلول متناثرة تمتد على جانبي واد عميق وصارت تدعى بالمنارة كما ذكرنا سابقا .

ظلت واسط على ماهي عليه وتناساها الناس الى ان قامت مديرية الآثار العامة بالتحري والتنقيب فيها عام ١٩٣٦م . وقد تركزت التنقيبات في مسجدها وقصر اميرها واستمرت اعمال التحري هذه ستة مواسم . وتم التوصل الى نتائج مهمة حول المسجد والقصر وقبل سنوات قامت هيئة فنية من مديرية الآثار العامة بصيانة الاثر الوحيد الشاخص فيها والذي يدعى بالمنارة .

المسجد الجامع

عززت التنقيبات المعلومات التاريخية بخصوص ابعاد هذا الجامع وموقعه من قصر الحجاج . فقد ثبت انه مربع الشكل ابعاده ١٠٣ر٥٠ × ٥٠ر١٠٤ مترا ، وهي تساوي مائتي ذراع تقريبا . والبناء مشيد بالطابوق والجص وكانت سقوفه تستند على أعمدة اسطوانية غليظة نسبيا ومن حجر رملي يتألف كل عمود منها من عدة مدورات تم الجمع بينها بواسطة سفود حديدي أو رصاصي يمر في وسطها . وأروع ما في هذه الاعمدة الزخارف النباتية والهندسية المحفورة عليها (لوح ٧) . ولاول مرة تكشف التحريات التي اجريت فيه كامل تخطيطه وعلى ثلاث مستويات .

يتألف مسجد واسط الجامع في زمن الحجاج من بيت للصلاة يتكون من اربعة اساكيب وتسع عشرة بلاطة وهذا التقسيم ناتج عن ست صفوف من الاعمدة توازي جدار القبلة ، ويبلغ عدد اساطين كل منها ثماني عشرة اسطوانة . وتتكون كل من المجنبتين من بلاطة واحدة فقط تبلغ عدد أساكيبها ثلاثة عشر اسكوبا اما المؤخرة فتتكون من اسكوب واحد وتسع عشرة بلاطة . (مخطط ٣) . وكانت أرضية المسجد مرصوفة بطابوق أحمر وكان الدخول اليه يتم عن طريق احد عشر بابا ، اربعة منها في كل من المجنبتين والبقية في جدار المؤخرة اما جدار القبلة فليس فيه مدخل . ونتيجة للتجديدات التي اجريت في جامع واسط لم تعثر البعثة على بقايا ابراج أو قواعد لها تعود الى عهد بناء المسجد الاول . ويحتمل جدا ان جدران هذا الجامع كانت

مدعمة بابراج تسندها وتزيد من قوتها خصوصا وان جدران المسجد طويلة وبالاضافة الى ذلك فأن المساجد السابقة خصوصا مسجد الكوفة والبصرة كانت جدرانها الخارجية مدعمة بأبراج نصف اسطوانية • ويكشف تخطيط مسجد واسط الجامع عن استمرار الاسلوب السائد في تخطيط المساجد فى العراق وهو الطراز الحيري •

واظهرت التنقيبات ايضا ان هذا الجامع قد هدم واعيد بناؤه عام ٤٠٠هـ / ١٠١٠م وبدون احداث اية زيادة فيه • وتم الكشف في هذه الطبقة ، عن ابراج نصف اسطوانية تدعم الجدران وتقوم على قواعد مربعة ولم يجر اي تغيير في تخطيطه واستعملت نفس الاعمدة التي كانت تسند سقف المسجد الاول • ويظهر ان الغرض الاساسي من هدم الجامع الاول هو تصحيح قبلته فقد كان جدار القبلة في الجامع الاول منحرفاً بمقـــدار ٣٤ درجة عن الخط القبلي الصحيح • ويحتمل ان الانحراف كان بسبب بناء دار الامارة قبل المســـجد وجعل المسجد يلتصق بجدارها الشمالي الشرقي • وهدم الجامع مرة اخرى عام ٥٥٠هـ / ١١٥٥م واعيد بنـاؤه على نفس المسـاحة وبنفس التخطيـط • ويظهر ان هناك اصلاحا آخر حدث في مسجد واسط في العصر الايلخاني حيث أضيفت بلاطة أخرى الى كل من المجنبتين وتم ترميم الجدران المتهدمـة وأعيد تبليطه من جديد • وكانت المجنبتان والمؤخرة وبيت الصلاة مفتوحة على الصحن تطل عليه ببوائك مفتوحة •

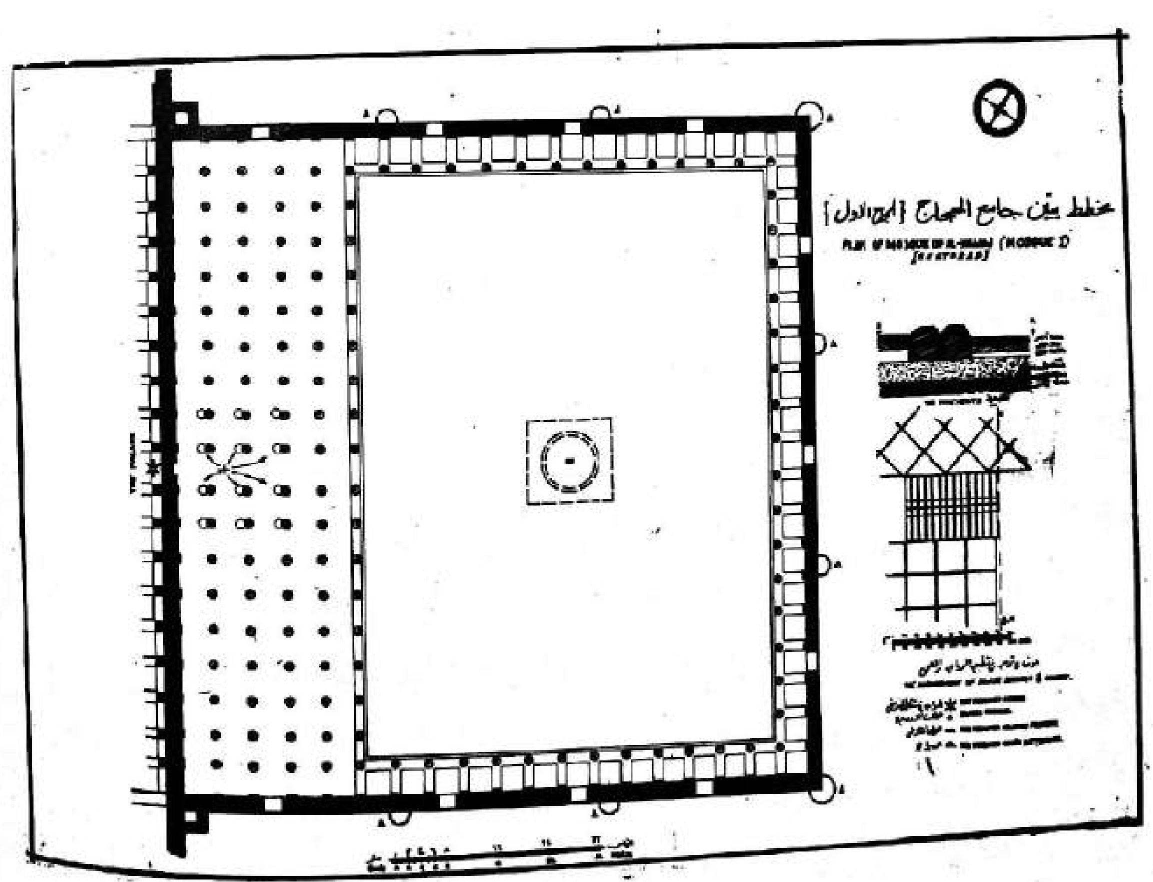
قصر الحجـــاج

اهتم الحجاج اهتماما خاصا في انشاء دار الامارة والتي كانت تدعى بقصر الحجاج • وكما ذكرنا جعل مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع وجعله يلتصق بها عند جدارها الشمالي الشرقي • وجاء انه اسند تخطيط وهندسة وبناء الدار الى اثنين من المهندسين هما القاسم بن انبار وابو شعيبة ابن الحجاج • وكشفت تنقيبات مديرية الاثار العامة عن ان طول ضلع الدار بحدود ٢٠٠ متر وانها مربعة الشكل وتلتصق بالمسجد • ولكن لم تستطع

الهيئة ان تتبع تخطيط القصر وذلك لان الانقاض المتراكمة فوقه تحتاج الى وقت طويل جدا لرفعها ، ويحتمل انها تزيد على ربع مليون متر مكعب • وكان القصر مشيدا بالطابوق والجص مثل الجامع •

اشتهرت الدار بقبتها العالية الخضراء وصارت تعرف بقصر القبة الخضراء • وكانت هذه القبة تشاهد من مسافات بعيدة كما ذكرنا • وكانت لهذه الدار حديقة واسعة وبركة ماء وكانت لها أربعة ابواب يؤدي كل منها الى طريق عرضه ثمانون ذراعا وهي الطرق الرئيسية التي تخترق خطط المدينة، فيكون القصر قلب المدينة كما هو حال قصر الذهب او القبة الخضراء من مدينة السلام •

ان معلوماتنا محدودة جدا عن استعمال هذا القصر بعد الحجاج وبعد العهد الاموي • واما تخطيطه فمن غير المستبعد ان يكون مثل تخطيط دار امارة الكوفة •



(مخطط ٣) : تخطيط جامع واسط على عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (مقتبس فؤاد سفر ـ واسط)

مدينة السلام

على الرغم من ارتفاع مستوى سطح البقعة التي اختيرت لانشاء هذه المدينة عن مستوى سطح البحر وقياسا بما يجاورها من أراض وعلى الرغم من الكميات الكبيرة جدا من المواد الانشائية المستخدمة في بنائها لم يتميز موقعها بأي ارتفاع ظاهر بهيئة تل او موضع مرتفع ضمن المنطقة التي كانت تقوم فيها هذه المدينة وهي المنطقة المحصورة بين دجلة شرقا ومحلة الكرخ جنوبا وبلدة الكاظمية شمالا ومجرى نهر الداودي غربا • فهذه البقعة كانت مغطاة ببساتين نخل كثيفة الى بداية الخمسينات من هذا القرن • امتد اليها العمران وغطى اجزاء واسعة منها ولكن ما زال الجزء الذي تدور الشكوك حوله بأنه بقعة مدينة السلام تغطيه هذه البساتين وبكثافة لا تصدق حيث يصعب جدا التقاط اية صورة جوية لها •

تشير المصادر الادبية الى عدد من العوامل التي فعلت فعلها في تهديم وتخريب مدينة السلام • فقد حوصرت المدينة اكثر من مرة بسبب الصراع على السلطة خصوصا بعد الانقسامات التي اصابت الدولة العباسية • وكان لابتداء العمران في الرصافة وزيادة الاقبال على السكن هناك وفي محلة الكرخ القديمة اثره الفعال في تحديد الاقامة فيها • ويحتمل جدا ان قرار الخليفة بأخراج اصحاب المحلات التجارية منها كان له اثر ايضا في ازدهار الرصافة والكرخ حيث التجارة والصناعة والحياة غير المقيدة ضمن اسوار عالية ضخمة • وقد اثر اتخاذ عاصمة جديدة للخلافة العباسية اكبر الاثر على هجران مدينة السلام • فقد ازدهرت سرمن رأى قبل ان يمضي قرن من الزمن على بناء حاضرة العباسيين الجديدة • وتروي كتب التاريخ اخبار الفيضانات

العاتية التي تعرضت لها المدينة من دجلة والفرات خصوصا اذا ما علمنا ان المواد البنائية التي شيدت منها هذه المدينة كانت من النوع الذي لا يقاوم الماء والاملاح فكان لهذه الفيضانات والامطار ابلغ الاثر في تخريب المدينة واندثارها . هذه العوامل مجتمعة وعوامل مهمة اخرى مثل التآكل المستمر الذي يحدثه نهر دجلة في ضفتيه الشرقية والغربية ادت الى ضياع مدينة السلام ذات التخطيط المتميز بين تخطيطات المدن العربية الاسلامية وذات المكانة الدينية والحضارية البارزة في العالم الاسلامي اجمع .

وفي محاولة لايجاد موقع مدينة السلام قامت ، قبيل سنوات ، هيئة فنية من قسم الاثار في كلية الاداب بجامعة بغداد وبعد عقد اكثر من ندوة من قبل المتخصصين في هذا الامر لمناقشة المعلومات التاريخية وما ورد بشأن مدينة السلام بالتحري والتنقيب في محلة العطيفية . وكشفت البعثة عن قطع فخار وخزف وبضعة مسكوكات وجدران من لبن تغطيها زخارف محفورة على الجص ومتقنة الصنعة . وجميع اللقي تشير الى انها تعود الى فترة انشاء مدينة السلام . ولكن وعلى مستوى مترين من سطح الارض عرقلت المياه الجوفية سير التنقيب لتتبع الجدران والنزول الى مستوى أعمق ؛ هذا على الرغم من ان دجلة كانت في اخفض مستوى لها انذاك .

يظهر ان الحياة لم ترق للخليفة ابي جعفر المنصور (١٤٥ – ١٥٨هـ / ٧٦٢-٧٧٤م) في الهاشمية فقرر بناء مدينة جديدة تخلد اسمه وتتناسب مع عظمته وطموحاته . كان ذلك عام ١٤٥هـ ويقال انه كلف اهل العلم والمعرفة ، بمثل هذه الامور ، لاختيار الموضع المناسب وفق مواصفات معينة ، ادارية واقتصادية واستراتيجية . ووقع اختيار الهيئة ، بعد ان طافت في القطر ، على موقع يتوسط العراق تقريبا يقع على نهر دجلة في ارض زراعية يسهل الوصول اليها برا وبحرا وغير خالية من السكان تماما . ووافق الخليفة على اختيار الهيئة بعد ان وصف له المكان ومزاياه . وقد جاء ان الخليفة هو الذي اختار بنفسه موقع مدينته الجديدة وأمر ان يبدأ البناء فيها بذلك العام .

أثار تخطيط وبناء مدينة السلام اعجاب المؤرخين الجغرافيين وكتاب السير والخطط . فوصفت بأنها فريدة في شكلها وروعتها ودقة تخطيطها وليس هناك ما يناظرها في مدن الاولين واللاحقين . واختلف الرواة حول الشخصية التي قامت بتنظيم مدينة السلام ، فذكر بعضهم ان الخليفة نفسه قد صب عبقريته وسعة اطلاعه وطموحاته في تخطيط المدينة . وانه امر ان يعلم التخطيط على الارض بمادة قابلة للاشتعال فاشعل فيها النار ليلا فظهر له شكل المدينة التي اراد لها ان تكون حاضرة لاعظم امبراطورية في العالم انذاك . وهناك من يقول ان من هندس او صمم تخطيط مدينة السلام هو المهندس المعروف الحجاج ابن ارطأة والرواية الأخيرة اقرب الى الصحة فتخطيط المدينة يكشف عن ان العقلية التي وضعته هي عقلية هندسية ذات اطلاع واسع بعلوم تخطيط المدن وهندستها . اما الخليفة فنعتقد انه اقدر في الهندسة السياسية منه في هندسة المدن .

ولا ينطبق اعجاب القدامى ودهشتهم على واقع الأمر ففيه مبالغة وعدم الدقة في تقييم الأمور . فلا ينكر ان تخطيط مدينة السلام هو اروع ما وصل اليه فن تخطيط المدن في العالم العربي الاسلامي والعالم اجمع ويمثل قمة تطور هذا الفن . ولكن دراسة تخطيط البصرة والكوفة وواسط يكشف عن ان هذا الفن قد ولد في تخطيط البصرة وشب في بناء الكوفة ونضج عند انشاء واسط ثم ازدهر واينع في بناء مدينة السلام .

امر الخليفة باحضار المهندسين والصناع والعمال واهل الخبرة في شؤون البناء ومختلف الصناعات من كافة اقاليم الامبراطورية ، وقيل ان عددهم قد بلغ بحدود المائة الف شخص ، وكانوا يتقاضون اجرا لقاء اعمالهم هذه . ويظهر ان البناء ابتدأ اولا في القصر ودواوين الدولة وقصور الامراء والتي كانت تتوسط المدينة وتم انجاز ذلك خلال سنة واحدة فقط وتم ايضا انجاز دور السكن والمسجد في نفس العام . اما الاسوار فقد اكملت فيما بعد ذلك . ودعا الخليفة مدينته هذه مدينة السلام .

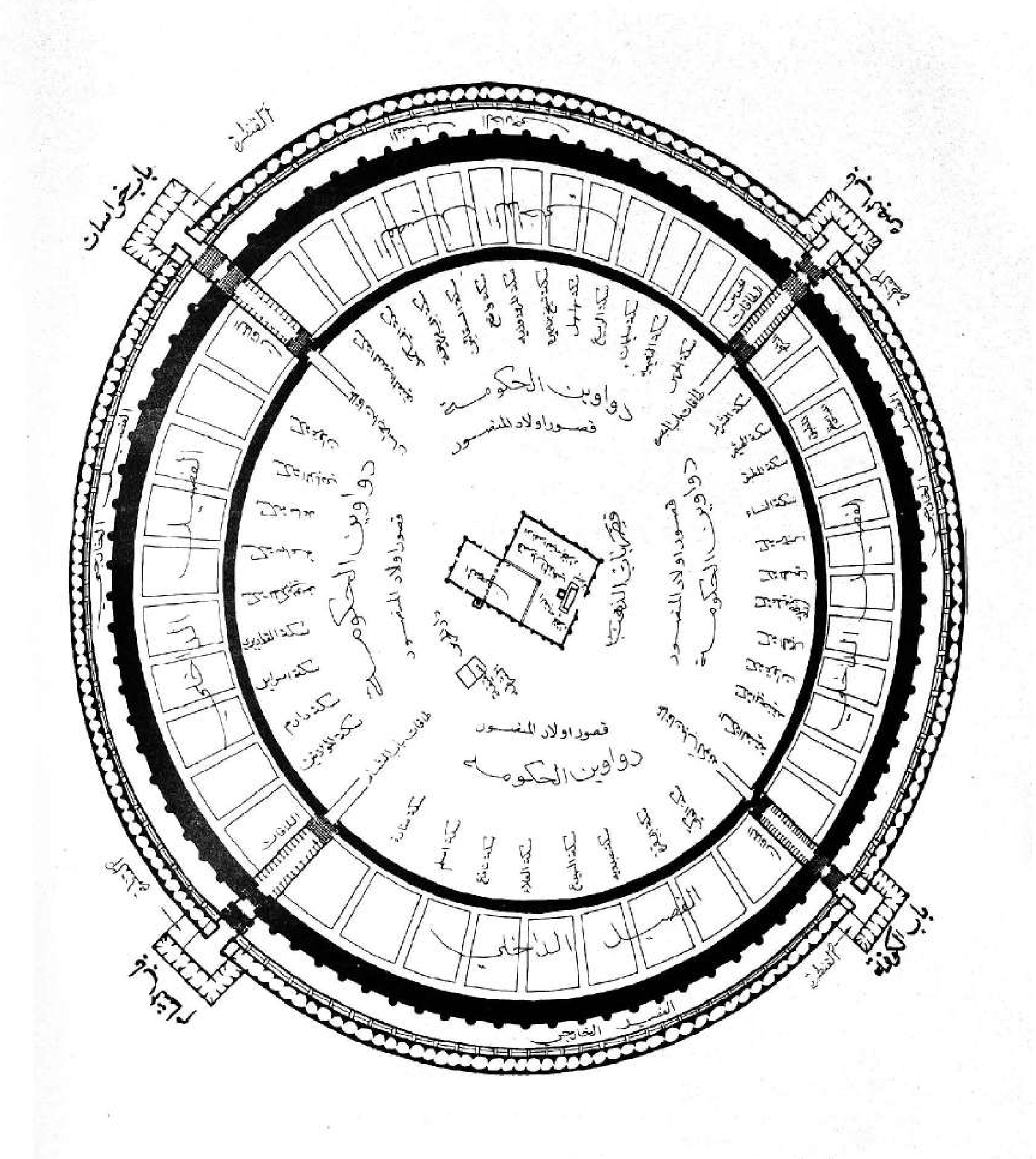
ان ابرز ما يميز مدينة المنصور هو شكلها المدور فقد اتقن من خططها تدويرها وجعلها بهيئة حلقات متتابعة تصغر كلما اقتربت من المركز حيث يشغل قصر الخليفة النقطة المركزية المحورية الرئيسية فيه • اما صفتها الثانية المميزة فهي تحصينها القوي جدا والمتألف من خندق وسورين هائلين حسب بعض الروايات او من خندق وثلاثة اسوار حسب روايات اخرى • وتؤلف هذه الحلقات الرئيسية المتتابعة في تخطيط المدينة •اما الميزة الثالثة التي تتصف بها المدينة فهي ترتيب الاسواق على جانبي الشوارع الاربعة الرئيسية التي تربط قلب المدينة بجسور الخندق الاربعة والتي يؤدي كل منها الى احد المداخل الاربعة في سور المدينة الخارجي • وصفتها الرابعة هي جعل خطط الناس بين السور الاعظم والسور الفاصل بينها وبين القسم المركزي في المدينة والذي دعي بالرحبة العظمى • وقد جعلت الخطط ذات طابع هندسي اي تخترقها شوارع مستقيمة تؤدي الى شوارع رئيسيــة اخرى تفصل بين الخطط والاسوار • وتتصف المدينة من ناحية أخرى بعدم وجود حدائق وأسواق وفي ذلك فائدة اذا ما اخذت المادة البنائية التي شيدت بها المدينة بعين الاعتبار • ومعلوماتنا التي أوردتها المصادر التاريخية واسعة عن تخطيط المدينة ومفصلة ولا تقارن بما نعرفه عن البصرة والكوفة وواسط •

وتخطيط المدينة رائع كما ذكرنا اذا ما تتبعناه من الخارج ، فالداخل الى المدينة يجب ان يعبر احدى القناطر الاربع المشيدة على الخندق • والخندق عميق يطوق المدينة ويغذي بالماء من نهر كرخايا وليس من دجلة مباشرة• وتدعم الخندق هذا مسناة متينة مشيدة بالطابوق والنورة • ويلي الخندق السور الخارجي الاول • ويحتمل جدا ان المداخل التي كانت تخترق هذا السور ذات صفة حربية ومعلوماتنا غير دقيقة عن عرض هذا السور وارتفاعه وسمكه • ويفصل السور الاول عن السور الثاني فصيل بعرض ٥٠ مترا خال من البناء • اما السور الثاني فهو السور الرئيسي في المدينة ويدعى بالسور الاعظم • وجاء ان ارتفاعه كان حوالي ٣٠ مترا وعرض اساسه ٤٥ مترا ويتناقص هذا العرض

كلما ارتفع السور الى ان يصبح ١٢ مترا • ومعروف ان هذا السور كان مدعما بأبراج من الخارج ذات شكل نصف اسطواني يبلغ عددها ١١٣ برجا حيث تتوزع بين المداخل الاربعة بمعدل ٢٨ برجا بين كل بابين ، ماعدا المسافة بين باب الكوفة والبصرة فيبلغ عددها ٢٩ برجا • وتقع المداخل التي تخترق السور الاعظم على استقامة تلك التي تنفذ من السور الخارجي •

ودعيت هذه المداخل الاربعة ، اى ابواب السور الاعظم ، بأسماء الاقاليم او المدن المتجهة اليها فسمي الشمالي الغربي بباب الشام ودعي الجنوبي الغربي بباب الكوفة وسمي الجنوبي بباب البصرة اما الشرقي فدعي بباب خراسان • واقيمت فوق كل باب قبة عالية • ويظهر ان الدخول من هذه المداخل كان ممكنا حتى على ظهور الخيل • وذكر ايضا ان المداخل التي تخترق السور الاعظم كانت لها أبواب من حديد يستلزم فتحها وغلقها عددا من الرجال • وهناك من يعتقد ان المداخل المزورة هي مداخل هذا السور وليس السور الاول •

ويبلغ عرض الفصيل الثاني حوالي ١٥٠ مترا وقد خصص هذا الفصيل لخطط من سكن مدينة السلام من الناس وجعلت هذه الخطط متناسقة وهندسية تخترقها شوارع رئيسية تؤدي من جهة الى شارع رئيسي يفصل بين هذه الخطط والسور الثالث من جهة والى شارع اخر يعزلها عن السور الاعظم من الجهة الثانية • وكانت خطط المدينة غير قبائلية بل مهنية بالدرجة الاولى • اما الشوارع الاربعة الرئيسية التي توصل بين مداخل السور الاعظم ومداخل السور الثالث فانها تخترق الخطط بهيئة دهاليز مسقوفة • وعلى جانبي الدهليز من الداخل صفوف طاقات أو حنايا جعلت حوانيت للباعة والتجار في المدينة • اما السور الثالث فيفصل بين الخطط والرحبة العظمى او وسط المدينة حيث يحتل قلبه قصر الخليفة ولصقه المسجد الجامع وحولهما دائريا أيضا دواوين الدولة (مخطط ٤) وهناك تباين واختلاف في عدد



(مخطط ٤) : تخطيط مدينة السلام المدورة (مقتبس مصطفى جواد واحمد سوسه)

الاسوار وقياساتها وسعة الارض التي تفصل بينهـا ، وقد اعتمدنا اقدم تلك الروايات التي وردت حول تخطيط مدينة السلام.

جعل الخليفة القصر ، الذي كان يدعى بقصر القبة الخضراء ، في نقطة تقاطع الشوارع الرئيسية التي تقسم المدينة الى اربعة ارباع . ومن المحتمل ان يكون للخليفة هدف سياسي من وراء ذلك . وقد امر ان يكون طول ضلع قصره ٤٠٠ ذراع اي حوالي ٢٠٠ متر وان يكون الابتداء به اولا وقبل كل الابنية الأخرى . وجعل المسجد ملتصقاً بالقصر من الجهة الشمالية الشرقية وان يكون مربع الشكل طول ضلعه ٢٠٠ ذراع اي حوالي ١٠٠ متر ومن الصعب ان تضبط قبلة المسجد او موضع محرابه بالاتجاه الصحيح خصوصا بعد ان اكمل القصر فحدث خطأ في قبلة المسجد ، وكما هو الأمر في مسجد واسط ، شيد القصر بالطابوق والجص اما المسجد فباللبن مثل اسوار المدينة . وكان اللبن المستعمل في بناء مدينة السلام كبيرا جدا فقد جاء ان ابعاد اللبنة الواحدة كانت ذراع × ذراع . وقد تم انجاز بناء القصر والمسجد والدواوين والدور العامة خلال عام واحد فقط اما الاسورا فلم تكمل الا في عام ١٤٩هـ / ٧٦٦م .

أشرنا سابقا الى العلاقة بين تخطيط هذه المدينة والمدن السابقة بصورة مقتضبة . والآن وبعد ان استعرضنا تخطيط مدينة السلام فمن المفيد ان نؤشر اوجه التشابه بين هذه المدينة ومدينة واسط على وجه الخصوص حيث نرى ان اكثر من وجه لهذا التشابه . واول مظهر من مظاهر الشبه هذه هي طريقة تحصين المدينة . فواسط محصنة بسورين وخندق او خندقين وسور وكانت ابواب اسوارها تغلق ، وكانت معمولة من حديد بحيث يستوجب تحريكها عدة رجال . وحصنت مدينة السلام بنفس الطريقة اي اسوار وخندق فبعض الروايات تقول انها كانت محصنة بسورين وخندق وبعضها يذكر ان.

لها ثلاثة أسوار وخندق ، وكانت أبواب أحد أسوارها من حديد يستلزم فتحها وغلقها عدة رجال • اما من ناحية التخطيط فهناك تشابه ايضا ويتمثل ذلك في جعل المدينة أربعة أرباع بواسطة أربعة شوارع رئيسية تخترق المباني باستقامة تامة وتلتقي أو تتقاطع في مركز المدينة وتتوزع بينها خطط الناس ، ويستند هذا التناظر الى طبيعة الخطط فهي في كلتا المدينتين غير قبلية وذات طابع مهني بالدرجة الاولى • على اننا لا نعرف فيما اذا كانت الشوارع الاربعة الرئيسية في واسط تؤدي الى اربعة ابواب في اسوارها • وتتطابق قياسات القصر والمسجد وموقعهما من المدينة في كلتا المدينتين • فكما ذكرنا ان طول ضلع القصر في واسط ومدينة السلام هو ٤٠٠ ذراع وطول ضلع المسجد في كليهما هو ٢٠٠ ذراع • وجعل القصر في كليهما النقطة المركزية اما المسجد فجعل ملاصقا للقصر وبني بعد أن تم بناء القصر لذلك فأن الانحرافات الواقعة في مسجد الحجاج عن جهة القبلة هو نفس الانحراف الذي ذكره المؤرخون في مسجد المنصور وأمتد هذا التناظر الى التسمية ايضا فدعي قصر الحجاج بقصر القبة الخضراء ودعي قصر المنصور ايضا بقصر القبة الخضراء ، بالاضافة الى تسمية اخرى هي قصر باب الذهب او قصر الذهب •

وتكشف هذه المطابقات عن ان تخطيط مدينة السلام هو عبارة عن استمرار لتخطيط واسط ولكن طور في مجالات معينة ليتناسب مع اهمية المدينة الجديدة التي اريد لها ان تكون عاصمة العالم الاسلامي فاتقن تدويرها واهتم المؤرخون والجغرافيون بوصفها والاشادة بها • اما واسط فكانت مجرد مدينة صغيرة نسبيا بنيت لتكون مقرا لوالي القطر ليس الا •

ولم تكن مدينة السلام واسعة جدا • فكانت عبارة عن مركز اداري ضخم ضم مجموعة من البشر • واذا ما اعتبرنا قياسات عرض الاسوار والفراغات بينها وقطر الرحبة الكبرى فأن قطر مدينة السلام لا يزيد عن كيلو متر ونصف الكيلو متر لذلك فهي ليست كبيرة • ونعرف ان الخليفة قد

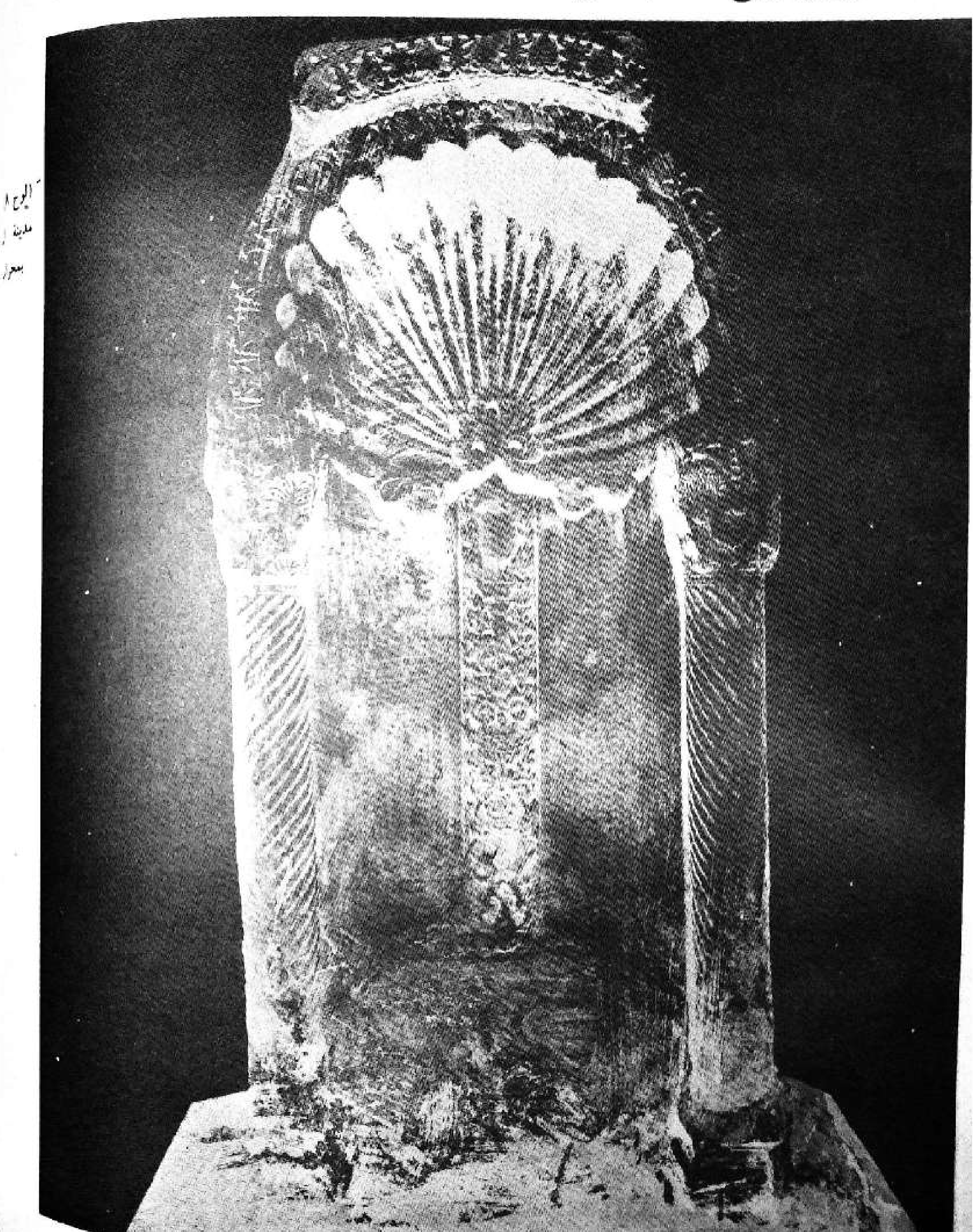
يمنح اقطاعات لافراد عائلته وكبار رجال دولته منذ تأسيسها وعلى امتداد نهر دجلة شمال وجنوب المدينة كما انه جعل ثكنات جيش ابنه المهدي في الجانب الشرقي من دجلة وتم الوصل بينها وبين مدينة السلام بجسر وكانت الكرخ من المحلات التي بدأت تتوسع وبسرعة وخصوصا بعد ان تم ترحيل التجار من مدينة السلام •

المسجد

كان مسجد مدينة السلام مربعا ، كما ذكرنا ، ويتناظر في سعته مع مسجد واسط ومسجد الكوفة • وقد شيد باللبن وجعل ملاصقا لقصر الخليفة • ولا نعرف تخطيط هذا المسجد ويحتمل انه على نمط تخطيط جامع الحجاج • ومما يذكر ان الخليفة هارون الرشيد امر بهدمه عام ١٩٢هـ/٨٠٨م وأعاد بناءه بالطابوق والجص ووسعه ويظهر ان العملية قد استغرقت ما يقارب السنة حيث انجز العمل فيه عام ١٩٣هـ / ٨٠٩م • واهم ما حدث فيه امر الخليفة المعتضد بالله عام ٢٦٠هـ/٨٧٤م بأضافة جزء من قصر المنصور اليه وذلك بفتح ١٧ طاقا في الجدار المشترك بينهما وكانت ثلاثة عشر منها تطل على الصحن والبقية على الاروقة• ويكشف مما ورد حول هذه الزيادة ان بيت الصلاة قد جعل في القسم المضاف حيث تم تحويل المحراب والمنبر والمقصورة اليه • ويمكن التعرف ايضا على تخطيط المسجد بعد ان جدده الخليفة هارون الرشيد • فالظاهر ان كل مجنبة فيه كانت تتكون من رواقين وان المؤخرة وبيت الصلاة كانت تتألف كل منهما من سبع عشرة بلاطة اي بعدد الطوق او الفتحات التي توصل بين القسمين •

وظل الجامع يستخدم للصلاة على الرغم مما اصاب مدينة السلام من خراب ودمار ولفترة طويلة • فقد ذكر الرحالة ابن بطوطة الذي زار بغداد سنة ٧٢٧هـ/١٣٣٧م ان الجامع كان سليما ولا نعرف عنه اي شيء من اشارة ابن بطوطة هذه • وهناك اعتقاد ان المحراب المعروف بمحراب جامع

الخاصكي (لوح ٨) هو محراب جامع مدينة السلام وهو يتألف من قطعة واحدة من الرخام وهو بهيئة حنية مجوفة يتوجها عقد جميل يستند طرفاه على عمودين حلزونيين يتوج كلا منهما تاج مغطى بأشكال زخرفية.



اللوح ٨
مدينة ا
بمعز

القصر

اراد الخليفة لقصره ان يكون في وسط مدينة السلام تماما ، وفسر ذلك ان الخليفة اراد بذلك التعمير عن فكرة آمن بها وهي ان خليفة رسول الله هو القلب وهو المركز ويجب ان يكون على بعد واحد من سكنة مدينته . وكان القصر واسعا ومربع الشكل طول ضلعه ٤٠٠ ذراع ، ومشيدا بالطابوق والجص ولكن لم يذكر المؤرخون الكثير او حتى القليل عن تخطيط هذا القصر عدا اشارة عابرة عن غرفة نوم الخليفة التي ذكر انها تتألف من قاعة واحدة يتقدمها رواق مستند على اعمدة ويطل على صحن .

وكان القصر يدعى بأكثر من اسم منها قصر ابي جعفر المنصور وقصر القبة الخضراء وقصر باب الذهب او قصر الذهب . وكان لكل من هذه التسميات دوافعها او مبرراتها فدعي بقصر القبة الخضراء نسبة الى القبة الخضراء التي كانت تتوجه والتي كانت تقوم على ايوان مجلس يشكل الطابق الثاني لايوان آخر وجاء ان القبة هذه كانت ترتفع حوالي ٣٠ مترا عن مستوى سطح الارض . وكان على رأسها تمثال لفارس يحمل رمحا ويدور مع الريح وكانت ترى من اطراف المدينة فكانت منار مدينة السلام وعلمها . وذكر انه في السابع من جمادي الآخرة سنة ٣٢٩هـ / ٩٤١م هبت عاصفة رعدية شديدة فسقط رأس القبة وسقطت القبة كلياً عام ٦٥٣هـ / ١٢٦٦م على اثر الفيضان الذي اغرق مدينة السلام . اما نعته بقصر الذهب او قصر باب الذهب فيحتمل انه نابع من ان بعض اقسام او غرف القصر او احد ابوابه كانت مذهبة .

ولم يسكن احد من الخلفاء هذا القصر عدا الخليفة الأمين الذي تحول اليه بعد ان بويع بالخلافة وكان يسكن قبل ذلك في قصر الخلد الذي امر بأنشائه الخليفة المنصور ايضا عام ١٥٧هـ / ٧٧٤م خارج اسوار المدينة المدورة . ويظهر انه كان على شاطيء دجلة قرب الجسر الذي كان يربط بين المدينة المدورة وعسكر المهدي او الرصافة . وقيل ان المنصور قد بنى الخلد لنفسه ولكنه لم يسكن فيه فقد توفي سنة اكماله .

الرصافة أو عسكر المهدي

لم يرد الخليفة المنصور لمدينة السلام ان تكون ثكنة عسكرية بل كان همه الاول ان يجعل منها مركزا مدنيا واداريا للعالم الاسلامي ، لذلك أمر أن تكون ثكنات الجيش ، الذي كان يقوده ولي العهد المهدي ، في الجانب الشرقي من دجلة ، في مكان مقابل للمدينة المدورة اطلق عليه اسم عسكر المهدي أو الرصافة • ويظهر من الروايات التاريخية الواردة بهذا الشأن ان المكان كان فيه البداية مجرد معسكر للجيش العباسي ثم ابتدأ البناء فيه عام ١٥١هـ خصوصا بعد ان عاد الجيش من الرى بقيادة المهدي • وذكر ان الخليفة المنصور قد بنى لولي العهد محمد المهدي « الرصافة » وجعل لها سورا وخندقا وميدانا واوصل الماء الى الخندق وتم انجاز ذلك عام ١٥٤هـ / ٧٧١م •

ويبدو ان محمداً المهدي فضل الاقامة في الرصافة بعد ان اصبح خليفة المسلمين ، على السكن في مدينة السلام • فقد امر عام ١٥٩هـ/٧٧٦م ، اى بعد وفاة المنصور بسنة واحدة ، ببناء مسجد فى الرصافة قيل انه اكبر من جامع مدينة السلام وأحسن بناء منه • وامر ايضا ببناء قصر له في قلب المدينة بالقرب من المسجد الجامع • وقد فضل عدد من الخلفاء سكن قصر الرصافة وخصوصا المأمون • وكان لهذا الامر اثره الفعال في عدم توسع مدينة السلام او الجانب الغربي من العاصمة • وكما ذكرنا ان المنصور وأبنه المهدي قد أقطعا علية القوم اقطاعات في الجانب الشرقي وتم وصل الجانبين بجسر ايام خلافة المنصور • وبمرور الزمن نشأت المحلات او الاحياء حول الرصافة مثل محلة الشماسية ومحلة المخرم وكثرت القصور في الجانب الشرقي فنقلت الدواوين اليه • وذكر ان جعفرا البرمكي قد بنى قصرا خارج سوق الثلاثاء دعي بقصر الجعفرية وصار فيما بعد ، أي في عهد المأمون ، يدعى بدار الخلافة والحريم الخليفي وموضعه الان على اكثر احتمال فى

محلة المأمونية • وكانت دار الخلافة هذه نواة لبغداد الشرقية حيث بنيت حولها المباني وامتد العمران حولها •

وقد اثر على عدم توسع بغداد وازدهارها قرار الخليفة المعتصم بالله بأنشاء مدينة سرمن رأى • ولكن وبعد مضي فترة لا تزيد على ستين عاما عاد الخلفاء الى بغداد وبدأ العمران فيها ثانية • واشتهر من قصورها في هذه الحقبة الحسني الذي بني في بغداد الشرقية وظل يسكن من قبل الخلفاء الى سقوط بغداد ٦٥٦هـ/١٢٥٨م • وذكر المؤرخون وكتاب السير عدة قصور ومبان مدنية اخرى ودينية اقيمت في بغداد خلال تلك الفترة • ومن قصورها المشهورة الجعفرى والتاج والفردوس • وفي عهد الخليفة المقتدر بالله شيدت عام ٣٠٥هـ/٩١٧م مبان عدة تابعة لقصر التاج وأسس قصر دار الشجرة المشهور وقصر الجوسق المحدث • وقد حدث ايام الخليفة المقتفي لامر الله عام ٣٢٩هـ / ٩٤٠م فيضان هائل في الفرات اغرق مدينة السلام • ثم تعرضت بغداد عام ٣٣٤هـ / ٩٤٥م الى غزو بويهي بقيادة احمد بن بويه الذي خلع الخليفة المستكفي ونصب المطيع لله • ويظهر ان الخلفاء سلموا السلطة الفعلية للبويهيين وانشغلوا بالتمتع بملاذ الحياة • فقد امر الخليفة المطيع لله ببناء قصر الطواويس والدار المربعة والمثمنة ووسع الحرم • وشاع في هذه الفترة بناء المارستانات والربط • واشتهر من هذه المباني دار مؤنس المظفر التي سكنها معز الدولة الى حين الانتهاء من بناء الدار المعزية عام ٣٥٠هـ-٩٦١م وكانت عند باب الشماسية • وتم تشييد المارستان العضدي في مكان قصر الخلد وشيد معز الدولة دار المملكة البويهية عام ٣٦٧هـ/٩٧٨م • ويكشف هدم الخلد وبناء مارستان مكانه عن حقد البويهيين على التراث العربي الاسلامي ومحاولتهم ازالة كل ما يمت بصلة اليه وبتبريرات غير مقبولة بعد ان سلبوا السلطة من الخلفاء العباسيين •

كان موقف البويهيين غير مشرف فلم يقدموا الكثير للبلد بل كان همهم اهانة الخليفة وجعله العوبة بأيديهم • وكان ذلك عاملا مشجعا لغزاة جدد

دخلوا بغداد بالقوة واجبروا الخليفة على الاعتراف بسلطانهم على ما كان يحكم من الاقاليم العربية والاسلامية . دخل السلاجقة بغداد عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م ، واول عمل قاموا به هو الحاق مبان جديدة بدار المملكة البويهية من جهة الجنوب ودعيت بدار السلطنة . وقام السلطان ملكشاه ببناء جامع كبير عام ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ملحق بهذه الدار ثم اضيفت لها الاسواق والخانات ودار للسكن ولكنها احترقت عام ٥١٥هـ / ١١٢١م ولم يبق منها شيء . واخذ العمران ينتشر في المنطقة المتصلة بدار الخلافة . ويظهر ان الحاجة اصبحت ماسة لتحصين المدينة وزيادة قوتها الدفاعية . فكانت البداية عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م ببناء سور حربي حول بغداد الشرقية ، يضم داخله دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي انشيء حولها . وجعل لهذا السور مسناة على خندقه وعرف بمداخله الضخمة جداً وذات الطابع الحربي المميز ودعيت هذه الابواب باسماء هي باب السلطان وباب المظفرية وباب الحلبة (الوسطاني) وباب الطلسم . وقد ظل هذا السور قائما حتى اواخر القرن الثالث عشر للهجرة (بداية القرن العشرين) وما زالت احدى بواباته قائمة الى يومنا هذا وهي بوابة الحلبة وتدعى الآن بالباب الوسطاني وخلال هذه الفترة انشأت مرافق خاصة للتعليم الديني وغير الديني وفصلت عن المساجد والمشاهد ودعيت بالمدارس واشتهرت منها المدرسة النظامية التي كانت في محلة الحضائر بالقرب من المدرسة المستنصرية .

وقبل ان ينتهي القرن السادس الهجري ، الذي شهد نهاية التسلط السلجوقي على يد الخليفة الناصرلدين الله زار بغداد عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م الرحالة العربي المعروف ابن جبير الذي ذكر ان الجانب الغربي من بغداد قد عمه الخراب اما الجانب الشرقي فهو الجانب العامر . وكانت دار الخلافة التي تقع في محلة المربعة الحالية هي ابرز ما في بغداد الشرقية . وكانت قصور الخلفاء تطل على دجلة . ويظهر ان العمران اخذ يتجه بعد ذلك نحو الجنوب مبتعداً عن دار الخلافة . واشتهرت من محلات بغداد محلة سوق الثلاثاء

والمدرسة المستنصرية ودار القرآن . وكان يربط بغداد الشرقية بالكرخ جسران وازدهرت الحياة جدا في بغداد خلال النصف الاول من القرن السابع الهجري وكثر عمرانها واشتهرت بمدارسها ومساجدها ومرافقها العامة والخاصة الاخرى وصارت اكبر مركز اشعاع فكري وحضاري في العالم الاسلامي اجمع .

وقد افقد احتلال هولاكو الوحشي بغداد الكثير من عظمتها كعاصمة رئيسية ومركز للدين الاسلامي ولم تعد اكثر من مركز لقطر العراق العربي . ومعلوماتنا ليست واسعة عن بغداد بعد الاحتلال المغولي لها . وأول من وصفها ، وبعد مرور اكثر من نصف قرن من الاحتلال ، الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي مر بها عام ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م . وقد ذكر سوق الثلاثاء والمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية والمرجانية ودور علم اخرى وشاهد جامع المنصور . وذكر ان المارستان العضدي عبارة عن قصر كبير مخرب . واشار ايضا الى جامع السلطان وجامع الرصافة وجسرين لم يذكر موقعهما كما ذكر سور بغداد وبواباته الاربع المشهورة .

وفي عام ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م وضع نصوح السلامي المطراقي ، صورة لبغداد ثبت فيها المواضع المهمة ، كما كانت عليه بعد احتلال السلطان سليمان القانوني لها . وقد جعل سور بغداد الشرقية بثلاثة ابواب . ووصف الرحالة الاوربيون بغداد في القرن السابع عشر الميلادي وكان اولهم الفرنسي تافرينيه الذي زارها في الربع الثاني من القرن السابع عشر الميلادي وكانت ترزح تحت حكم الصفويين ثم زارها مرة اخرى بعد ان احتلها العثمانيون فوصفها بأن محيطها كان بحدود ثلاثة اميال ولها سور مشيد بالطابوق نصبت فوقه زهاء الستين مدفعا . وكان للسور اربعة ابواب ولها ، اي للمدينة ، جسر على قوارب ، وكان داخل السور قلعة وخمسة جوامع وعشر خانات وقد وضع لها خريطة .

وتجدر الاشارة الى وصف السائح الدانماركي كارستن نيبور ، الذي زارها عام ١٧٦٦م ، فقد ذكر مشهد الشيخ عبد القــادر الكيلاني وجامع الخلفاء والمدرسة المستنصرية والمرجانية والقلعة وضريح ابي حنيفة كما اشار الى مشهد السيدة زمرد خاتون وهو اول من سمى المشهد باسم ضريح الست زبيــدة . وفي أوائـل القــرن الحالي وضـــع ساره وهرزفلد خارطـة لبغـداد ثبتا عليها موضـــع مدينـة المنصــور وسور بغداد الشرقية وأبوابه الاربعة والشيخ جنيد وبراثا . ويبــدو انهما اســتعانا بخارطة جونسن وكولينكورد في وضع خارطتها . وادق خريطة لبغداد تلك التي إنجزها السيد رشيد الخوجة لها عام ١٩٠٨م . فجاءت خريطته مؤيدة لخارطة ساره وهرزفلد . ويعتبر مسح رشيد الخوجة آخر مسح لها قبل الاحتلال البريطاني البغيض سنة ١٩١٧م . ومن المواضع المهمة التي أبـرزهـا رشيد الخوجة في خارطته قسم من سور بغداد الشرقية كما رسم نهر المسعودي (نهر الخر) وثبت أهم محـلات بغـــداد . وأخيرا يبــدو ان المدينة كانت أقـــرب ما تكون الى وضعها الاخير قبل الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧م .

سُرَّ مَنْ رَأى

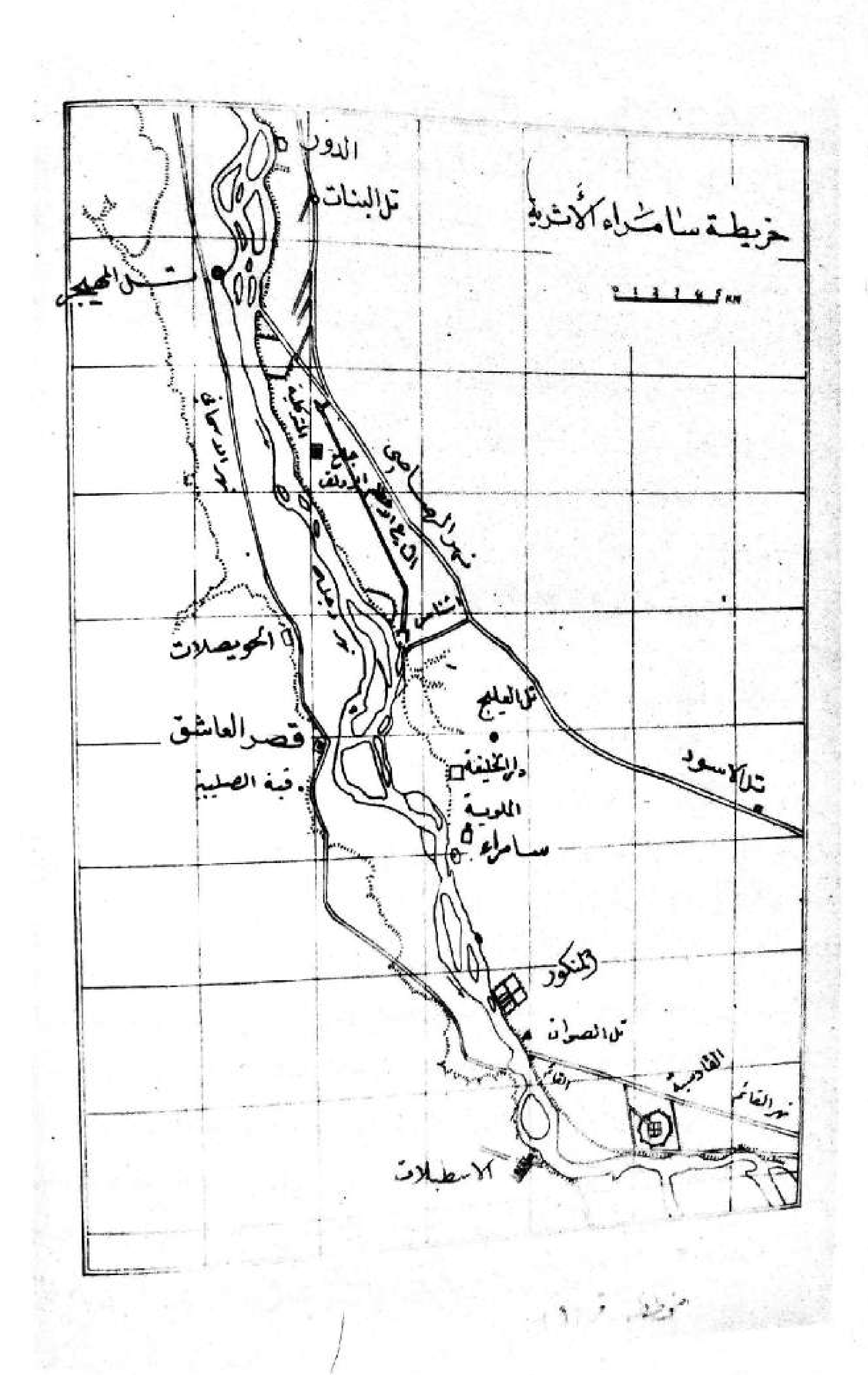
ذكرت المصادر الادبية ان سوء سلوك جند الخليفة المعتصم الاتراك وامعانهم في مضايقة أهل بغداد ، كان الدافع الاول لان يترك حاضرة الآباء والاجداد ويبني مدينة جديدة تكون عاصمة لدولته . بدأ المعتصم بالله يكثر من استخدام الجند الاتراك والاعتماد عليهم منذ ان كان وليا للعهد ، فكون منهم جيشا كبيرا اعتمد عليه الى حد بعيد وبعد ان بويع له بالخلافة . ترك الخليفة واتباعه وجيشه بغداد في نهاية عام ٢٢٠هـ/٨٣٥م فنزل بهم مواقع عدة قبل ان يصل القاطول وقصر هارون الرشيد الذي شيده هناك للتنزه والراحة . والمعروف ان الخليفة الرشيد قد امر بحفر قناة هناك دعاها بنهر الجند كما بنى قصرا هناك . ويظهر ان الخليفة المعتصم بالله قد نزل هذا القصر اولا وبدأ بتعمير وانشاء الابنية حوله لاتباعه وجيشه . ولكن الخليفة غير رأيه في البقاء في هذا المكان وبعد ان شاهد ان هناك موقعا أفضل منه الى الشمال قليلا ، وانسب بكثير من المكان الذي نزل فيه اول الامر وكانت في المنطقة الجديدة بعض المستوطنات وهي تتسم بصفات استراتيجية واقتصادية وصحية تتناسب مع اهمية المدينة التي قرر الخليفة ان يشيدها له . فالمنطقة محاطة بالانهار من كل جهاتها تقريبا فدجلة سورها الغربي والرصاصي (القاطول الاعلى) خط دفاعها الشمالي والشرقي ونهر القائم حصنها الجنوبي فهي اذن لا تحتاج الى اسوار تكلف الكثير في بنائها . وارض الموقع المختار مرتفعة عن مستوى سطح النهر فهي غير معرضة للغرق ، وهواؤها عذب وأرضها واسعة تحيط بها أراض زراعية شاسعة .

كان ابتداء البناء فيها في بداية عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م . وقد ذكر ان الخليفة امر بأحضار الصناع والبنائين والعمال من مختلف الاختصاصات من الاقطار

خارج الاسلامية واقيمت معامل في مناطق معينة مشهورة بمواد خام محدودة العراق لامدادها بالمواد البنائية . ويظهر ان مدينة المعتصم بالله الجديدة كانت في الجمال والفتنة بحيث دعيت بسر من رأى . وقد اهتم البلدانيون بتخطيط وخطط سر من رأى فاورد اليعقوبي تفصيل تخطيطها مع الاشارة الى علاقتها ولو بشكل محدود ، بمدينة السلام او بغداد كما دعاها .

والحقيقة ان تخطيط سر من رأى هو استمرار متطور لتخطيط المدن العربية الاسلامية التي انشئت قبلها وفيه مراعاة لطبيعة الظروف الموضوعية والذاتية التي كان عليها المجتمع يومئذ . قال اليعقوبي وهو يصف الابتداء ببناء المدينة ، وبعد ان احضر الخليفة المهندسين قال لهم : اختاروا اصلح هذه المواضع فاختاروا عدة مواضع للقصور وصير الى كل رجل من اصحابه بناء قصر فصير الى خاقان عرطوج ابي الفتح ابن خاقان بناء الجوسق الخاقاني والى عمر بن فرج بناء القصر المعروف بالعمري والى ابن الوزير بناء القصر المعروف بالوزيري ، ثم خطط القطائع للقواد والكتاب والناس وخطط المسجد الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع ووسع صفوف الاسواق وجعل كل تجارة منفردة وكل قوم على حدتهم على مثل ما رسمت عليه اسواق بغداد . وظل الخليفة حذرا جدا من قضية الاختلاط اي اختلاط جنده الاتراك بالمدنيين ولكي لا تتكرر المشكلة مرة اخرى فقد افرد قطائع الاتراك عن قطائع الناس جميعا وجعلهم معتزلين عنهم لا يختلطون بقوم من المولودين ولا يجاورهم الا الفراعنة ، واقطع اشناس واصحابه الموضع المعروف بالكرخ وضم اليه عدة من قواد الاتراك والرجال وامره ان يبني المساجد والاسواق ، واقطع خاقان عرطوج واصحابه مما يلي الجوسق الخاقاني وامر بضم اصحابه ومنعهم من الاختلاط بالناس واقطع «وصيفا» واصحابه ما يلي الحير وبنى حائطا سماه حائط الحير ممتدا وصيرت قطائع الاتراك جميعا والفراعنة والعجم بعيدة من الاسواق والزحام في شوارع واسعة ودروب طوال ليس في قطائعهم

ودروبهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر ولا غيره • ثم يشير اليعقوبي الى بقية القطائع فيقول : واقطع قوما اخرين فوق الكرخ وسماه الدور وبنى لهم في خلال الدور والقطائع المساجد والحمامات وجعل في كل موضع سويقة فيها عدة حوانيت للفاميين والقصابين واشباههم •••• واقطع الافشين خيذر ابن كاوس الاسروشني في آخر البناء مشرفا على قدر فرسخين وسمي الموضع المطيرة فاقطع اصحاب الاسروشنية وغيرهم من المضمومين اليه حول داره وامره ان يبني فيها هناك سويقة فيها حوانيت للتجار فيما لا بد منه ومساجد وحمامات ، واستقطع الحسن بن سهل آخر الاسواق وكان آخرها الجبل الذي صار فيه خشبة بابك ، وبين المطيرة موضع قطيعة افشين وليس في ذلك الموضع يومئذ شيء من العمارات ثم احدثت العمارة به حتى صارت قطيعة الحسن بن سهل وسط سرمن‌رأى وامتد بناء الناس ، من كل ناحية واتصل البناء بالمطيرة • وجعلت الشوارع لقطائع قواد خراسان واصحابهم من الجند والشاكرية وعن يمين الشوارع ويسارها الدروب فيها منازل الناس كافة • ويستدل من وصف اليعقوبي لخطط وتخطيط المدينة ان التخطيط عبارة عن مجاميع او محلات تخترقها شوارع رئيسية ذكر خمسة منها وهي : شارع السريجة وهو الشارع الاعظم ممتدا من المطيرة الى الوادي المعروف في هذا الوقت بوادي اسحاق بن ابراهيم ••• في رأس الوادي ، ثم قطيعة اسحاق بن يحيى بن معاذ ثم تتصل قطائع الناس عن يمين ويسار هذا الشارع وعن طريق دورب في جهة اليسار بشارع يعرف بشارع ابي احمد وهو أبو أحمد بن الرشيد • وتنفذ دورب من شارع السريجة حتى جهة اليمين الى دجلة • ويعتبر شارع ابي احمد الشارع الرئيسي الثاني الذى يخترق المدينة وتقع القطائع على جانبيه • اما الشارع الثالث فهو شارع الحير الاول ويبدأ هذا الشارع من المشرق ويمتد الى وادي ابراهيم بن رياح • ويدعى الشارع الرابع بشارع برغامش التركي وفيه قطائع الاتراك والفراغنة •



(مخطط ٥): تخطيط مدينة سر من رأى

ويسمى الشارع الخامس بشارع صالح العباسي • وهناك شارع على دجلة يعرف بشارع الخليج ، حيث ترسو السفن القادمة الى المدينة من مختلف انحاء القطر ويظهر ان هذه الشوارع عريضة ونحن نعرف ان عرض الشارع الاعظم شارع السريجة كان بحدود ١٠٠ متر وهو بهذا يضاهي اعرض الشوارع في العواصم العالمية حتى في يومنا هذا • والواضح من التصاوير الجوية لبقايا المدينة ان هذه الشوارع مستقيمة وتتقاطع احيانا وتربطها دروب مستقيمة ايضا ومصممة بطريقة هندسية • (مخطط ٥) •

اتصل البناء في سر من رأى واتسعت بسرعة وعلت مكانة قصورها خصوصا الجوسق الخاقاني حيث يسكن الخليفة واهله • وبلغ ازدحام المدينة اشده ايام خلافة المتوكل على الله حيث ضاق مسجدها الجامع بالمصلين فهدمه وشاد بدله الجامع الكبير الذي ظل شاخصا الى اليوم • وامتد البناء والعمران الى الجانب الغربي من دجلة منذ عهد الخليفة المعتصم بالله • فقد تم الكشف عن قصر كبير الى شمال شرق قصر المعشوق يحتمل جدا انه قصر الجص الذي شيده هذا الخليفة ويدعى الان بالحويصلات وكشف ايضا عن قصر آخر يدعى الاصطبلات يقع الى الجنوب غربي المدينة بحدود ١٥ كيلو متر وهو اقرب الى الثكنة العسكرية منه الى القصر وينسب ايضا الى عهد باني سرمن‌رأى • واقام الخليفة ايضا جسرا يربط بين الجوسق الخاقاني والجهة الغربية من دجلة ، والى قبل سنوات كانت ركائز الجسر ظاهرة للعيان • وتتبع اثار سرمن‌رأى يؤشر ان المدينة كانت تمتد بمسافة ٣٠ الى ٣٥ كيلو متر على ضفة دجلة الشرقية ، وتقوم على قسم منها بلدة سامراء الحالية • ويشعر من تخصص بالاثار العربية الاسلامية بالغبطة عندما يبحث في تخطيط وخطط سر من رأى • فالمدينة الاثرية ؛ على الرغم من التخريب الذي اصابها ، تعتبر شاخصة اذا ما قورنت بالبصرة والكوفة وواسط ومدينة السلام • ويمكن رسم تخطيطها في ضوء وصف اليعقوبي والخرائط

الجوية والمسوحات الطوبوغرافية لان المدينة لم تسكن لمدة طويلة اذ لم يتجاوز عمرها ستين عاما وان معظم دورها وقصورها ومرافقها المختلفة لم تجدد لذا فان خطوط اكوام الاتربة والجدران الكثيرة كلها تعود الى فترة محدودة معروفة وتؤشر صورة المدينة عند انشائها • ولم تخرب المدينة من قبل جيش طامع او غاز فاتح بل تركت على ما هي عليه ، بعد ان رجع الخليفة المعتمد على الله الى بغداد عام ٢٧٩هـ/٨٨٢م • ولكن بدأت الحياة والبناء حول مرقد الامام على الهادي والحسن العسكري في وسط المدينة الاثرية تقريبا وقد احيطت المدينة الجديدة بسور في عصور لاحقة ، ثم اخذت في التوسع فهدمت السور وما زالت بعض بواباتها شاخصة الى يومنا هذا.

ان دراسة رواية اليعقوبي بشأن خطط وتخطيط سر من رأى تكشف ان الخليفة المعتصم بالله قد اعاد عملية توزيع او تقسيم المكان الى قطائع وخطط وتثبيت مواضع المسجد الجامع والقصور والاسواق • ولكن تقسيم الخطط الى مخططات هندسية اى تخطيطها من حيث مواقع الدروب والشوارع واستقامتها وتقاطعها وتحديد مواقع السويقات في القطائع كان من عمل المهندسين الذين استعان بهم الخليفة في تصميم المدينة الجديدة • والواضح ايضا ان احضار البنائين والصناع وبقية اصحاب الحرف قد تم بعد ان رسم تخطيط المدينة وتوزيع قطائعها •

احتل المسجد الجامع قلب المدينة وجعل مفصولا عن الاسواق والقطائع التي تحيط به • وكشفت التحريات التي اجريت في الجامع الكبير الذي شيده الخليفة المتوكل على الله ، بعد ان ضاق المسجد الاول بالمصلين ان هناك دارا ملحقة به تلتصق بجدار القبلة وتربطها مع المسجد بوابتان • ويحتمل جدا ان المسجد الاول كانت له مثل هذه الدار لراحة الخليفة قبل الصلاة وبعدها ، وتسهيل وصوله الى بيت الصلاة مباشرة • ويظهر ان المدينة كانت شبه مستطيلة حيث تحكمت طبيعة البقعة المختارة في تقرير شكلها • وكانت عبارة

عن محلات او احياء عدة موزعة بطريقة هندسية وكانت لكل محلة مرافقها العامة كما ذكرنا •

واذا ما اردنا ان نتتبع الجذور التاريخية لصيغ تخطيط وخطط سرمن رأى فاننا لا نحتاج لان نبحث عنها في كل المدن العربية الاسلامية بل نقتصر في ذلك على مدينة السلام حيث اشار الى ذلك اليعقوبي عندما ذكر توزيع الاسواق وجعل اصحاب كل بضاعة في مكان خاص بهم • ونحن بدورنا نقول ان هذه الصيغة اتبعت ايضا في واسط حيث امر الحجاج ان تكون الاسواق حول المسجد الجامع وان يكون اصحاب كل بضاعة في مكان خاص بهم • اما القضية الثانية فهي اختيار مواقع القصور اولا في أحسن المواضع كما مربنا فقد جعل المنصور قصره في أهم منطقة من المدينة ، ولكن الاختلاف جاء في اعتبارات اهمية الموقع فالحقيقة ان الجوسق الخاقاني يقع في اجمل بقعة من المدينة واهمها • اما التخطيط فان مدينة السلام مدورة وسر من رأى شبه مستطيلة ولكن استقامة الشوارع وترتيب الدورب بطريقة هندسية هو استمرار لصيغة شوارع مدينة المنصور الرئيسية التي تخترق القطائع والدورب التي توصل بينها • اما الخطط فمتقاربة اى انها غير قبائلية بل قومية ووطنية وقد املت ذلك طبيعة المجتمع او الناس الذين انشئت لهم المدينة الجديدة • وفي مدينة السلام اقطعت القطائع وعسكر المهدي او الرصافة هي احدى تلك القطائع حيث انشيء سوق خاص بها ودار لقائد الجيش • كما شيد المنصور قصر الخلد خارج اسوار المدينة المدورة • والاختلاف الاساسي في التحصين فقط واذا ما علمنا ان سرمن رأى قد بنيت بالدرجة الاولى لجيش الخليفة فلم تكن هناك حاجة لان تحصن المدينة باسوار دفاعية ضخمة • والظاهر ان الخليفة المعتصم قد احتاط لذلك فقد انشأ الاصطبلات في جنوب غربي سرمن رأى على الجانب الغربي من دجلة وهي في الحقيقة عبارة عن ثكنة عسكرية هذا بالاضافة الى ان طبيعة المكان المختار كانت ذات سمة دفاعية •

ويبدو ان الاقبال زاد جدا في استيطان المدينة الجديدة فاتصل البناء بين قطائعها وارتفعت القصور في ضواحيها ونشطت الزراعة والتجارة حولها واندفع الخليفة المتوكل على الله في بذل المزيد من الجهود لتعميرها والاهتمام بابنيتها . والواقع ان عهد هـذا الخليفة (٢٣٢ - ٢٤٧ / ٨٤٧ - ٨٦١م) المعروف بحبه للبناء والتعمير يعتبر من ازهى عصـور سر من رأى . ونحن نعرف انه نزل قصر الواثق الهاروني بعد ان بويع بالخلافة وانزل اولاده الثلاثة في الجوسق الخاقاني وبلكوارة والمطيرة . وعلى الرغم من المشاكل التي كان يحركها القادة الاتراك فان الخليفة جدد وعمر الكثير من مرافق الحاضرة العامة وبنى قصر البلكوارة والسندان والبديع والبرج والجعفري والعروس والغريب واللؤلؤ والصبيح والممتاز وغيرها .

ويظهر ان المشاكل المعقدة التي استمرت في العاصمة قد دفعت المتوكل على الله ان يفكر في ترك سر من رأى والعودة الى بغداد . وهو ما حصل .فقد غادرها الى بغداد ومنها الى دمشق واراد ان يتخذ منهـا عاصـمة للعـالم الاسلامي ولكنه غير رأيه فعاد الى سرمن‌رأى وقرر ان يبني مدينته . وكان ذلك عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م . وقد وقع اختيار الخليفة على موضع بين الرصافة ودجلة يعرف بالماحوزة الى الشمال من سرمن‌رأى وبحدود ٢٠ كيلو متر من المدينة الحالية .

اختار الخليفة بنفسه موقع القصر واقطع اولياء العهـد وكبار القادة ورجال الدولة . وجعـل شـوارع المدينـة الجديدة التي دعيت بالجعفرية والمتوكلية مستقيمة وجعل شارعها الرئيسي يتصـل بشـارع السـريجة او الشارع الاعظم في سر من رأى ، وجعل عرضـه ١٠٠ متر ايضـا وتكشف الخرائط الجوية ان المدينة كانت محاطة بسور ذي ابراج . وقد جاء ان البناء تم عام ٢٤٧هـ / ٨٦١م فانتقل الخليفة اليها ونقل اليها الدواوين ايضا . لكن بقاءه لم يطل في مدينته الجديدة فقد اغتيل بعد تسعة اشهر من نزوله

اياها فهجرها خلفه وعاد الى سرمن رأى • وظل خلفاء بني العباس يحكمون من هذه المدينة الى عام ٢٧٩هـ كما ذكرنا حيث اتخذ الخليفة المعتمد على الله قرارا بهجر سر من رأى والعودة الى بغداد • فتخربت المدينة بسرعة وهجرها الناس وعادت الحياة والبناء والعمران الى بغداد التي احتفظت بمركزها كعاصمة للعالم الاسلامي الى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م عندما دخلها المغول وقتلوا خليفة المسلمين •

فن تخطيط وبناء المساجد

بسم الله الرحمن الرحيم . « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة » صدق الله العظيم . بهذه الآية حث القرآن الكريم المسلمين على بناء وتعمير بيوت الله وغالبا ما نشاهدها منقوشة على هامات مداخل المساجد . ويعكس اختيار مواقع المساجد الجامعة التي اقيمت في المدن الاسلامية الاولى مكانة الدين في نفوس المسلمين ، ولما كان الاسلام قضية مركزية لذا فقد جعل المكان الذي تمارس فيه شعائره مركزا للمدينة الجديدة .

هذا فيما يخص اختيار الموقع ، اما التخطيط والبناء فقد استمدا من قيم ومباديء الدين الحنيف مع الافادة مما هو موجود ولا يتعارض مع المباديء الجديدة . وكانت النتيجة قيام فن عماري اسلامي منذ البداية ، أخذ مكانته بين الفنون العمارية التي كانت سائدة آنذاك . وتميز هذا الفن بسمات مميزة في التخطيط والبناء والزخرفة .

وأدى نمو وازدهار المدن العربية الاسلامية الى توسيع واعادة بناء مساجدها الجامعة الاولى ، التي تجسد طراز اهم الابنية الدينية فهي جديدة في نشوئها وتكوينها . وكل ما نملك عن تلك المساجد اخبار تناقلتها كتب التاريخ والجغرافية والسير والتراجم لكنها لا تلقي الاضواء الكافية على الجوانب التي تهم الباحث في التخطيط والبناء والتحلية . وقد ساهمت

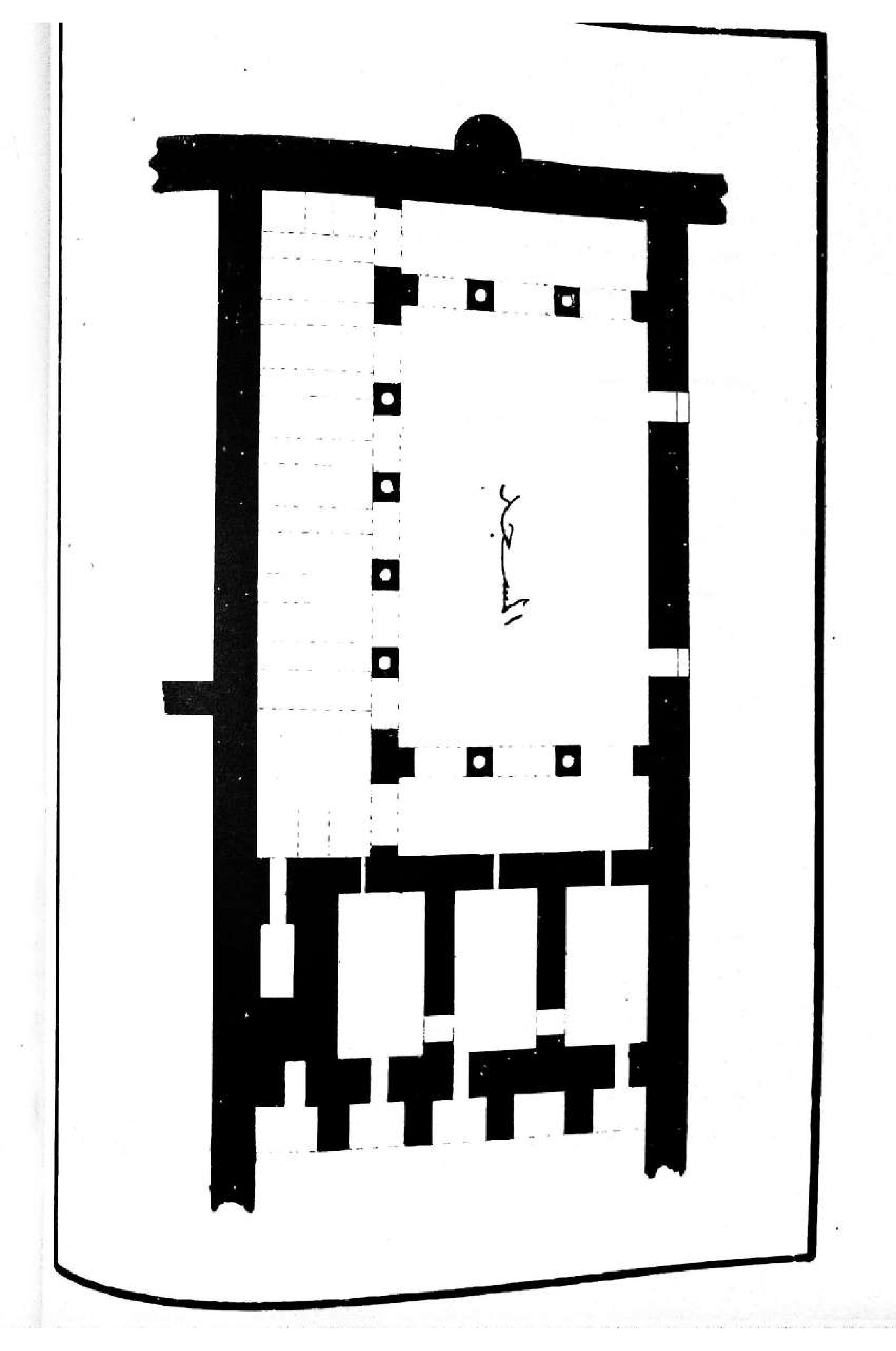
التحريات والتنقيبات التي انجزتها هيئات فنية من مديرية الاثار العامة ، خلال اكثر من ثلاثة عقود ، في مساجد البصرة القديمة والكوفة وواسط ، في رسم صورة اولية مبسطة عن اشكال هذه المساجد وتخطيطها ومواد بنائها وبعض عناصرها المعمارية .

واذا ما استعرضنا المساجد الشاخصة في العراق فسنجد ان مسجد قصر الاخيضر هو اقدمها لذا من المستحسن ان يتصدر هذا الفصل .

مسجد قصر الأخيضر

لا تقتصر اهمية هذا المسجد على كونه اقدم المساجد الشاخصة في العراق فحسب ، بل يعتبر الدليل القاطع على ان القصر قد شيد في العهد الاسلامي . فقد اماطت التحريات التي اجريت فيه ، اللثام عن انه اصيل في تخطيطه وبناء القصر . وتشير جملة من العناصر المعمارية والاشكال الزخرفية الى ان بناء القصر يعود في تاريخه الى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري اي النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي . ويقع تاريخ بنائه في الفترة الزمنية التي تفصل بناء مدينة السلام عن انشاء مدينة سر من رأى .

المسجد مستطيل الشكل ابعاده ٣٣ × ٢٧ مترا من الداخل . ويشغل الركن الشمالي الغربي من القصر . جدرانه سميكه ومتينة مشيدة بالحجر غير المهندم والجص ومكسوة بالجص من الداخل . وسقوف بيت الصلاة والمجنبتين معقودة بالطابوق ومزينة باشكال زخرفية هندسية محفورة في الجص . ويرتفع سقف المسجد بمستوى سقوف الوحدات السكنية الاربعة في القصر بخلاف الابنية التي تتصل به من الجهة الشرقية والتي تتألف من ثلاثة طوابق .



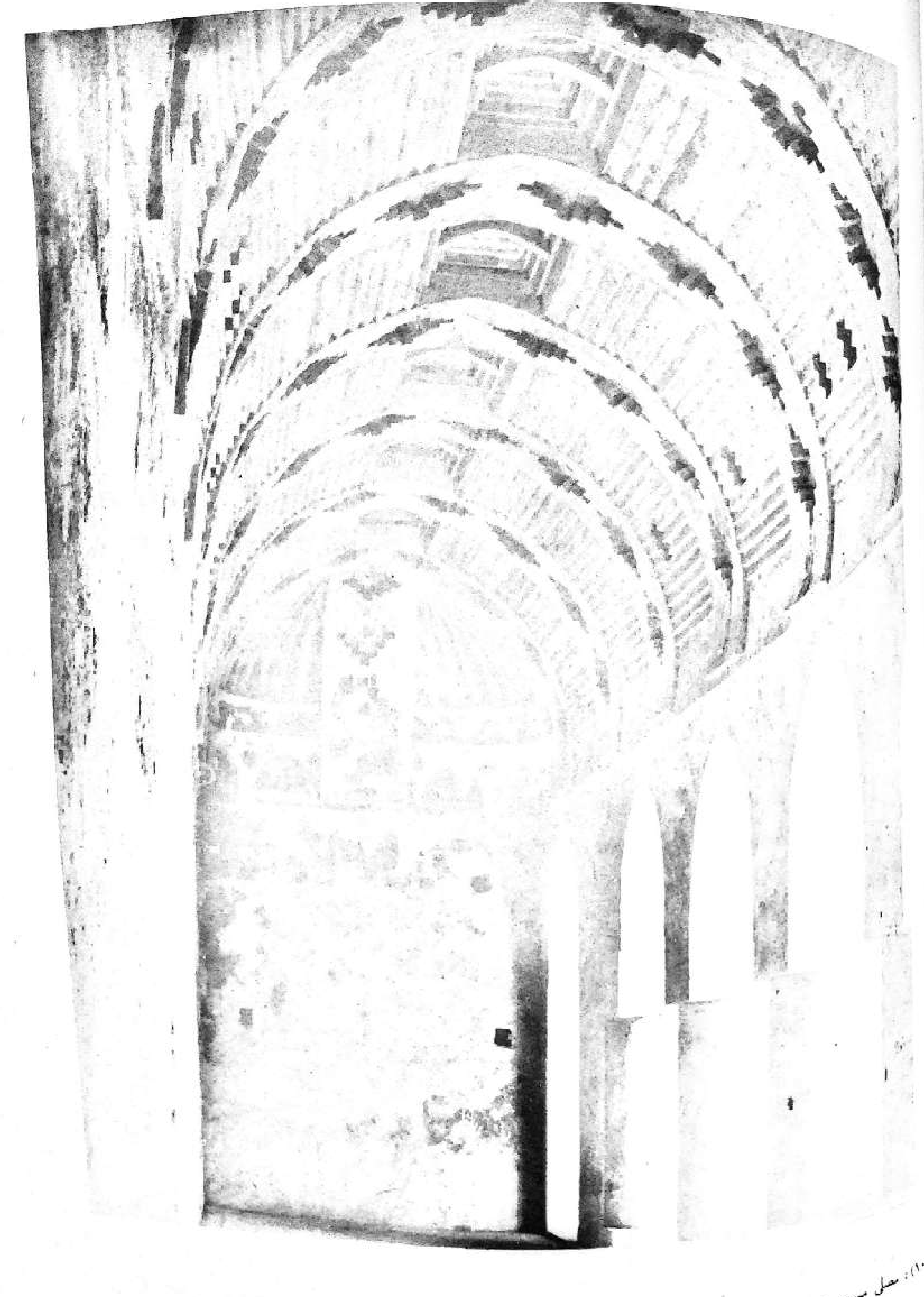
وتخطيط المسجد بسيط ، فهو يتألف من بيت للصلاة ومجنبتين تحيط بصحن واسع نسبيا (مخطط ٦) . يتكون بيت الصلاة من اسكوب واحد يطل على الصحن بخمس عقود تستند على دعائم اسطوانية قائمة على قواعد مربعة . ويتوسط جدار القبلة فيه محراب مجوف متوج بعقد مدبب (لوح ٩) . أما المجنبتان فمتناظرتان تتألف كل منهما من رواق واحد يطل على الصحن بثلاثة عقود وتقوم ايضا على دعائم اسطوانية ذات قواعد مربعة ، وعقود البوائك كلها مدببة . تهدمت سقوف بيت الصلاة والمجنبتان وظلت بقايا منها كان لها دور كبير في اعادة بناء هذه السقوف . وقد قامت



هيئة فنية من مديرية الاثار العامة بانجاز هذا العمل فاعادت بناء الدعائم وأكملت السقوف (لوح ١٠) وزينتها بنفس الاشكال الزخرفية التي كانت تغطيها من الداخل خصوصا سقف بيت الصلاة ، وهي تشبه في تكوينها العماري والزخرفي سقوف بعض الغرف التي تحيط بايوان الشرف في القصر . اذ تتناظر الاشكال المعينية المفرغة على بواطن عقود مستعرضة يفصل بعضها عن البعض الآخر شريط عريض نسبيا مشغول بوحدة زخرفية مسننة متدرجة . ونرى في تكوين سقف بيت الصلاة حنايا ركنية تعلو المدخل المؤدي الى المصلى من الناحية الشرقية . وتخدم هذه الحنايا الركنية لتحويل القاعدة المربعة الى مثمنة حيث يسهل جلوس القبة عليها والتي تحتاج الى قاعدة دائرية . ولما كانت نهاية قبو بيت الصلاة عبارة عن نصف قبة كروية فقد احتاج المعمار الى حنيتين ركنيتين فقط . وتم تحلية نصف القبة هذه باشكال هندسية حفرت على الجص تفريغا .

ولهذا المسجد مدخلان اخران يؤديان الى الصحن مباشرة ويقعان في الجدار الشمالي .

ان امعان النظر في تخطيط المسجد يكشف عن الصلة المباشرة مع تصاميم مساجد البصرة والكوفة وواسط ، التي تسبقه زمنيا . اما عناصره المعمارية فتمثل أقدم الامثلة للابداعات العربية ومن ابرزها القوس المدبب والحنايا الركنية . وتكشف الاشكال الزخرفية ، التي يسود فيها التشكيل الهندسي وتقنية الحفر المفرغ ، عن اقبال العرب على تحلية دور عبادتهم خصوصا الاماكن التي لا تقع وجها لوجه امام المصلي والتي قد تشغله عن التعبد الهادىء حيث ينصرف الذهن تماما لربه . لذا فقد جعل جدار القبلة خاليا من التشكيلات الزخرفية واقتصر استعمالها على السقف وجانبي القبو ، وسقف المسجد عبارة عن قبو نصف اسطواني .

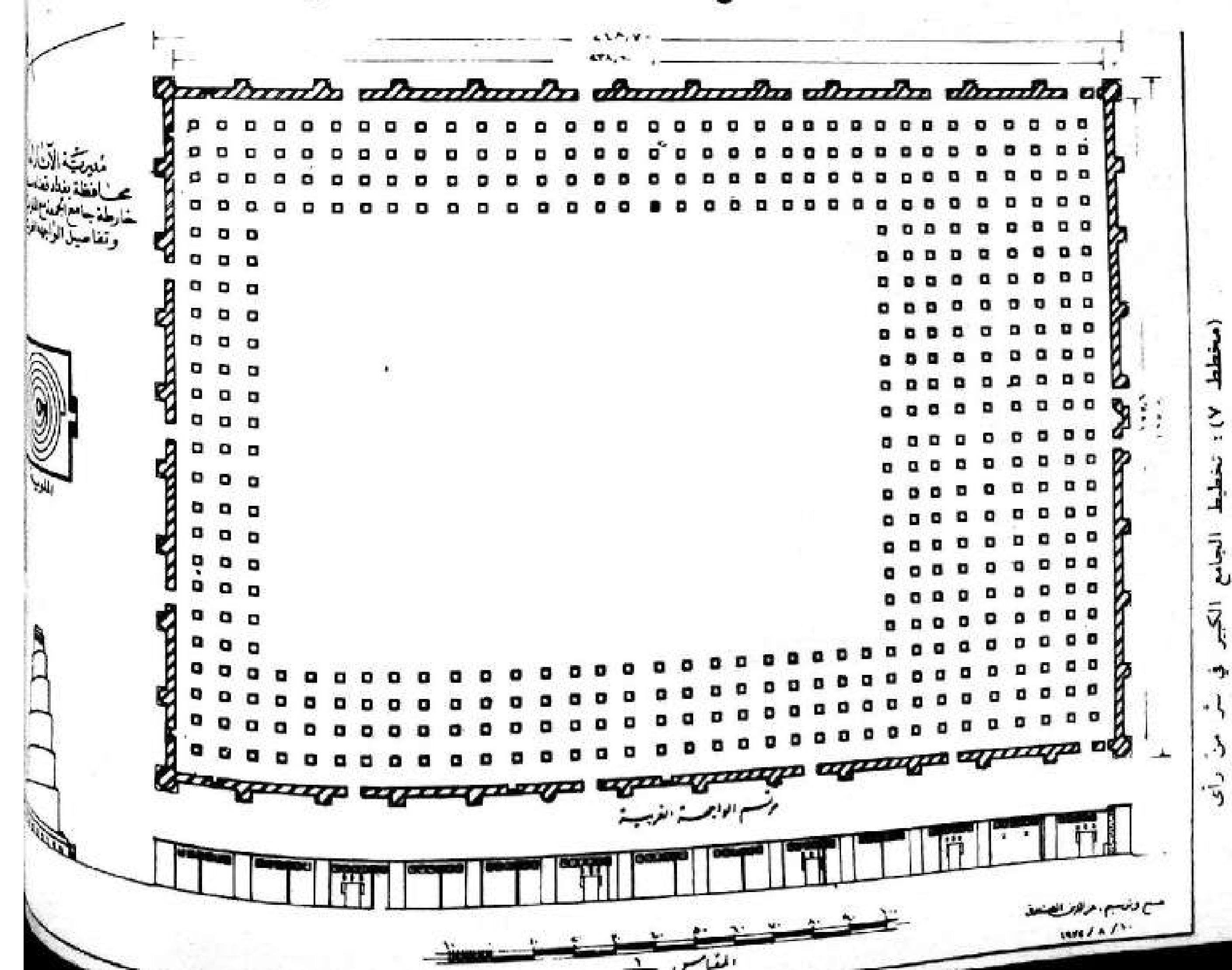


١٠: مصلى مسجد قصر الاخيضر بعد صيانته.

٢ ـ الجامع الكبير في سر من راى (جامع المتوكل)

يتبوأ هذا المسجد الجامع مكانة متميزة ليس بين جوامع العراق الاثرية حسب بل جوامع العالم العربي الاسلامي • فهو اقدم جامع شاخص لم يهدم أو يعمر او يوسع بعد ان اكمل تشييده ولم يضف اليه او يحور فيه في وقت لاحق • فقد اهمل بعد ان هجرت سرمنرأى وقاوم بناؤه المتين عوامل التخريب الطبيعية والبشرية ،، وظل شامخا ليروي لنا قصة الفن العماري العربي في هذا المجال ، تخطيطا وبناء وتحلية • وجامع المتوكل اوسع الجوامع حيث تبلغ مساحته الكلية ٩٤٤ر١٦٦ مترا مربعا ، فهو اذن فريد في سعته وهو ايضا وحيد في فخامة بنائه كما انه مشهور بمأذنته الملوية المتميزة بشكلها الحلزوني وارتفاعها الشاهق وقدمها وهي من أقدم مآذن العراق الشاخصة • والواقع ان مهندس هذا الاثر الخالد قد حقق الجمع بين فخامة البناء ومتانته من جهة ، وتناسق اجزائه وجمال مظهره من جهة اخرى ثم ادائه للوظيفة التي انشيء من اجلها من ناحية ثالثة • والجمع بين هذه الصفات هو غاية ما يصبو اليه المهندس او المعمار •

ونحن نعرف أن الخليفة المعتصم بالله عندما امر بتخطيط عاصمته الجديدة جعل مسجدها الجامع في وسطها تقريبا غير بعيد عن دار الخلافة



(مخطط ٧) : تخطيط الجامع الكبير في سر من رأى

مطلا على الشارع الاعظم ، بين الاسواق غير متصل بها . والظاهر ان جامع المعتصم هذا قد ضاق بالمصلين ، خصوصا بعد ان نمت المدينة بسرعة وازداد عدد سكانها ، في عهد الخليفة المتوكل على الله ، الذى عرف بحبه للبناء والتعمير ، ويعتبر عهده من ازهى ايام سرمن رأى . وقد امر المتوكل بهدم مسجد المدينة الجامع وبنى مسجدا جديدا بدله اوسع منه وفي نفس المكان . وكان ذلك عام ٢٣٤هـ / ٨٤٨م وتم البناء في سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م وجاء ان الخليفة قد امر باتقان البناء وان يكون ايضا غير متصل بالاسواق والقطائع المحيطة به وزاد الخليفة بعد ذلك في سعة مسجده الجامع فاحاطه بفضاء وامر بتسوير الزيادة بجدار او سور ضخم شيد بمادة بنائية تختلف عن تلك التي شيد بها الجامع . واهمل الجامع بعد ان عاد الخليفة الى بغداد فتهدم سوره الخارجي ، وتحول الى خط ترابي مرتفع يشير الى حدود الجامع . وسقطت اجزاء كبيرة من جدران الجامع الداخلية وانهارت سقوف بيت صلاته ومجنباته والدعائم التي كانت تجلس عليها . وتبين الصور الجوية لهذا الاثر العظيم التي التقطت له فى بداية القرن العشرين ما تبقى من جدرانه ومأذنته والاكوام الترابية التي تؤشر تخطيطه وسعته (لوح ١١) وقد جلب جامع المتوكل انتباه الرحالة الاوربيين قبل القرن العشرين وجرت محاولات من قبل المتخصصين منهم ، وخصوصا في الربع الاول من القرن العشرين ، للتنقيب فيه ووضع مخططات له . وقامت بعد ذلك هيئات فنية من مديرية الاثار العامة باعمال التحرى والتنقيب فيه ورفعت كميات كبيرة من الانقاض في داخله وتتبعت اجزاء من سوره الخارجي . وبعد عمل جهيد متواصل تم وضع مخطط علمي له وتثبيت ابعاد المسجد وتفاصيل قياسات اساكيبه واروقته وبلاطاته وغيرها من التفاصيل الهندسية والعمارية والزخرفية .

* شيد الجامع على بقعة مرتفعة نسبيا عما يجاورها من الارض لذا يمكن مشاهدته من مسافات بعيدة من خارج المدينة . وهو مستطيل الشكل تتجه جدرانه نحو الاتجاهات الاربعة تقريبا مثل معظم المساجد في العراق . وتمتد

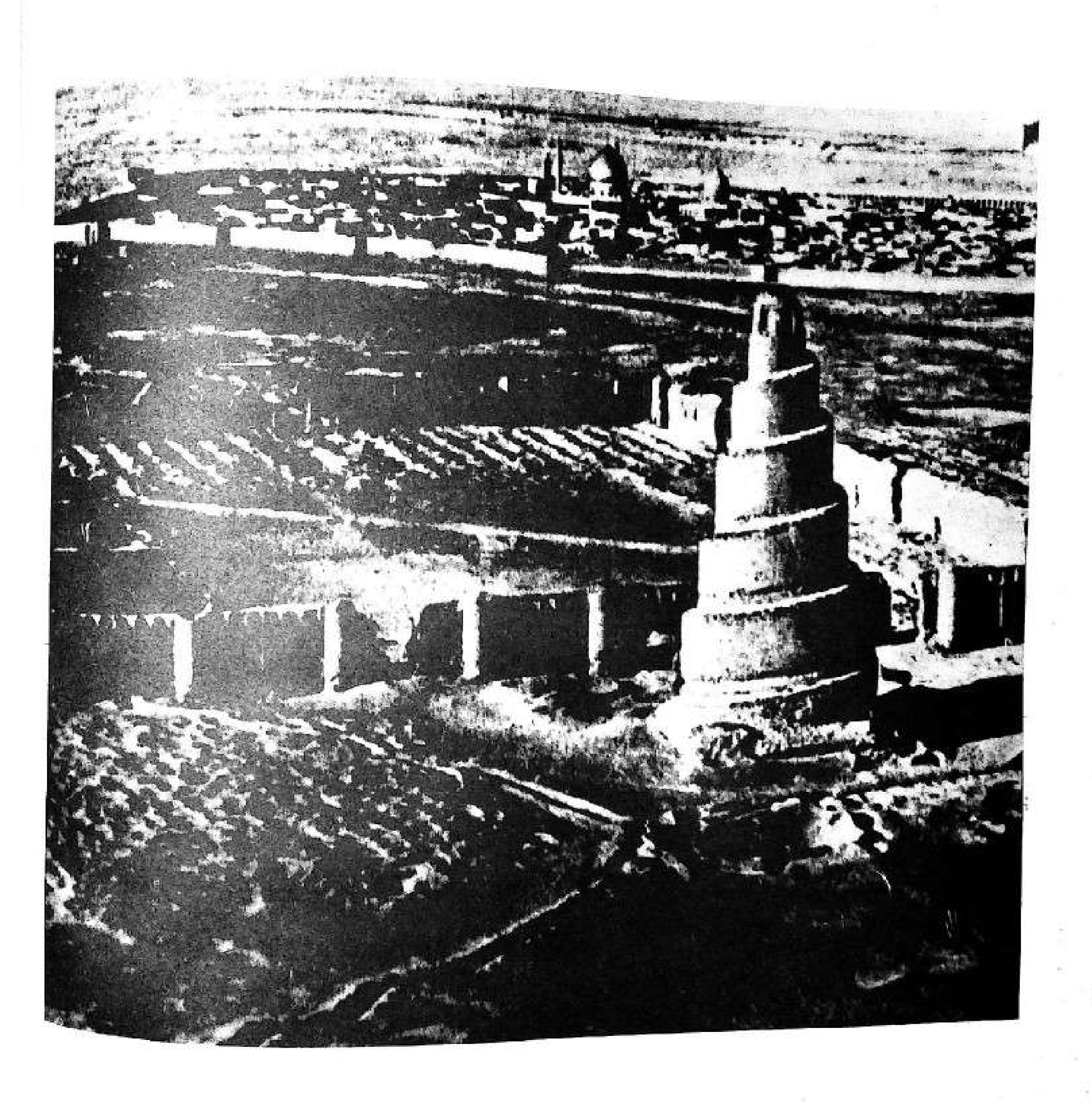
الشمال الى الجنوب ٤٤٤ مترا ومن الشرق الى الغرب ٣٧٦ مترا . وقد استعمل اللبن والطين في بناء جدران السور الخارجي وكشفت التحريات التي اجريت فيه انه كان مدعما بابراج عددها ٦٨ برجا ، نصف اسطوانية وتجلس على قواعد مستطيلة عدا ابراج الاركان فهي شبه مستديرة وتجلس على قواعد مربعة ويعتقد ان الغرض الاساسي من الزيادة هو عزل الجامع عن الضجيج في المناطق المزدحمة حوله ، واستخدامها للصلاة اذا ما ضاق المسجد بالمصلين .

والجامع بدون الزيادة مستطيل الشكل ايضا أبعاده من الخارج ٢٤٨ر٧٠ مترا طولا و ١٦٥ر٨٠ مترا عرضا ومن الداخل ٢٣٨ر٦٠ مترا طولا و ١٥٥ر٦٠ مترا عرضا . ويتألف من مصلى او بيت صلاة ومجنبتين ومؤخرة وتحيط هذه الاقسام بصحن مستطيل (مخطط ٧) ، كانت تتوسطه نافورة وميضأة . وتخطيط جامع المتوكل لا يختلف أساسا عن تخطيط جامع البصرة والكوفة وواسط . والاختلاف ان وجد ، فيكون في عدد الاساكيب والاروقة والبلاطات والسعة ايضا . ويتكون بيت الصلاة في جامع سرمنرأى الكبير من تسعة اساكيب وخمس وعشرين بلاطة متطابقة في سعتها ما عدا بلاطة المحراب فهي اوسع من غيرها حيث يبلغ عرضها ٤ر٢٠ امتار . ويغطي بيت الصلاة ٦٢ مترا من عمق المسجد ويطل على الصحن بسبعة عشر بائكة . وتتألف كل من المجنبتين الشرقية والغربية من أربعة أروقة تضم كل منهما ثلاث وعشرين بلاطة أي تنفتح على الصحن بثلاث وعشرين بائكة . أما المؤخرة فتتكون من ثلاثة اساكيب وخمس وعشرين بلاطة أي بعدد بلاطات بيت الصلاة وتنفتح على الصحن بنفس عدد البوائك ايضا والبلاطة الوسطى فيها بعرض بلاطة المحراب في بيت الصلاة .

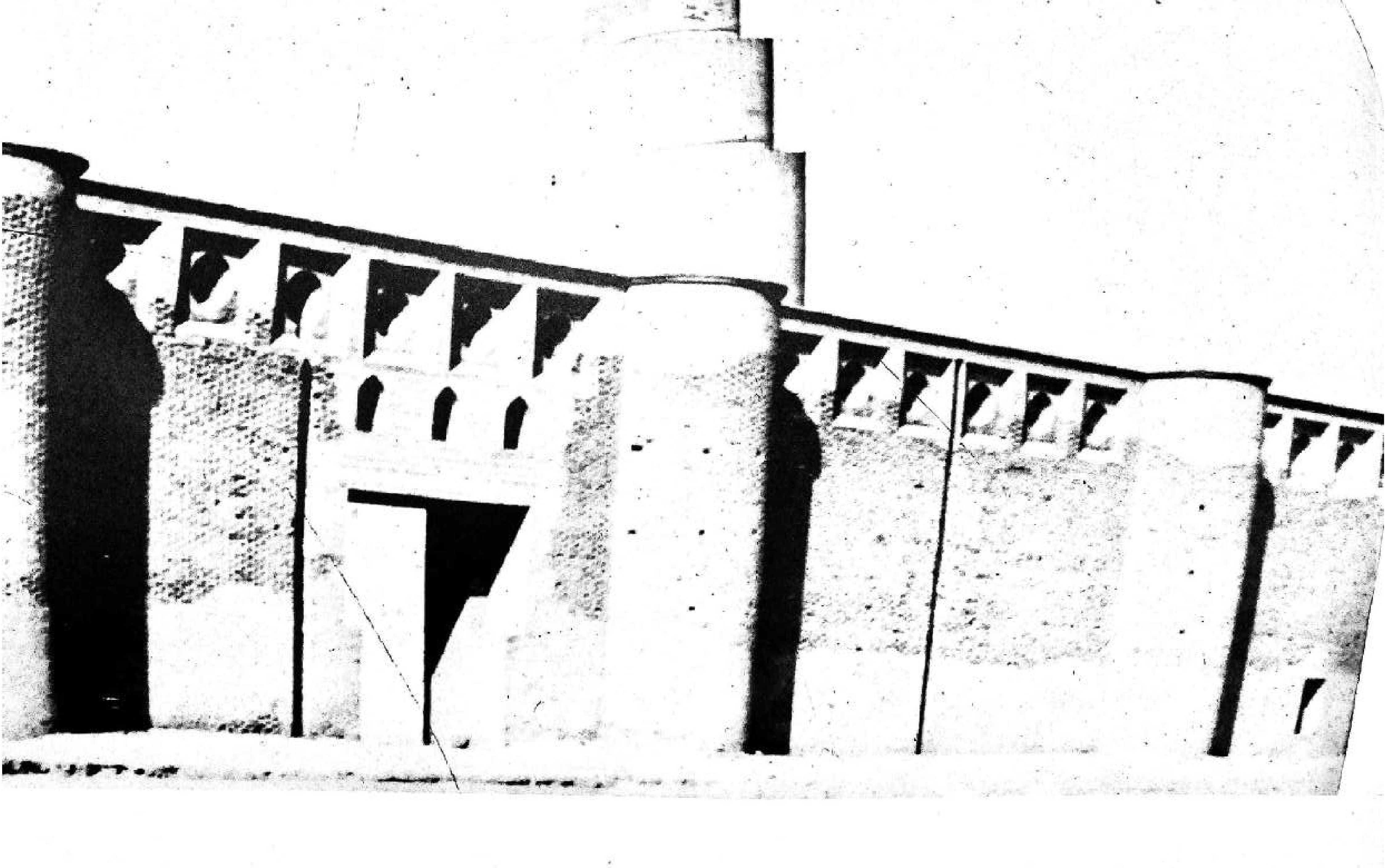
بني الجامع الكبير بالطابوق والجص وفرشت ارضيته بطابوق مربع ، صف باتقان ودقة وشمل المسجد والصحن . وتتصف جدرانه بارتفاعها

الذي يبلغ احد عشر مترا وسمكها الذي يبلغ ٢٫٧٠ متر وابراجها الضخمة (لوح ١٣) • وتدعيم جدرانه ٤٤ برجا ذات أشكال نصف اسطوانية ترتفع بارتفاع الجدران وتجلس على قواعد مستطيلة ، عدا ابراج الاركان فهي شبه مستديرة وتقوم على قواعد مربعة • ويبلغ قطر الابراج نصف اسطوانية ٣٫٦٠ مترا أما شبه المستديرة فقطرها ٥ أمتار ، والمسافة بين كل برج وآخر ١٥ مترا • وتتوزع هذه الابراج بشكل متناظر فتدعم كلا من الجدارين الشرقي والغربي ١٢ برجا ويبلغ عددها ثمانية في كل من الجدارين الجنوبي والشمالي ويمكن الدخول الى الجامع من خمسة عشر مدخلا ضخما موزعة على جدرانه بالشكل الاتي : ثلاثة في الجدار الشمالي يتوسط احدها الجدار ويقع على الخط المحوري الذي ينتهي بالمحراب من الجنوب ومنتصف قاعدة المأذنة من الشمال • ويخترق جدار القبلة ، مدخلان على جانبي المحراب يؤديان الى المباني القائمة على هذا الجدار من الخارج وهي لراحة الخليفة قبل ان يدخل المسجد ليقود المسلمين في أداء صلاة الجمعة • وهناك خمسة مداخل في كل من الجدارين الشرقي والغربي متناظرة ويؤدي اثنان منها في كل جدار الى بيت الصلاة اما البقية فتؤدي الى المجنبتين • وعقود هذه الابواب مستوية وعلى ارتفاع ستة امتار فقط وتتوجها نوافذ ذات عقود مدببة عددها ثلاثة فوق كل مدخل • وعرض هذه المداخل بين ٣٫٥٠ متر و ٤٫٥٠ متر •

يتوسط المحراب جدار القبلة ، وهو عبارة عن حنية ذات عقد مدبب ، تغور فى الجدار الى عمق ١٫٧٥ متر وتبلغ سعة فتحتها ٢٫٦٠ متر • وقد تلفت اجزاء مهمة من تشكيلة المحراب ولكن ، وعلى ضوء ما تبقى منه ، أعيد بناؤه (لوح ١٣) على مساحة واسعة نسبيا وارتفاع بحدود ثمانية امتار • والحنية ذات عقدين مدببين يرتكزان على اعمدة اسطوانية • ويشكل القسم العلوي من حنية المحراب هذه نصف قبة مدببة ذات



(لوح ١١): صورة جوية لجامع المتوكل قبل اعمال الصيانة.



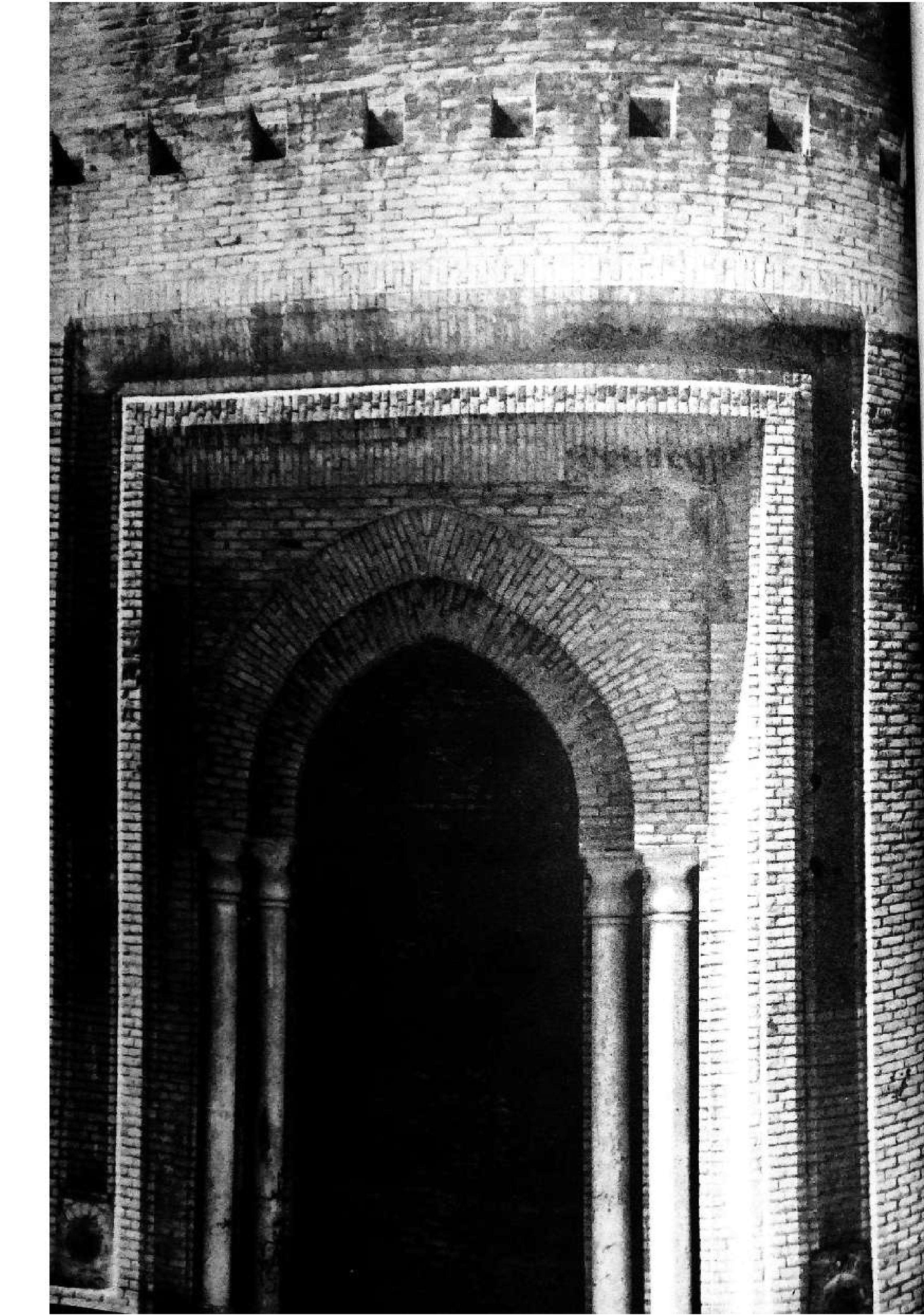
(لوح ١٢) : احد جدران الجامع من الخارج .

حنيتين ركنيتين • ويؤطر هذا القسم من المحراب شريط مستطيل ذو وجه مقعر قليلا يحيط به من الخارج اطار آخر اضيق منه ذو وجه مستو وبارز قليلا • وهناك شريط آخر مستطيل اعرض قليلا من الشريطين السابقين يحيط بهما وينخفض بوضوح عن مستوى وجه جدار القبلة والشريط السابق ، وهو مقعر ايضا • وتشكيلة المحراب هذه جميلة في مظهرها متناسقة في اجزائها •

وتخترق جدار القبلة اربع وعشرون نافذة تقع في القسم العلوي منه وتنفتح كل نافذة منها على بلاطة من بلاطات بيت الصلاة ما عدا بلاطة المحراب فهي بدون نافذة • ويظهر من شكل هذه النوافذ ومكانها المرتفع ان الغرض منها ادخال النور والهواء الى بيت الصلاة • وقد صممت بطريقة تتناسب مع اداء هاتين الوظيفتين • فهي من الخارج مستطيلة ، اما من الداخل فذوات شكل جميل يتناسب مع ما كان عليه وجه جدار القبلة حيث تذكر المصادر الادبية انه كان مغطى بأروع الزخارف واتقنها • وتظهر هذه النوافذ داخل شكل مستطيل يحيط بعقد مفصص يستند طرفاه على عمودين مندمجين • وسعة النافذة من الداخل أكبر من سعتها من الخارج وتقع على مستوى اخفض من مستواها في الخارج حيث تنساب انحدارا داخل الجدار • ويظهر ان هناك هدفا معينا وراء هذا الانسياب والتباين في السعة والشكل. (لوح ١٢) •

وتزين هامات جدران الجامع من الخارج سلسلة من دوائر مقعرة مؤطرة بشكل مربع منخفض عن مستوى وجه الجدار • ويبلغ قطر كل من الدوائر هذه مترا واحدا وعددها ست بين كل برجين من ابراج الجدار ويتوسطها احيانا قنوات مستطيلة لتصريف ماء المطر • وتجدر الاشارة هنا الى ان عدد الدوائر المقعرة هذه خمس فقط بين برجي الجزء الغربي والجزء

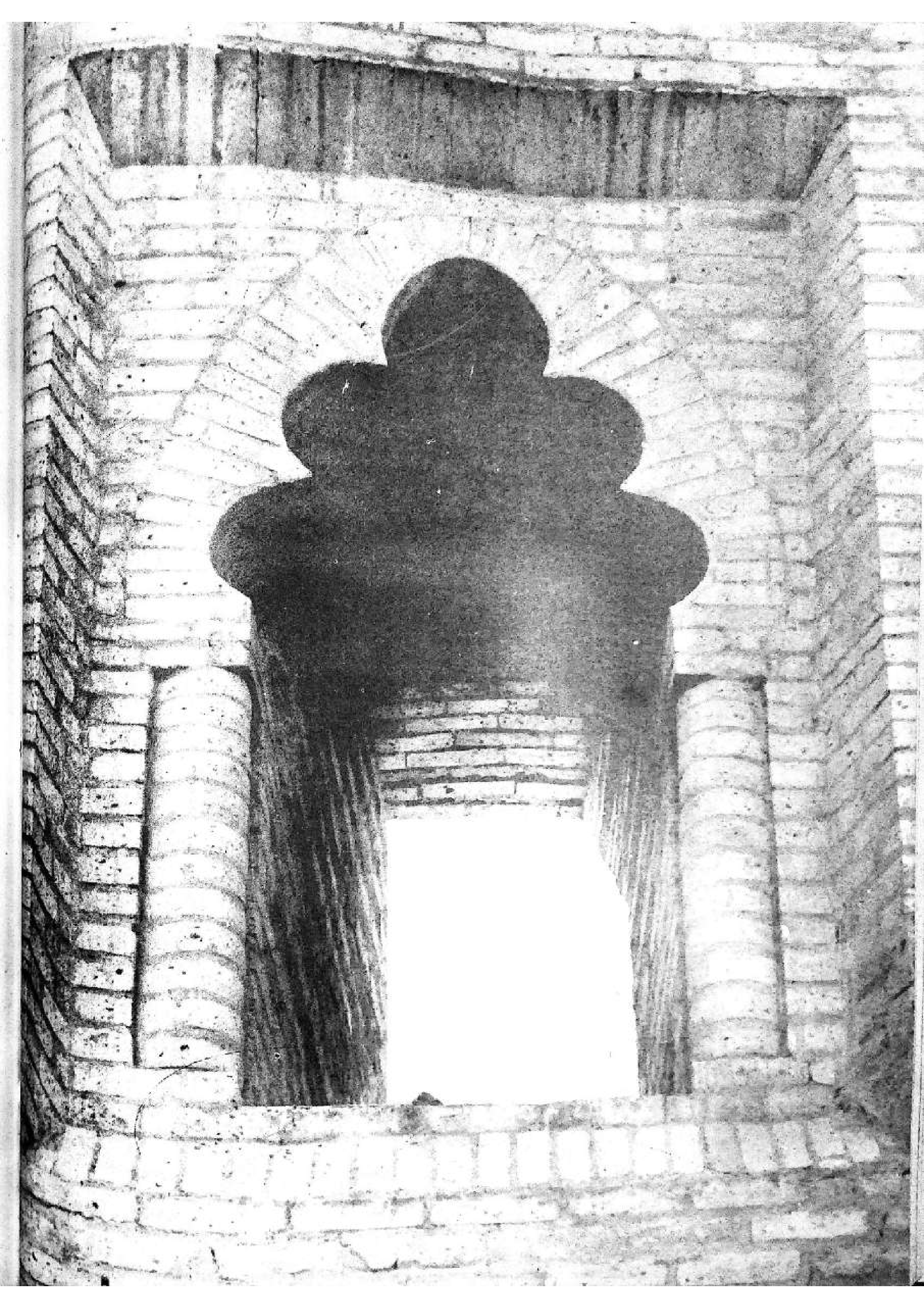
(لوح ١٣) : محراب جامع المتوكل.



الشرقي من الجدار الجنوبي • ويقع هذا الشريط الزخرفي الغائر ، ان صح التعبير ، فوق فتحات النوافذ في الجدار الجنوبي • ويحتمل ان لهذه السلسلة من الدوائر وظيفة اخرى بالاضافة الى اهميتها الزخرفية فهي تكشف عن اهتمام المعمار في تحلية جدران الجامع ، وبوحدة زخرفية لها ما يناظرها في انتاجات مدينة سر من رأى الفنية المعاصرة • واتبع المعمار تقنية خاصة هي الحصول على الاشكال المطلوبة وبشكل مفرغ أو غائر وذلك بطريقة صف الطابوق في شكل انحداري او انسيابي الى الداخل فحصل على الشكل المطلوب الذي لا يستطيع ان يحفره في طبقة من كساء جصي حيث يحتاج الى ان يجعل هذا الكساء سميكا جدا قد لا يثبت على وجه الجدار • ويحتمل جدا ان لهذه الدوائر اهمية في تخفيف ضغط الرياح على هذه الجدران الطويلة والمرتفعة

وكشفت التنقيبات التي اجريت داخل المسجد عن بقايا قواعد الدعامات واجزاء من هذه الدعامات التي كانت تحمل سقف المسجد • والدعامات هذه مثمنة الشكل تجلس على قواعد مربعة طول ضلعها متران مزينة باعمدة رخامية اسطوانية الشكل تقع في اركان القاعدة المربعة ، ملتصقة بالوجه الذي تزينه ، اى ان عدد الاعمدة هذه اربعة لكل دعامة من هذه الدعامات • ويحتمل ان هذه الدعامات كانت تحمل اقواسا مدببة يستند عليها سقف الجامع • واذا ما عرفنا ان سقف جامع أبي دلف الذي أمر المتوكل ببنائه كان مستويا ، فيحتمل جدا ان سقف جامع المتوكل كان مستويا ايضا • واستعملت الاخشاب الضخمة لربط الجسور الجدارية بين اقواسه حيث لا زالت الحفر المخصصة لتثبيت هذه الاخشاب باقية على طول جدران الجامع • ويحتمل ايضا ان وجوه الجدران المطلة على الصحن ، اى وجوه الدعامات التي كانت تحمل عقود البوائك ، كانت مزينة بحنايا او مشاك ذوات عقود مدببة تستند على اعمدة مندمجة حيث استعملت هذه الوحدة في تحلية

(لوح ١٤) : احدى نوافذ جدار القبلة في جامع المتوكل



القسم العلوي من المأذنة ، واستخدمت ايضا في وجوه الجدران المطلة على الصحن في جامع ابي دلف ولكن شكل الحنية في هذا الجامع يختلف عن شكل حنايا أو مشاكي جامع المتوكل .

وتم خلال العقد السابق من هذا القرن اكمال صيانة جدران الجامع واعادة بناء ماتهدم منها كما تم صيانة المأذنة فعاد الى الجامع شكله الاول وروعته حيث يشاهد الزائر له عظمة هذا البناء واهميته بين مساجد العالم العربي الاسلامي الجامعة .

ومأذنة هذا الجامع هي اقدم ما بقي من مآذن العـراق واروعها كما ذكرنا . تشتهر بشكلها الحلزوني وتعرف بين الناس بالملوية ، التي صار الجامع يعرف بها . وتقوم على مسافة ٢٧ر٢٠ مترا الى شمال الجدار الشمالي للجامع وتقع على الخط المحوري الذي يربط بينها وبين المحراب . يجلس بدنها على مصطبة مربعة تتكون من طبقتين يبلغ طول ضلع السفلى منهما ٣١ر١٨٠ مترا اما العليا فطول ضلعها ٣٠ر٥٠ مترا . وترتفع القاعدة عن مستوى سطح الارض : ٤ر٢٠ امتار ، وتزين وجوه جدران المصـطبة السفلى حنايا ذوات عقود مدببة ، عددها تسع في كل من الوجوه الشمالية والغربية والشرقية وسبع في الوجه الجنوبي الذي تشغل تسريحة الصعود الى المأذنة جزءا كبيرا منه . وقاعدة المأذنة مستقلة لا تتصل بشيء سوى التسريحة التي تبدأ من على مقربة من الجدار الشمالي وتمتد فوق ما يقرب من ٢٥ مترا من المسافة بين الجدار الشمالي وقاعدة المأذنة وهي غير مدرجة بل مسرحة تسريحا كما ذكرنا . وقد تهدمت هذه التسريحة ولكن اساسها موجود وابعادها واضحة .

تشمخ الملوية عاليا حيث يبلغ ارتفاع بدنها عدا القاعدة خمسين مترا فهي فريدة في ارتفاعها بالاضافة الى فرادة شكلها وبدنها اسطواني حلزوني يظهر للمشـاهد وكأنه مؤلف من ست اسطوانات موضوعة فوق بعضها

وبتدرج متناسق حيث يتقلص حجم الاسطوانات بهيئة انسيابية بين القاعدة المربعة الواسعة نسبيا والقمة الاسـطوانية الضيقة نسبيا . والبدن مصمت يدور حوله سلم المأذنة في اتجاه معاكس لسير عقارب الساعة . وتبدأ الدرجات الاولى عند منتصف سطح القاعدة الجنوبي أي على الخط المحوري للجامع . ويحتاج الصاعد الى القمة الملوية ان يدور خمس مرات حول بدنها ثم ينعطف يسارا عند منتصف قاعدة الطبقة السادسة حيث يخترق السلم هذا القسم بهيئة عمودية تدريجية ليؤدي الى القمة التي يبلغ قطرها ثلاثة امتار فقط . وتزين النصف العلوي من الاسطوانة السادسة ثماني حنايا متجاورة ذوات عقود مدببة ترتكز اطرافها على اعمدة شبه اسطوانية مندمجة في الجدران. وتشكل احدى هذه الحنايا قبوا للسلم حيث يخترق القسم العلوي من المأذنـة (لوح ١٥) .

تكشف تشكيلة جامع سر من رأى الكبير العمارية عن ازدهـار فن بناء الجوامع ، تخطيطا وعمارة وتحلية . فهو خير نموذج لجوامع ومساجد العراق خلال القرون الثلاثة الهجرية الاولى . فتخطيطه هو استمرار لتخطيط جوامع البصرة والكوفة وواسط . ولكن لم نستطع ان نرسم وبدقة كامل تخطيط هذه الجوامع بسبب عوامل مختلفة اما جامع المتوكل فصورة تخطيطه واضحة وكاملة لذا فهو المثال الاكمل للمساجد الجامعة التي بنيت قبله ، وهو بالاضافة الى ذلك اكبر من جميع الجوامع السابقة وجعل كذلك ليستوعب عدد المصلين في عاصمة الخلافة العباسية .

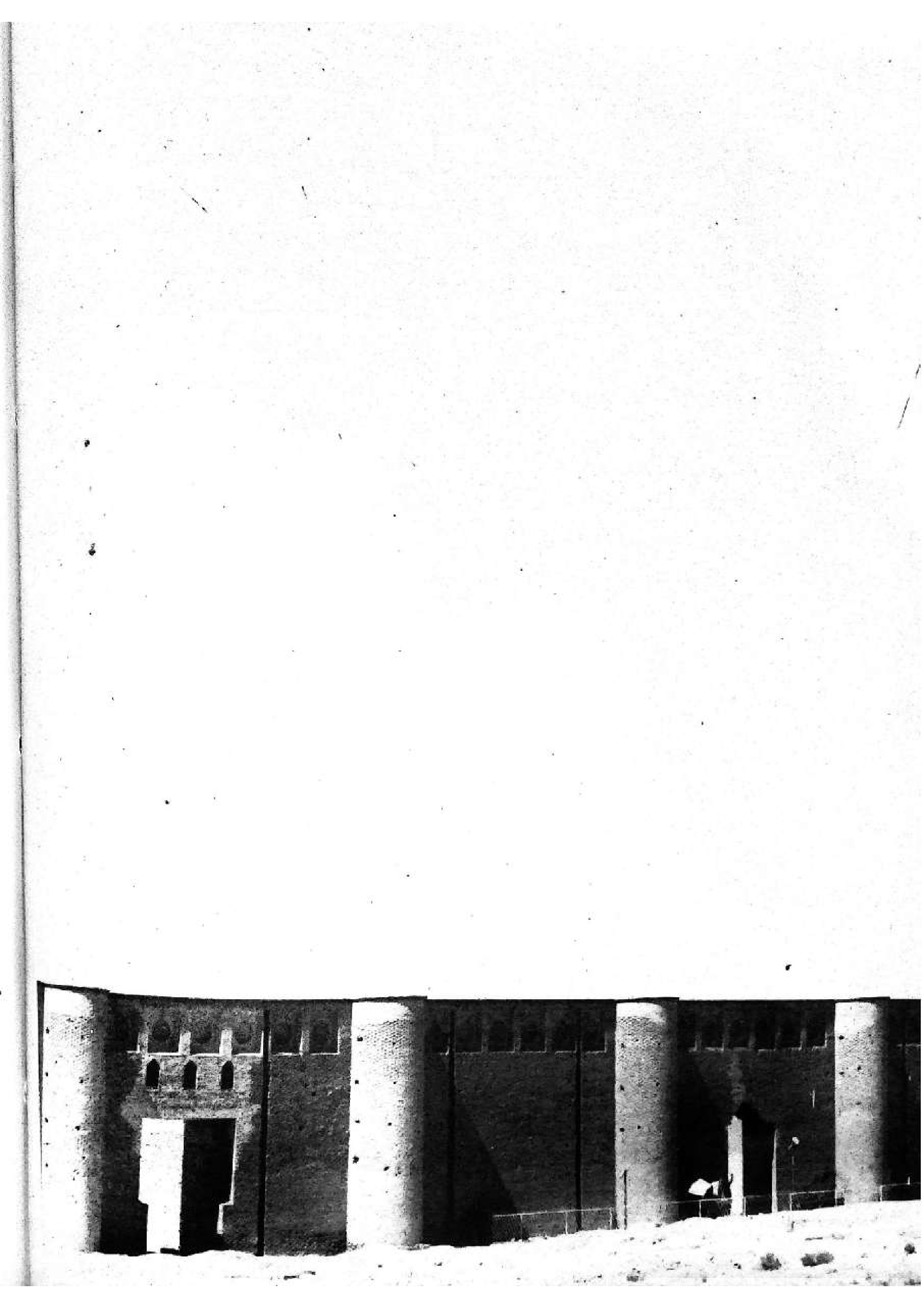
وبناؤه مثل تخطيطه يمثل روعة العمارة العربية الاسلامية خلال القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي فضخامة الجدران وارتفاعها ودعمها بابراج نصف اسطوانية وجلوس سقوف الجامع على دعامات متينة ذات شكل معين هي بدورها تبين العلاقة المباشرة بين هذا الجامع والجوامع العراقية السابقة .

(لوح ١٥) : مئذنة جامع المتوكل المعروفة بالملوية.

ويظـل هـذا الجامع في بنائه المثـل الحي لتلك الجوامع كمـا هو الحال في تخطيطه • لا شك في ان معمار الجامع كان على احاطة تامة بوظائف العناصر المعمارية وتقنيتها خصوصا الابراج والاقواس والنوافذ والحنايا وغيرها • فاستخدم القوس المدبب في اماكن معينة وزين جوانب الحنايا باعمدة شبه اسـطوانية مندمجة في مناطق اخرى وجعل عقود نوافذ بيت الصـلاة من الداخل مفصصة لتوصل النور الى ابعد حد ممكن داخل المصلى الذي يبلغ عمقه ٦٢ مترا • اما سلسلة الدوائر الغائرة ذات الاطر المربعة فاراد لها ان تكون اكليلا زخرفيا يزيد في جمال مظهر الجدران من الخارج • ويحتمل ان لها وظيفة اخرى هي تخفيف ضغط الريح على الجدران كما ذكرنا ويحتمل ايضا انها استخدمت كوسيلة للتقليل من استخدام المواد البنائية وتخفيف ثقل الجدران خصوصا اذا ما علمنا ان هـــذه الدوائر تنخفض بحـــدود ٢٥ سنتيمترا على مستوى وجه الجدار • وفي عمارة هذا الجامع نجد المزج المتناسق بين العناصر الموروثة والعناصر الجديدة المبتكرة •

ومما لا شـك فيه ان مأذنة الجامع هى ابرز واهـم العناصر الجديدة المبتكرة • فهي فريدة بين مآذن المسـاجد العربية الاسلامية وستظل كذلك رغم محاولات عدد من المتخصصين في شؤون العمارة الاسلامية في ايجاد صلة مباشرة او غير مباشرة بينها وبين عدد من الابراج المدرجة في العراق والاقطار المجاورة • ولكن الفاصل الزمني شاسع بين الملوية وتلك الابراج السومرية والآشورية والاختلاف واضح في التكوين والغرض •

شكل الملوية جميل ومتناسق وحقق المعمار الهدف الاساسي لهذا البرج العالي حيث يصدح صوت المؤذن فيسمع من مسافات بعيدة تتناسب وسعة مدينة المعتصم • ونجح المعمار في تحلية قاعدة وقمة المنارة بحنايا تدور حول القاعدة فتخفف من ضخامة كتلة البناء الصلدة التي تجلس عليها المأذنـة كما سور القسم العلوي من الاسطوانة السادسة بحنايا محرابية جميلة تؤشر



وظيفة هذا البرج وهويته وهو رفع راية الاسلام عاليا هذا بالاضافة الى
قيمتها الزخرفية التي تتناسب مع الحلية الزخرفية التي تتوج هامات الجدران
وسلم الملوية لطيف انسيابي يخفف من الجهد المبذول للوصول الى القمة .

جامع أبي دلف[1]

يقوم هذا الجامع في القسم الشمالي الشرقي من مدينة الجعفرية • ولم تعمر هذه الحاضرة طويلا فلم يسكنها الخليفة سوى تسعة شهور وثلاثة ايام ثم هجرها خلفه وعاد الى سر من رأى وكان ذلك في شوال من عام ٢٤٧هـ / ٨٦١م • ولم يكتف الخليفة الذي تولى الامر بعد مقتل المتوكل بهجران المتوكلية بل امر بهدم دورها وقصورها ومرافقها العامة وحمل كل ما يمكن حمله من الانقاض الى سرمن‌رأى • وكانت معظم ابنية الجعفرية مشيدة باللبن فاندثرت بسرعة وصارت اثرا بعد عين ، ويظهر ان جامع حاضرة المتوكل لم يهدم بل ترك على ما هو عليه فعملت عوامل التخريب الطبيعية فيه فسقطت معظم اجزائه المشيدة باللبن وظلت الاقسام المبنية بالطابوق والجص حيث استعملت هذه المادة البنائية للدعامات وبعض الابراج والمأذنة ، ومما ساعد على بقاء هذه الاقسام بعد الجامع من مدينة سامراء ومدينة الدور ولم يتعرض الى اعمال هدم مقصودة لغرض الحصول على الطابوق واستخدامه في مناطق اخرى كما حدث في عدد من الاوابد في مختلف انحاء العراق •

تبين التصاوير الجوية التي التقطت لهذا الاثر الخالد في بداية القرن العشرين (لوح ١٦) انه لا يتوسط المدينة أو أسواقها ، كما هو الامر في جامع المتوكل في سر من رأى ، بل يقوم لوحده لا تتصل به ابنية • ويقارب

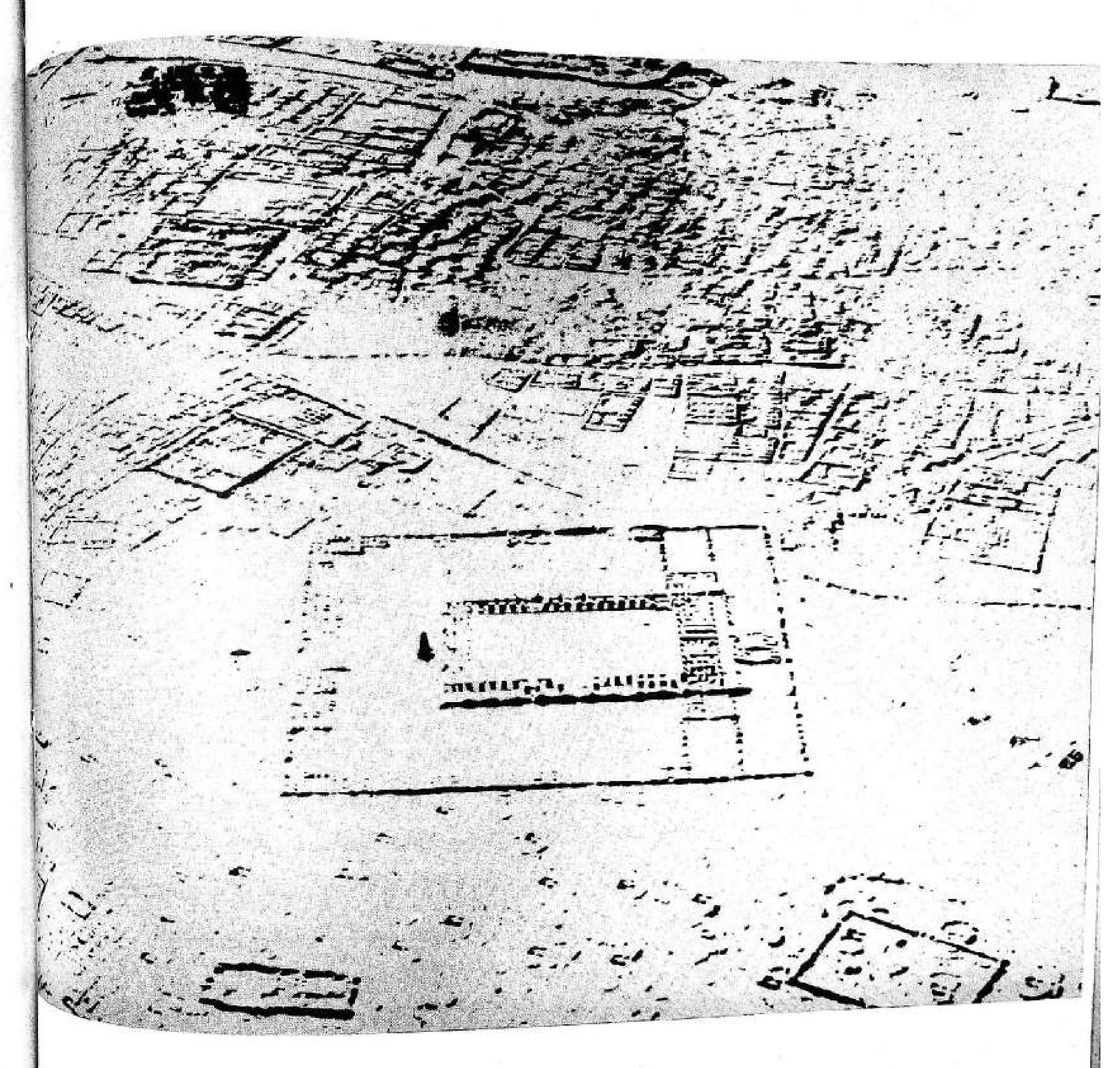
---

(١) ابو دلف : هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلي كان زعيما لقبيلته وشاعرا بليغا وقائدا شجاعا قربه هارون الرشيد واعتمد عليه المأمون وكان احد كبار قادة جيوشه • توفي في بغداد عام ٢٢٦هـ / ٨٤١هـ • ويظهر ان التسمية ، أي دعوة جامع الجعفرية بهذا الاسم ، متأخرة •

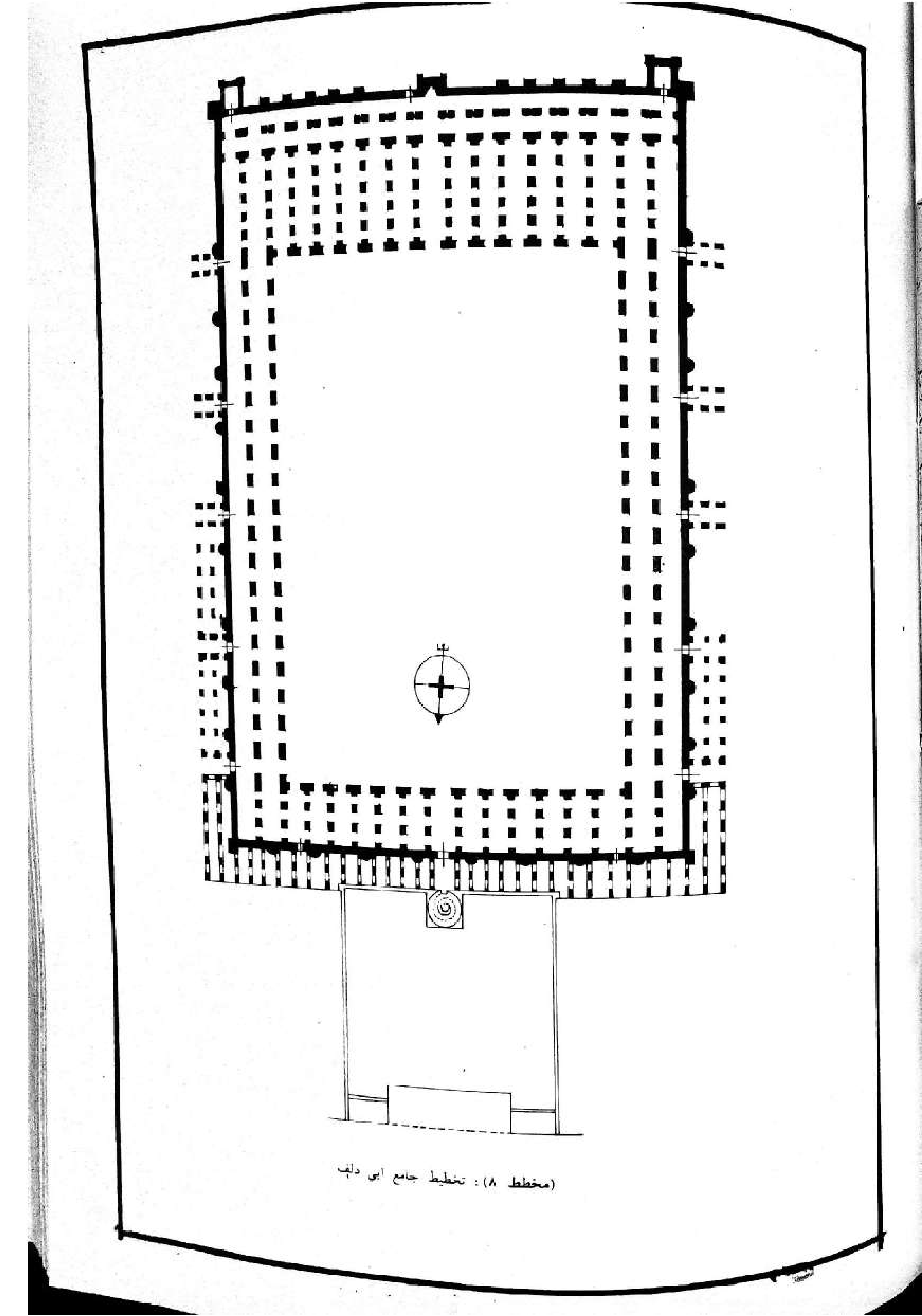
جامع ابي دلف جامع المتوكل في سعته ويتشابه معه في شكله وزيادته ومأذنته الحلزونية وموقعها منه وقد لفت هذا الجامع انتباه رواد العمارة العربية الاسلامية فبدأت التحريات به مع بداية القرن العشرين واستمرت اكثر من عقدين حيث توصل الاختصاصيون الاجانب الى توضيح شكله ورسم تخطيط اولي له وتثبيت اطوال جدرانه وتم اكمال اعمال التحري هذه من قبل هيئات فنية وطنية ولفترة تزيد على عقدين حيث توصلت الى الكشف الكامل لتخطيط الجامع واظهرت اجزاء من سوره الخارجي وتعرفت على محاريبه والدار الملحقة به •

وباشرت بعد ذلك باعمال الصيانة حيث رممت دعاماته واعادت بناء قسم كبير من عقوده والتحليات العمارية التي تزين جدرانه • واهم ما قامت به هو صيانة المأذنة واعادة بناء ماتهدم منها خصوصا قسمها العلوي قياسا على مأذنة جامع المتوكل • وقامت هذه الهيئات الفنية ايضا برسم خريطة دقيقة لتخطيطه • ويقع جامع أبي دلف اليوم الى يمين الطريق الذي يربط بين سامراء والدور ويبعد عن سامراء الحديثة بحوالي ٢٠ كيلو متر • ويشير هذا البناء الضخم الى عظمة المدينة التي شيدها المتوكل والامكانيات الهائلة التي وفرها لبنائها خلال عام واحد فقط •

وجامع ابي دلف مستطيل الشكل ، مثل جامع المتوكل ، وتحيط به زيادة توازي جدرانها جدران الجامع وتضم الدار الملحقة ببيت الصلاة والمأذنة التي تقع في الجزء الشمالي من الزيادة ، مثل الملوية لا تتصل بجدار الجامع والزيادة • وتتجه جدران هذا الجامع نحو الاتجاهات الاربعة تقريبا • ويبلغ طول جداره من الشمال الى الجنوب ٢٢٢ر٨٠ مترا من الخارج اما من الشرق الى الغرب فطول جداره ١٣٨ر٢٤ مترا من الداخل • ويتألف من بيت للصلاة ومجنبتين شرقية وغربية ومؤخرة (مخطط ٨) • يتكون المصلى من سبعة اساكيب وسبع عشرة بلاطة ويبلغ عمقه ٤٠ مترا • ومما تجدر



(لوح ١٦): صورة جوية للجعفرية.



(مخطط ٨) : تخطيط جامع ابي دلف

الاشارة اليه هنا هو ان سعة بلاطة المحراب اوسع من بقية بلاطات بيت الصلاة فيبلغ عرضها ٧٫٣٠ امتار اما البقية فبسعة ٦٫٢٠ امتار • ويلاحظ ايضا ان الاساكيب اضيق بكثير من البلاطات فسعة كل من الاساكيب الخمسة من الشمال هي ٣٫١٢ امتار اما الاسكوبان الاخران أي اسكوب المحراب والمجاور له فسعة كل منهما حوالي ٤٫٥٠ أمتار • وتتألف كل من المجنبتين من رواقين وتسع عشرة بلاطة وبعمق ١٤٫٣ مترا • والمؤخرة تتكون من ثلاثة أساكيب وسبع عشرة بلاطة توازي في سعتها بلاطات المصلى وتناظرها ايضا • وتحيط هذه الاجزاء بصحن مستطيل ابعاده ١٥٥٫٧٥ مترا من الشمال الى الجنوب ١٠٤٫٦٠ مترا من الشرق الى الغرب •

بنيت جدران الجامع وسورت الزيادة فيه باللبن ، فلم تقاوم فعل الامطار والرياح فتهدمت وتحولت الى اكوام وخطوط ترابية تحدد شكل البناء كما ذكرنا • وجدران الجامع سميكة نسبيا وضخمة في بنائها وشكلها • ويبلغ سمك هذه الجدران ١٫٦٠ مترا عــــدا جدار القبلة فسمكه ١٫٨٠ مترا • وتدعم هذه الجدران ابراج نصف اسطوانية تقوم على قواعد مستطيلة • وقد بنيت قواعد الابراج بالطابوق والجص واستعملت هذه المادة ايضا في تشييد بعض ابراج جدار القبلة • اما ابراج الاركان فشبه مستديرة قطرها ٣٫٦٠ امتار وتجلس على قواعد مربعة مشيدة بالطابوق والجص ايضا • وعدد أبراج جدران الجامع، عدا أبراج الاركان، ثمانية وثلاثون برجا ، تتوزع بشكل متناظر على الجدارين الشرقي والغربي حيث يدعم كلا منهما عشرة ابراج • والمسافات بينها متساوية ايضاً فهي ما بين ١٤ الى ١٥ مترا عدا تلك التي تفصل بين آخر برج من الجهة الجنوبية وبرج الركن في جدار القبلة فهي بحدود ٣٥٫٨٠ مترا من الجانبين ويبلغ عدد ابراج جدار القبلة عشرة فقط شيد بعضها بالطابوق والجص والبقية باللبن والجص وهي متناوبة أي برج مبني بالطابوق والذي يليه باللبن • اما الجدار الشمالي فتدعمه ثمانية ابراج وقد بقي جزء كبير من الجدار بابراجه ويستدل من بقايا هذا الجدار ان جدران الجامع كانت

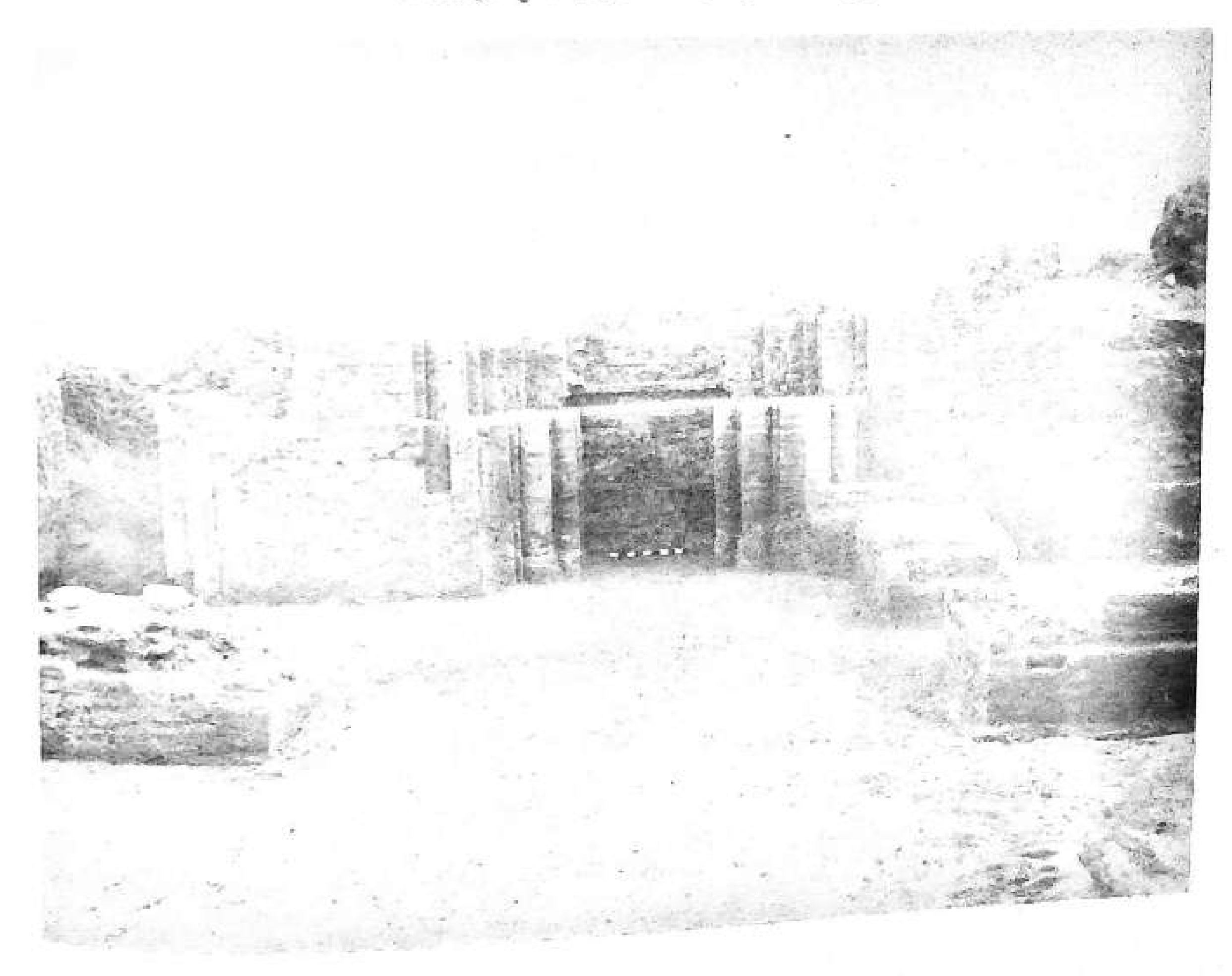
مكسوة بالجص من الداخل والخارج (لوح ١٧) .

ويمكن الدخول الى الجامع من ثمانية عشر بابا موزعة على الشكل الآتي ، ثلاثة في جدار القبلة ، يجاور احـدها المحراب ويؤدي الى الدار الملحقة بالجامع ، وثلاثة تخترق الجدار الشمالي يتوسط احدها الجدار ويقع على الخط المحوري للجامع ، وتقع ستة منها في كل من الجدارين الشرقي والغربي وهي متناظرة تماما يؤدي واحد منها الى بيت الصلاة . وتتراوح فتحاتها ما بين ٥٠ر١ الى ٥ر٢ متراً .

يتوسط جدار القبلة محراب ذو تصميم معين يختلف الى حد ما عن اشـكال المحاريب السـابقة . وتجويفه مسـتطيل يغور في جدار القبلة ٧١ سنتيمترا وينفتح على بلاطة المحراب بفوهة سعتها ٦٠ر٣ امتار وينتهي بجدار عرضه ٦٠ر١ متر . وقد تغلب المعمار على الفروق في السعة بين الفوهة وجـدار النهاية عن طريق تركيبة معمارية تتألف من أشرطة مقعرة ومدورات او اعمدة مندمجة شبه اسطوانية ومزدوجة ، ومسننات ذات زوايا قائمة على جانبي التجويف . وكشفت التنقيبات عن بقايا منبر الى يمين المحراب (لوح ١٨) يتألف من مصـطبة لا تلتصق بجـدار القبلة وتبدأ بدرجتين . والغريب في الامر ان هذا المحراب يتقدم محرابا اخر اكبر منه ويلتصق به مباشرة ويتصف المحراب الخلفي ، الذي لا يختلف كثيرا في شـكله عن المحراب الامامي ، بسعة فوهته التي تطل على المصلى فعرضها ٧٤ر٥ امتار وعمقه حيث يبرز عن مستوى وجه الجدار من الخارج ٤٤ر٢ مترا فيشكل ما يشبه البرج المستطيل ، يتوسط ابراج جدار القبلة ويبلغ عمق حنيته المستطيلة ٥٣ر١٢ مترا اما جدار الحنية الجنوبي فعرضه ٩٨ر١ متر . ولم يستطع المتخصصون ان يقدموا تفسيرا مقنعا لهذه الحالة . فقد فسر ذلك ان المحراب الخلفي كان من السعة بحيث لم يترك مجـالا كافيا لاقامة المنبر بالقرب منه ولكن هذا الاعتقاد لا يقف بقوة امام حقيقة انه يمكن ان يبنى



(لوح ١٧): جزء من احد جدران جامع ابي دلف.

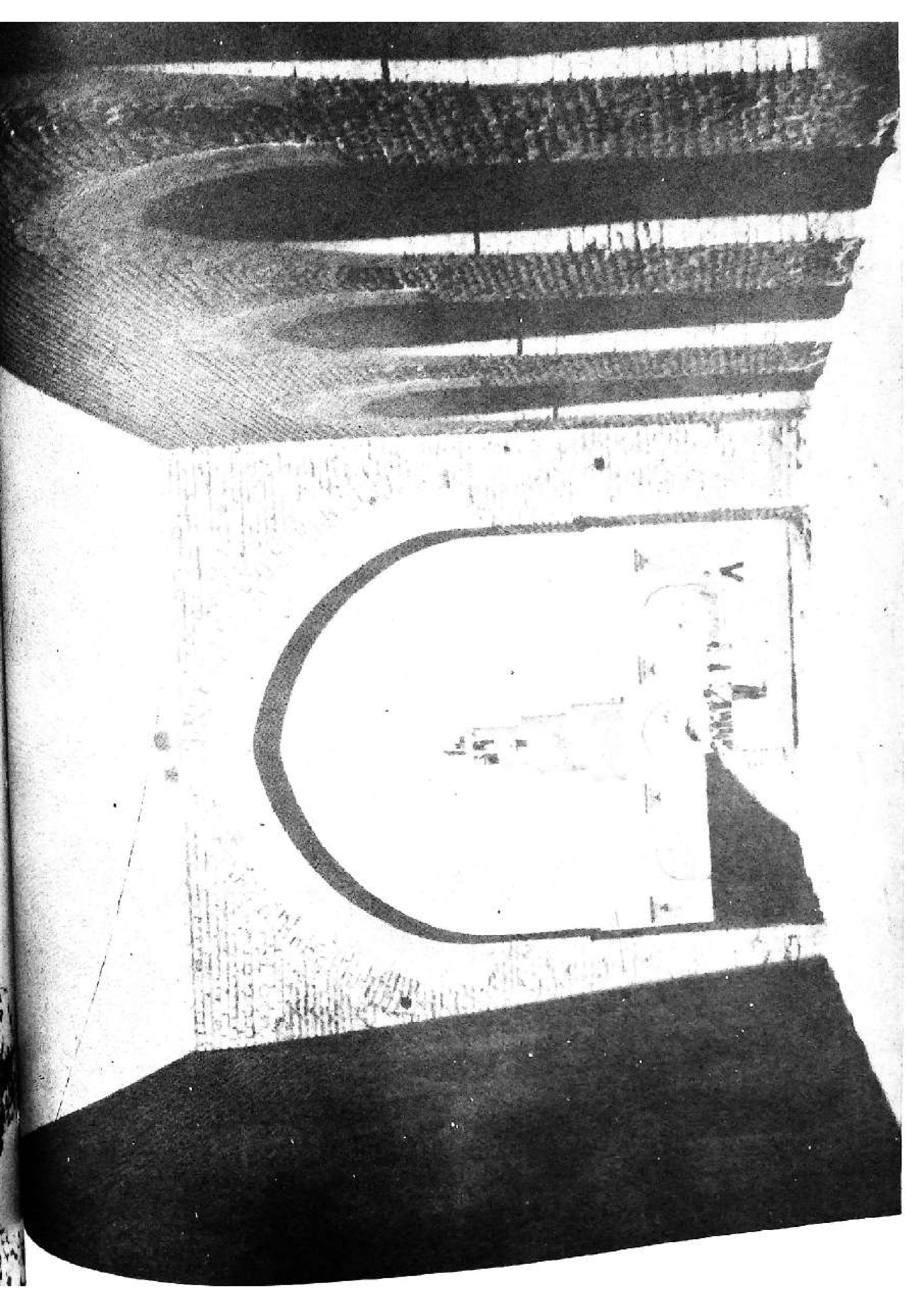


(لوح ١٨): محراب الجامع.

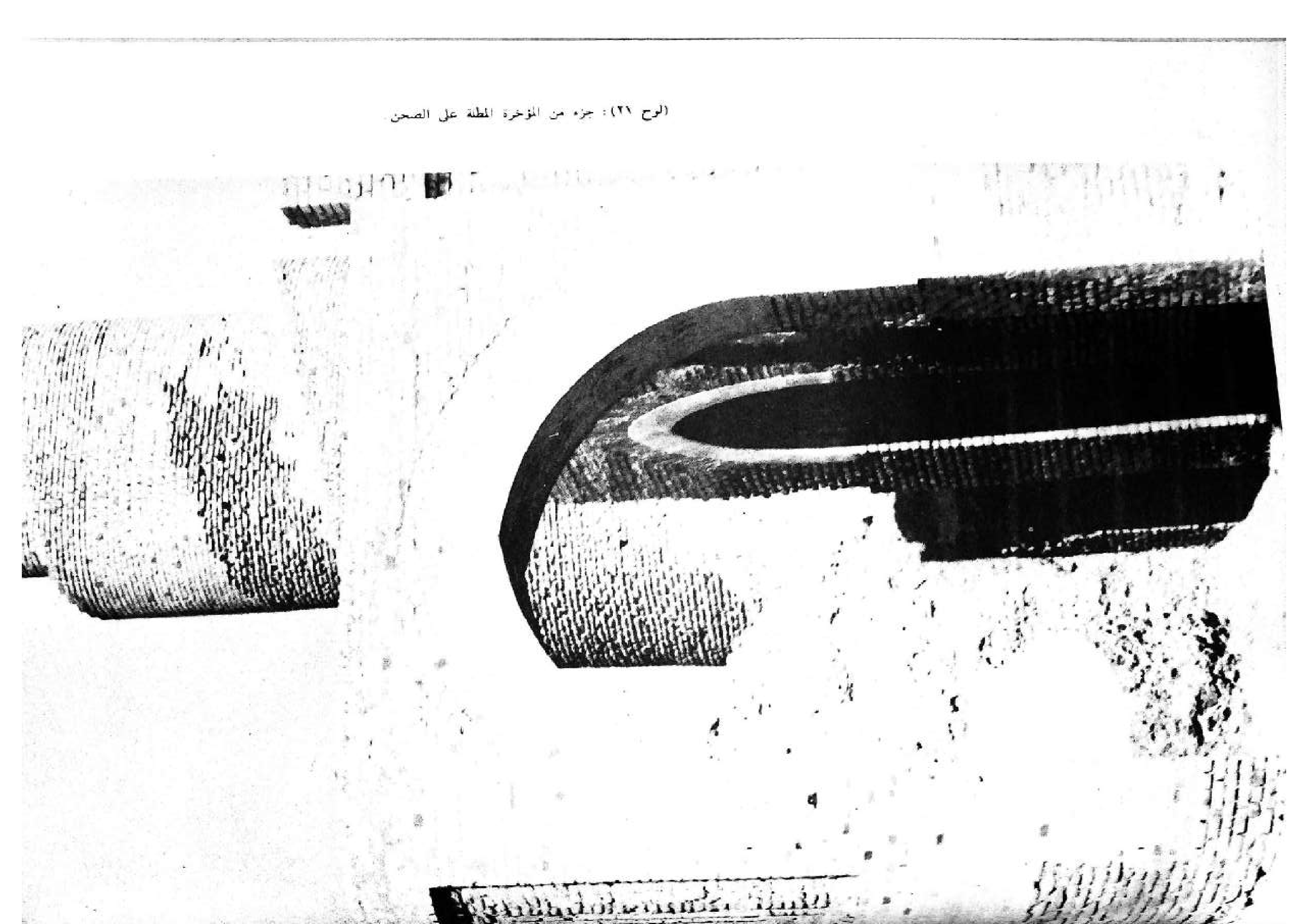
المنبر الى يمين موضعه الحالي حيث ان اسكوب المحراب طويل وفيه مجال واسع لبناء المنبر • ومن الارجح ان هناك خطأ فنيا يتعلق بارتفاع المحراب وعدم تناسبه مع ارتفاع اقواس البلاطات والاساكيب فعولج بيناء محراب اصغر من المحراب الاول ويحتمل ايضا ان المعمار قد واجه صعوبة في عقد سقف المحراب لانه مستطيل فيكون سقفه مستويا على الغالب ، ومن الصعب تسقيف حنية عرض فوهتها ٧٤ر٥ امتار بعقد مستو • واهم ما في جـامع ابي دلف المنبر فهو اقدم منبر معروف في مساجد العراق حيث لم يعثر على منابر أي من المساجد والجوامع السابقة لهذا الجامع .

تجلس عقود المصلى والمجنبتان والمؤخرة على دعامات مستطيلة ضخمة مشيدة بالطابوق والجص كما ذكرنا ، لذا فقد ظلت شاخصة مقاومة عوامل التخريب الطبيعية ، ويختلف جامع ابي دلف بهذا عن جامع المتوكل الذي تهدمت دعاماته وعقودها وظلت جدرانه قائمة الى يومنا هذا • وعقود جامع ابي دلف مدببة منفوخة عمودية ، مثل قواعدها ، على جدار القبلة وجدار المؤخرة وموازية لجداري المجنبتين • وهذا لا ينطبق على عقود بيت الصلاة المطلة على الصحن فهي مثل دعاماتها موازية لجدار القبلة والمؤخرة وهذا ينطبق على عقود بوائك المؤخرة • لذا جعلت دعامات هذه العقود تلتصق بدعامات العقود العمودية المجاورة لها حيث تشـكل ما يشبه شكل حرف T وتجلس على هذه الدعامات أطراف ثلاثة عقود (لوح ١٩) •

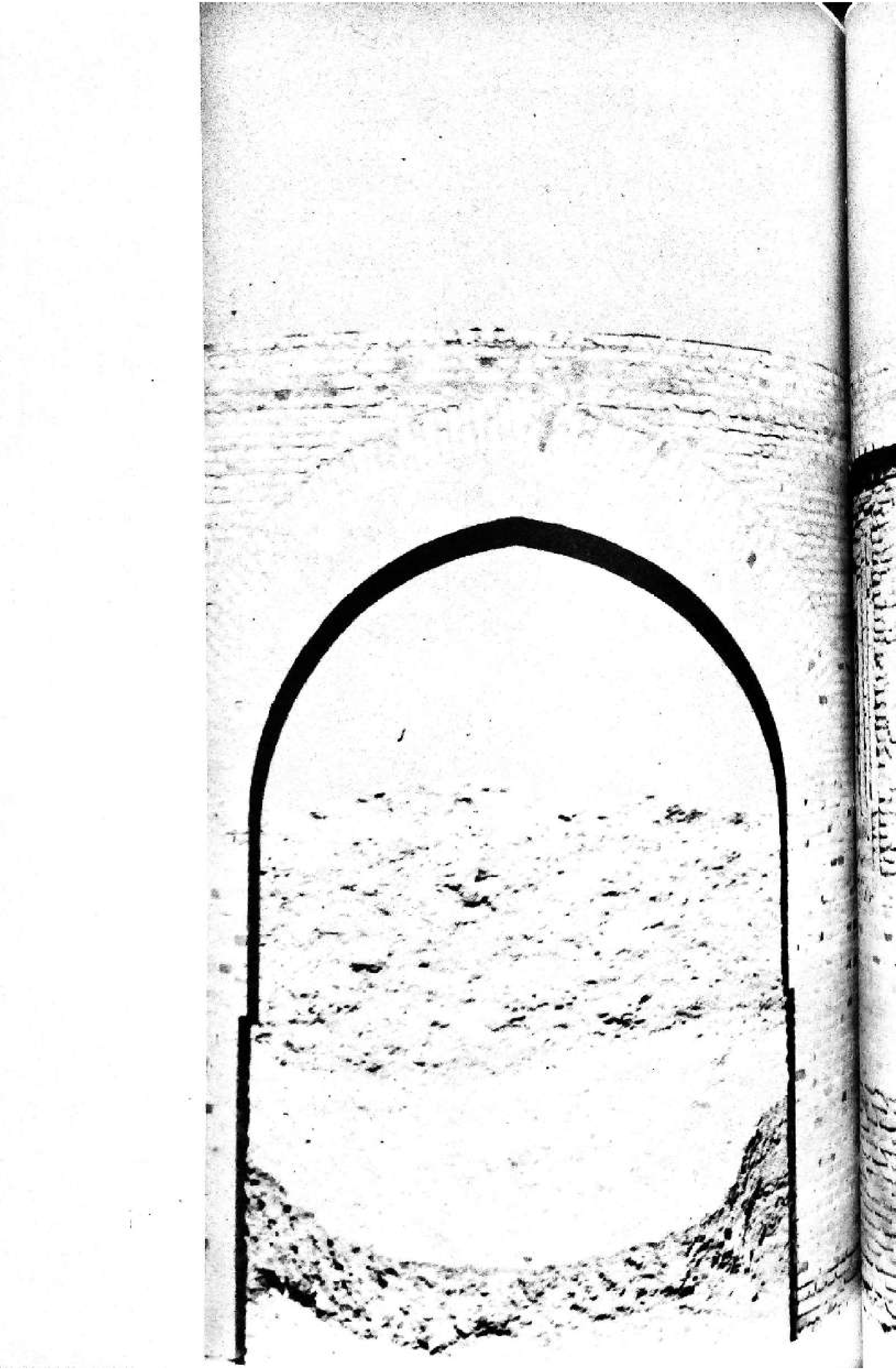
وترتيب الدعامات والعقود في المصلى غريب في شكله حيث ينتهي الاسكوب الخامس ببوائك عقودهـا موازيـة لجدار القبلة أيضا مثل عقود البوائك المطلة على الصحن فهي تشبهها . وتوازيها وتجلس على دعامات مثل دعاماتها • اما قواعد الصف السادس من الدعامات فمستطيلة ايضا ولكنها







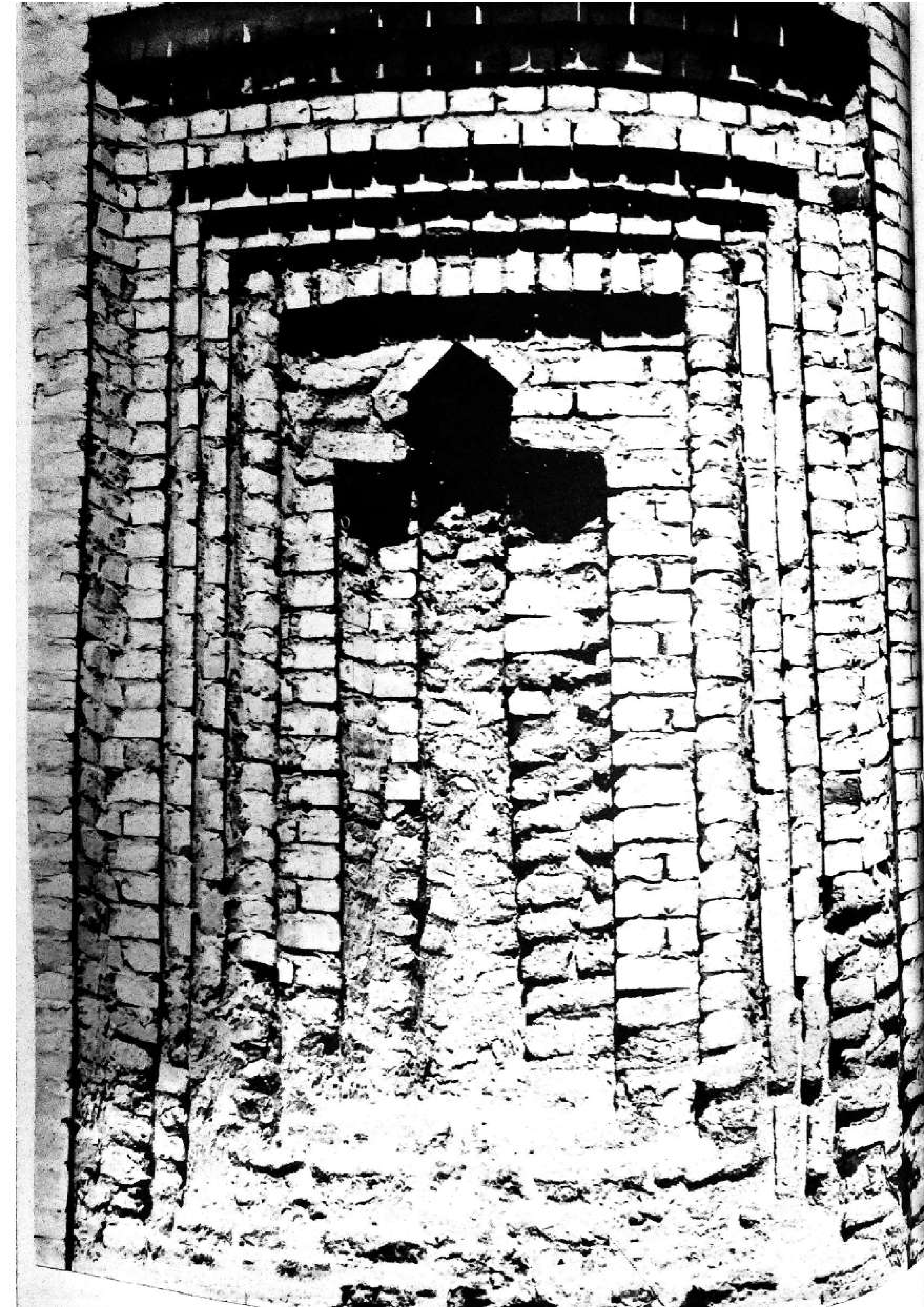
(لوح ٢١): جزء من المؤخرة المطلة على الصحن



موازية لجدار القبلة • ومما يؤسف له ان دعامات هذا الصف قد تهدمت ولم يبق منها الا قواعدها • ويحتمل جدا ان عقودها موازية لجدار القبلة اي ان هناك اربعة صفوف في عقود بيت الصلاة موازية لجدار القبلة وخمسة عمودية عليه • وهذا التركيب غريب اذا ما قورن مع تركيب عقود بيوت الصلاة في المساجد الاخرى ولو اننا لا نعرف بالضبط اتجاهات عقود بيت صلاة جامع المتوكل ، ومع ذلك فان قواعد دعامات تلك العقود تشير الى انها كانت جميعا موازية لجدار القبلة (لوح ٢٠) •

لم تكشف التنقيبات التي اجريت في بيت الصلاة عن سبب هذا الترتيب ولم يظهر ان هناك زيادة متعمدة في القسم الجنوبي في بيت الصلاة اى ان الاسكوبين السادس والسابع لا يختلفان كثيرا عن الاساكيب الخمسة الاخرى والاختلاف الظاهر في السعة فقط • حيث ان عرض هذين الاسكوبين يزيد قليلا عن عرض بقية الاساكيب • ومما تجدر الاشارة اليه ، هو ان تقسيم بيت الصلاة الى هذا العدد من البلاطات والاساكيب ناتج من توازي ستة عشر صفا من الدعامات بين الجدارين الشرقي والغربي وستة صفوف منها بين الصحن وجدار القبلة • ويطل المصلى على الصحن بثلاث عشرة بائكة اقواسها كما ذكرنا ، موازية لجدار القبلة •

وتناظر دعامات المؤخرة دعامات بيت الصلاة في اتجاه صفوفها من الشرق الى الغرب • وعدد اساكيب المؤخرة ثلاثة فقط وبهذا يكون عدد صفوف الدعامات العمودية على جدار المؤخرة ستة عشر صفا وتلتصق دعامات الصف الاول بدعامات موازية لجدار المؤخرة وتحمل عقودا مستعرضة هي عقود البوائك الثلاث عشرة التي تطل على الصحن • اما عقود المجنبتين فعمودية على جدار المؤخرة والقبلة وموازية للجدارين الشرقي والغربي وتطل على الصحن من كل جهة بتسع عشرة بائكة ويبلغ عرض كل من هذه البوائك ١٥ر٤ أمتار (لوح ٢١) •

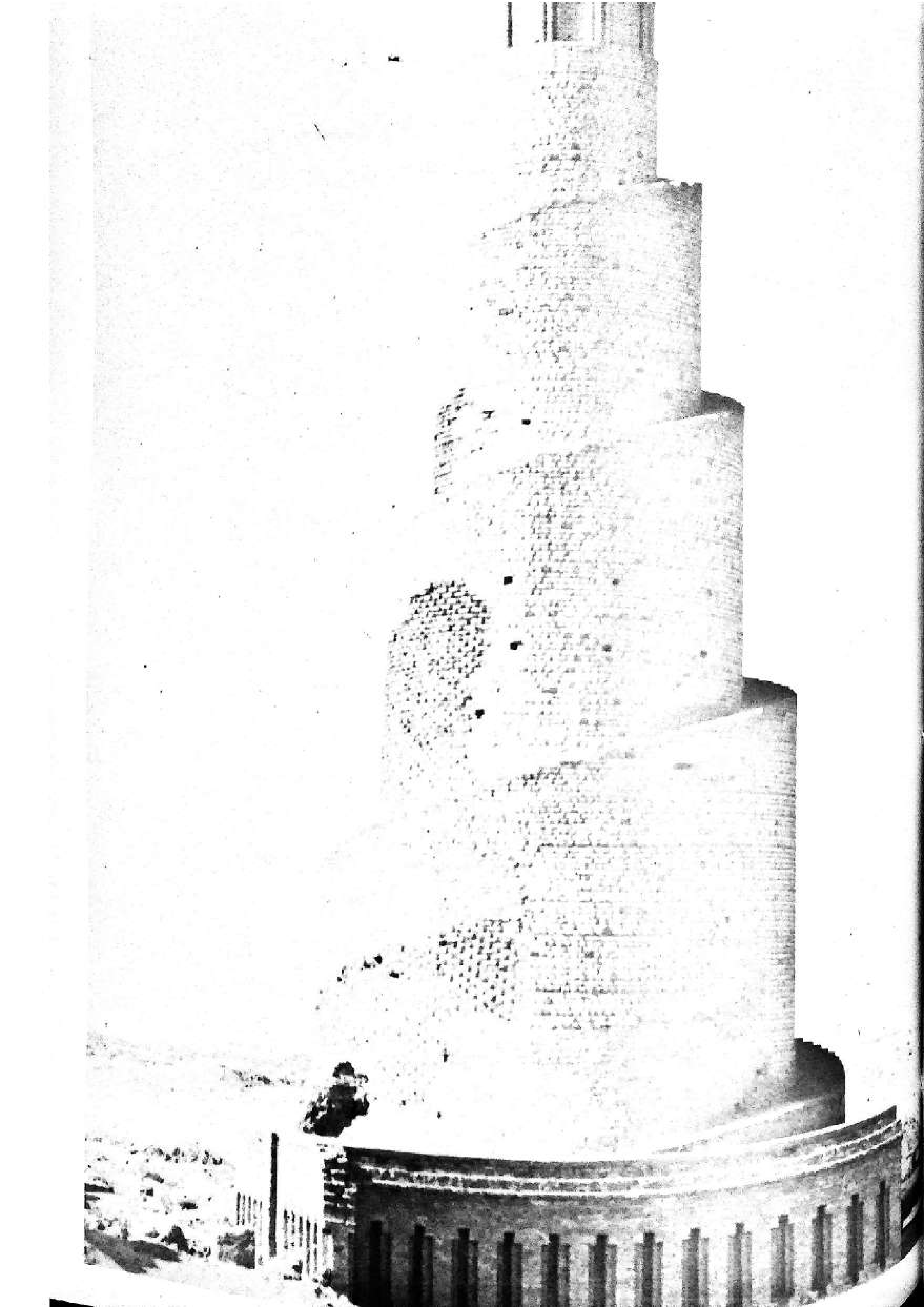


تزين وجوه الجدران المطلة على الصحن مشاك مستطيلة الشـــكل غائرة متدرجة تنتهي بحنايا ذوات عقود مقصوصة وثلاثية الفصوص • وترتيب هذه المشاكي العماري يشبه تشكيلة المحراب البنائية (لوح ٢٢) • وتقع هذه المشاكي بين اكتاف عقود البوائك وهي واسعة نسبيا •

وتكشف بقايا الجدران او الجسور البنائية القائمة على عقود هذه الاجزاء من المسجد انه كان مستوي السطح وقد استعمل الخشب في تسقيفه حيث ما زالت بقايا حفر تثبيت تلك الاخشاب في الجدران وهي تشبه تلك التي نراها في اعالي جدران جامع المتوكل من الداخل •
ابعادها ٦٥ × ٨٥ر١٠ امتار ترتفع عن مســـتوى ســطح الارض بحـدود ٧٠ر٢ متر • وتزين وجوه جدرانها حنايا مستطيلة تشبه حنايا المشـــاكي

ومأذنة جامع ابي دلف حلزونية ايضا تجلس على مصطبة مربعة تقريبا وهي ذات شكلين ايضا فتلك التي تزين الجدار الشمالي تنتهي بشبه عقد ثلاثي الفصوص اما التي تزين الوجوه الثلاثة الاخرى فعقد حناياهـا شبه مقصـوص (مدني) وعدد هذه الحنايا ١٣ في الوجـوه الشرقية والغربية والشمالية اما الوجه الجنوبي ففيه ١٠ حنيات حيث يشغل انكسار مدخل السلم مسافة معينة من هذا الوجه • وترتفع هذه الحنايا حوالي متر ونصـف وعرضها اقل قليلا من نصف المتر • وبدن المأذنة صلد اسطواني يتألف من أربع اسـطوانات يدور حولها السـلم • (لوح ٢٣) وقامت هيئـة فنيـة من مديرية الاثار بصيانة هذه المأذنة واكمال الاجزاء المتهدمة وتم تزيين القسم العلوي من الاسطوانة الاخيرة بحنايا محرابية على غرار حنايا قمة مأذنة المتوكل • ويغلب على الظن ان حنايا قمـــة مأذنة جامع ابي دلف كانت على غرار حنايا القاعدة وتلك التي تزين واجهات الجدران المطلة على الصحن • ويبلغ ارتفاع المأذنة ، بدون القاعدة حوالي ٢٠ مترا وهي بذلك أقصر بكثير

(لوح ٢٣): مأذنة جامع



من مأذنة جامع المتوكل • وقد سقط القسم العلوي من هذه المأذنة ولم يبق منها الا ثلاث مدورات او اسطوانات •

وصف جامع ابي دلف بانه نسخة مصغرة من جامع المتوكل واقل ما يمكن ان يقال بشأن ذلك ان الخليفة المتوكل على الله قد امر ببناء هذين الجامعين • ان التطابق يكاد ان يكون تاما في الامور الرئيسية مثل شكل الجامع وطرازه العماري ومأذنته والزيادة فيه والبيوت الملحقة ببيت الصلاة ، وزيادة سعة بلاطة المحراب • ولكن هناك اختلافات في التفاصيل مثل عدد الاساكيب والبلاطات والاروقة والنقشات الزخرفية والعناصر المعمارية خصوصا شكل الدعامات وبعض العقود • ثم بالاضافة الى ذلك هناك اختلاف في المواد البنائية المستعملة • فطراز جامع ابي دلف والدار الملحقة فيه حيري مثل معظم أبنية مدينة سر من رأى ودورها وقصورها ومسجدها الجامع • أما ابرز العناصر المعمارية فيه فهي العقد المدبب المنفوخ الذي استخدم لبلاطة المحراب في بائكتها المطلة على الصحن وتلك التي تقع في بداية الاسكوب الخامس • اما شكل المحراب ففيه مظهر جديد للتشكيل البنائي الذي يربط الفوهة بالقعر حيث تتناوب الاشرطة مع الاعمدة شبه الاسطوانية المندمجة والمسننات ذوات الزوايا القائمة • اما التحلية الزخرفية فتتمثل بالمشاكي المستطيلة المتدرجة الى الداخل والمنتهية بحنايا ذوات عقود مقصوصة ، (مدنية) ، وهي جديدة تماما ، ومفصصة سبق ان رأينا أمثلة لها في جامع المتوكل • وسيظل المنبر يمثل اقدم ما نعرفه من المنابر في العراق •

يعتبر جامع ابي دلف نموذجا جيدا للطراز المعماري من ناحية التخطيط والبناء الذي ساد وانتشر في العراق خلال القرون الهجرية الثلاثة الاولى والتي تعكس فى طرازها روح الاسلوب الحيرى • كما سنلاحظ ان هذا الطراز يبدأ بالاختفاء مع اختفاء الجوامع الكبيرة الفريدة في المدن العربية

الاسلامية وظهور اكثر من مسجد جامع في المدن الكبرى حيث لم تبق ضرورة للجوامع الشاسعة بل حلت محلها مساجد جامعة صغيرة نسبيا ساد فيها تخطيط معين تطورت فيه العناصر المعمارية التي كانت سائدة في الجوامع الاولى وزاد الاقبال على تحليتها بالنقشات الزخرفيـــة التي اصبحت تغطي اجزاء واسعة منها • ولا نستطيع على وجه الدقة تحديد بدايات الطراز الجديد في التخطيط حيث ان الامثلة او المساجد الباقية من القرن الرابع والخامس لا تكاد تذكر ومنها جامع واسط الذي أعيد بناؤه على طرازه الاول في القرن الرابع الهجري ومسجد مشهد الاربعين في تكريت الذي بني في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ويمثل مسجده بداية للطراز الجديد •

اخذت بلاطة المحراب تتسع في المساجد اللاحقة وصارت تشكل في مساجد القرون السادسة والسابعة الهجرية وما بعدها اهم واوسع جزء من المصلى حيث اتسعت لتشكل نصف بيت الصلاة على اقل تقدير وقد بدأت هذه الحالة في جامع أبي دلف حيث زادت سعة بلاطة المحراب بالمقارنة مع سعة بلاطة المحراب في جامع المتوكل •

اما بروز حنية المحراب عن مستوى وجه جدار القبلة من الخارج فهي ظاهرة جديدة ايضا في جامع ابي دلف • وسوف نشاهد استمرارا لها في معظم مساجد القرون اللاحقة •

٤ ـ مأذنة عنـــه

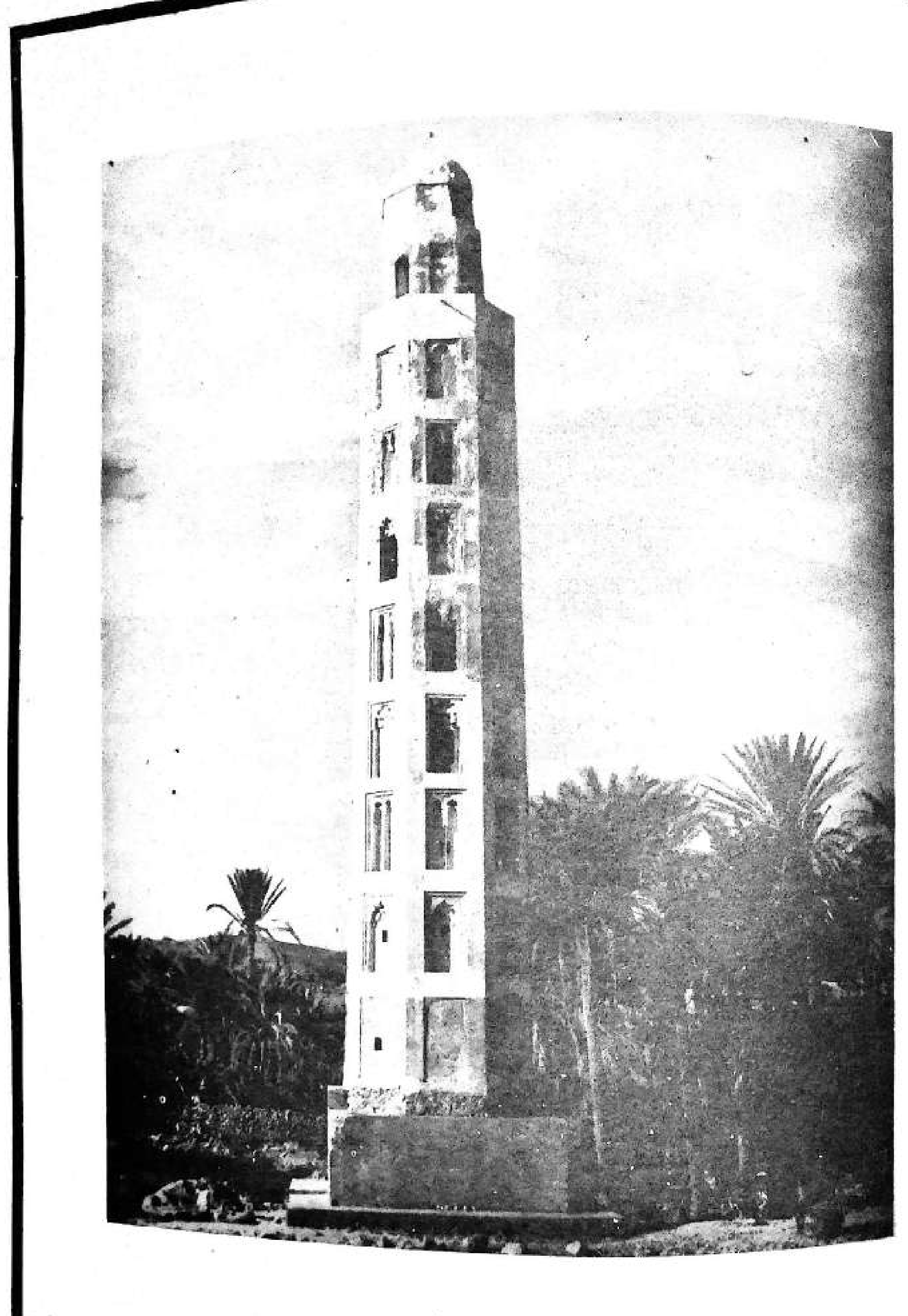
اثرت النزاعات الداخليـــة والغزو الخارجي تأثيرا مباشرا على حركة العمران وخصوصا بناء المساجد الجامعة والمرافق العامة الاخرى • وزاد في ذلك انشغال الخلفاء بامور شخصية وتدخل الطامعين في ادارة شـؤون الدولة وتسييرها بالطريقة التي تخدم اطماعهم وكان ذلك خلال القرن الرابع

والخامس الهجريين فلم يترك لنا حكام هذه الفترة من الابنية التي تمثل استمرار الفن العماري الذي ازدهر في العراق قبل هـــذه المرحلة • ويقف الباحث في هذا المجال في حيرة من أمره حيث يجد ان العمارات ، التي تشير الى نشاط معماري ، تعود في تاريخها الى الربع الاخير من القرن الخامس الهجري، ومأذنة عنه هي احدى هذه الابنية التي تنسب الى هذه الفترة الزمنية •

تقوم هذه المأذنة في جزيرة القلعة او جزيرة لباد التي تتوسط الفرات امام بلدة عنه وقد تهدم جامعها وتحولت جدرانه الى ركام من انقاض ، كما فعلت عوامل التخريب الطبيعية فعلها في هذه المأذنة لكن جودة مادتها البنائية جعلتها تصمد فبقيت قائمة الى عام ١٩٣٨ م حيث امتدت اليها يد الصيانة فزادت في قوتها وانقذتها من الانهيار ، وقبيل سنوات تم اكمال صيانتها فهي تشمخ اليوم متحدية عوامل التخريب • وتنبع اهمية هذه المأذنة ليس من قدمها حسب بل من شكلها المثمن المنشوري وارتفاعها ورشاقتها فهي فريدة في شكلها وتحليتها بين مآذن العراق[1] (لوح ٢٤) •

يجلس بدن هذه المأذنة على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٤ر٥ امتار وارتفاعها ١٠ر٢ متر ويبلغ قطر بدنها ٢٠ر٣ أمتار والصعود الى حوضها عن طريق سلم حلزوني يبدأ من الضلع الجنوبية للقاعدة ويرتفع البدن هذا بحدود ٢٠ مترا ، تعلوه رقبة بارتفاع خمسة امتار وهي مثمنة ايضا تنتهي برأس نصف كروي مدبب قليلا • شيدت المأذنة وقاعدتها بالاحجار غير المنهدمة والجص وتكمن روعة مأذنة عنه في كون بدنها مقسما عرضيا الى ثمانية اقسام او طبقات محلاة بمشباك ونوافذ عددها بعدد اوجه بدن المأذنة

(١) على مقربة من بلدة عنه من الجهة الجنوبية الشرقية وعلى ضفة الفرات اليسرى تقوم مأذنة مثمنة منشورية تدعى بالخليلية ومما يؤسف له ان هذه المأذنة في حالة غير جيدة حيث سقط جزء كبير من بدنها وتهدم جامعها وتنسب مأذنة الخليلية الى نفس الفترة التي بنيت فيها مأذنة عنه•



(اللوح ٢٤) : مئذنة [illegible]

وترتيب هذه الحلية المعمارية مفردة في طبقة ومزدوجة في الطبقة التي تليها والتكوين العماري لهذه المشاكي المستطيلة يتألف من حنايا ذوات عقود مفصصة مؤطرة بشريط مستطيل وبعض هذا الحنايا نافذ لغرض ادخال النور الى السلم الذي يدور داخل البدن والرقبة تتألف من طابقين فقط مزينة وجوهها الثمانية بمشاك او حنايا ايضا وبمعدل حنية واحدة في كل وجه • ولكن عقود حنايا الرقبة مدببة في صف ونصف دائرة في الصف الاخر • اما جدران القاعدة فخالية من الحنايا او اي شكل من الاشكال الزخرفية او الزينة المعمارية •

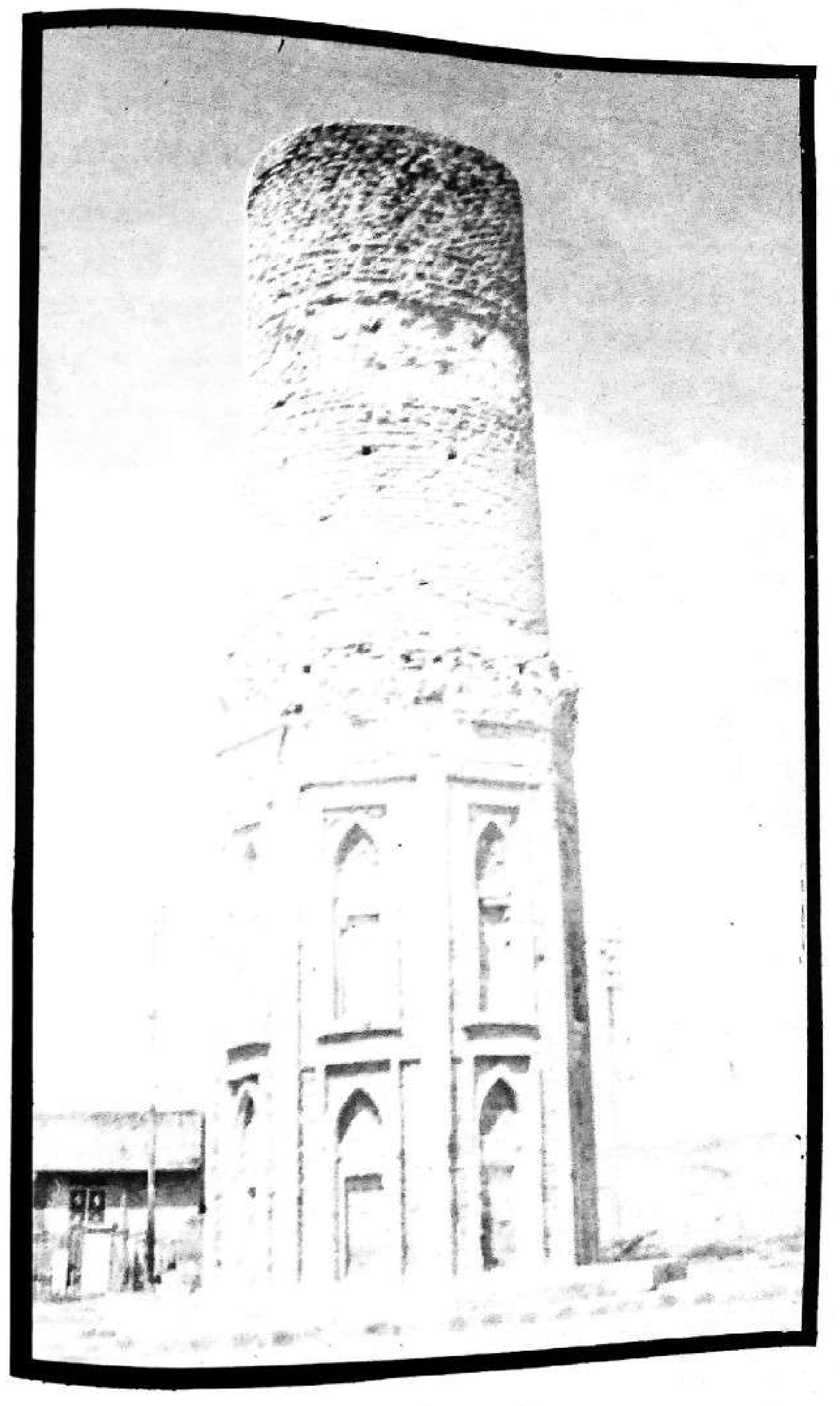
لم تذكر المصادر الادبية اية معلومات عن تاريخ بناء هذه المأذنة ومشيدها أو من أمر ببناء ذلك • كما تخلو المأذنة من أية كتابة تذكارية قد تساعد في تعيين تاريخ انشائها • لذا ليس امام الباحث سوى مقارنة العناصر المعمارية والزخرفية في هذه المأذنة مع غيرها ليسهل عليه تعيين تاريخ تقريبي لها • والواقع ان هناك شبها ملفتا للنظر بين حنايا بدن المأذنة بعقودها المفصصة واعمدتها شبه الاسطوانية المندمجة التي ترتكز عليها اطراف هذه العقود واشكالها المستطيلة المتدرجة وبين تلك التي تزين جدران ضريح الامام محمد الدري من الداخل ومشهد الاربعين في تكريت ، ومعروف ان ضريح الامام محمد الدري قد شيد في الربع الاخير من القرن الخامس الهجري كما ينسب مشهد الاربعين الى نفس الفترة الزمنية حيث يصادف حكم العقيلين في الموصل والجزيرة وشمالي الفرات الاوسط ، وهم الذين شيدوا ضريح محمد الدري ومشهد الاربعين • لذا يحتمل جدا ان العقيليين هم الذين شيدوا مأذنة عنه ومسجدها وفي فترة حكمها للمنطقة أي الربع الاخير من القرن الخامس الهجري •

٥ ـ مأذنة سنجار

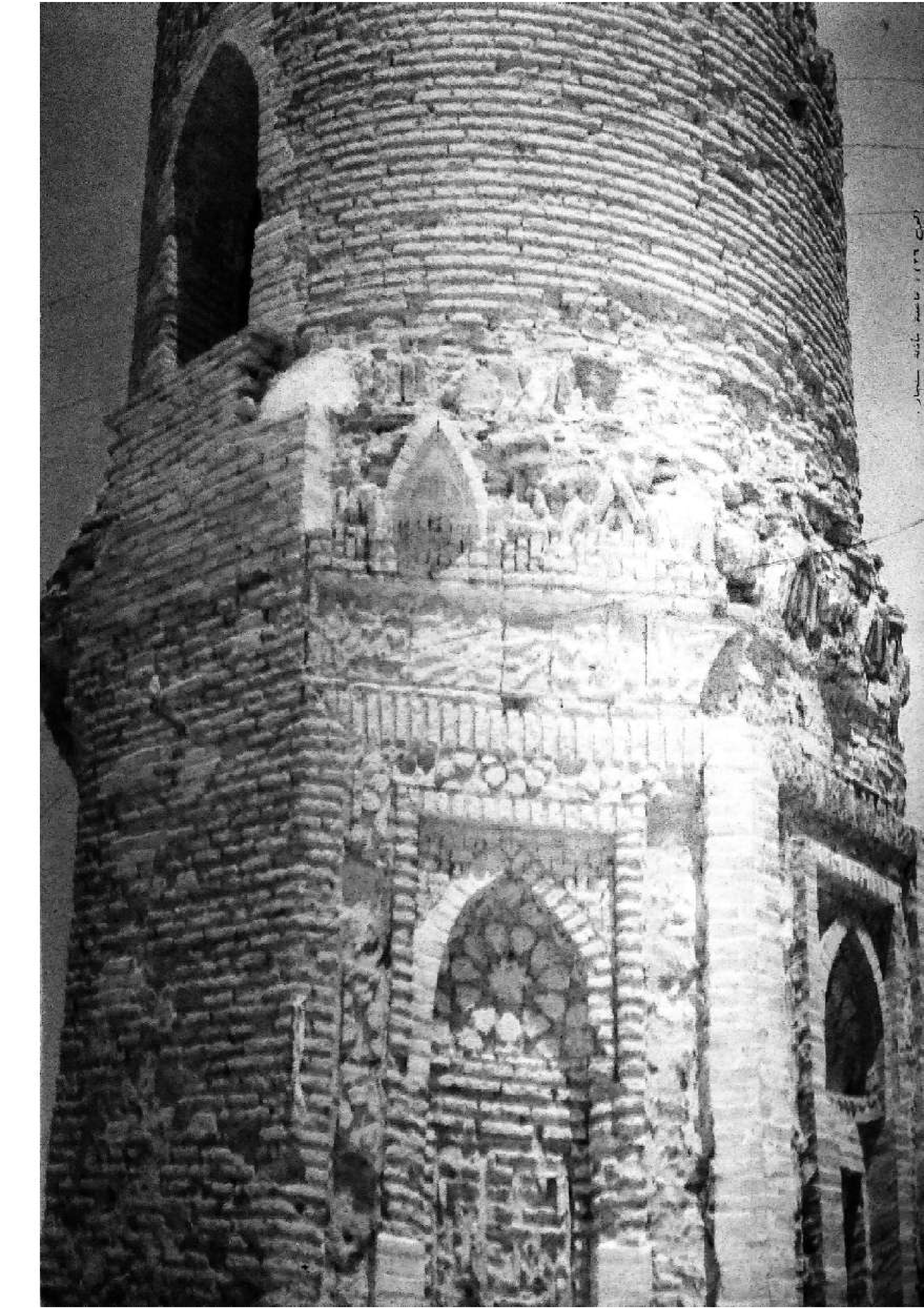
ثمة اكثر من سبب يجعل هذه المأذنة من بين اهم مآذن العراق • وقبل ان نذكر صفاتها المميزة لا بد من الاشارة الى موقعها وسماتها • فهي تقوم في جنوبي غربي بلدة سنجار حيث دعيت المحلة التي تقع فيها باسم محلة المنارة • وان كل ما تبقى منها القاعدة وقسم من البدن • تهدم الجامع الذي انشئت له وسقط القسم العلوي من بدنها (لوح ٢٥) • وما تبقى يقدم الدليل على روعة هذه المأذنة وجمالها والجهود المبذولة في بنائها وتحليتها • يبلغ ارتفاعها على هيئتها الحالية ١٢ مترا • وقد شيدت بالطابوق والجص • وقاعدتهامثمنة مزينة بصفين من حنايا ذات اطر مستطيلة وعقود مدببة وتغطي هذه الحنايا كامل وجوه القاعدة وبمعدل حنيتين في كل وجه عدا وجهين كان يلتصق بهما جدار المسجد • ويتوج الحنايا هذه شريط يدور حول القاعدة نقشت عليه كتابة تذكارية بخط ثلث جميل يقرأ منها : بسم الله الرحمن الرحيم تطوع بعمارته العبد الفقير •••••• ابن زنكي ابن اقسنقر في شهر محرم سنة تسع وخمسين وخمسماية » • لقد تلف جزء من هذه الكتابة والواضح ان اسم من امر ببنائها هو التالف • واذا ما استعرضنا اسماء من حكم سنجار في هذه الفترة فاننا نجد ان قطب الدين مسعود بن مودود هو حاكم المدينة حتى عام ٥٦٥هـ / ١١٦٩م •

ويعلو شريط الكتابة هذا صف من حنايا صغيرة ذات عقود مدببة تبرز الى الامام • ومن الجلي ان رؤوسها كانت تسند قاعدة شرفة تدور حول بدن المأذنة او تجلس عليها مصطبة تدور حول بدن المأذنة وقد تستخدم للأذان احيانا • وهذه الحنايا تمثل بداية للمقرنصات واستعمالها كمساند للاحواض او البروزات المصطبية التي تبرز لاغراض التحلية احيانا • ولا يزيد ارتفاع القاعدة عن سبعة امتار ويظهر انههو ارتفاع جدار المسجد الملاصق للمأذنة •

بدن المأذنة اسطواني وكان متوجا بحوض يخترقة سلم حلزوني يدور داخله ويبدأ عند قاعدة البدن حيث تنفتح حنية ذات عقد مدبب في القسم



(اللوح ٢٥) : مأذنة سنجار .



السفلي منه مكونة مدخل السلم . وبدنها رشيق اذا ما قورن مع بقية المآذن العراقية الشاخصة ومحلى بنطاقين زخرفيين عريضين نسبيا . والحقيقـة ان القسم الاسفل من البدن غير مزين بنقشات وبارتفاع قمة حنية مدخل السلم . وتتألف الزخرفة في النطاق الاول من تشـكيلات هندسـية دقيقة وجميلة ومعمولة من طابوق قص ونجر باشكال جميلة وذات وجوه مستوية وتبرز بمستوى واحد على مستوى وجه جدار البدن . ويفصل هذا النطاق عن النطاق غير المحلى والنطاق الذي يليه من فوق شريط ضيق عملت زخارفه بطريقة التفنن في صـف الطابوق في أوضـاع معينة . اما النطاق العلوي فمغطى باشكال معينة ناتجة عن التفنن في صف الطابوق وعلى مسـتويات متباينـة .

ومأذنة سنجار هي اقدم المآذن العراقية ذات الإبدان الاسطوانية . وقد ساد هذا الطراز بعد ذلك تماما ولا تعرف من المآذن التي بنيت بعدها بغير هذا الشكل حتى صار طابع مآذن العراق المميز هو ابدانها الاسطوانية ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان قاعدتها تعكس اثر مأذنة عنة او طرازهـا حيث الشكل المثمن المحلى بحنايا ذات حافات او اطر مستطيلة خاسفة وبارزة . ويلاحظ ان بواطن حنايا مأذنة سنجار مزينة بوحدات زخرفية معمولة من طابوق مقصوص ومنجور ومرتب باشكال هندسية دقيقة مستوية الوجوه بارزة عن مستوى وجه ارضية الحنية وهي تشبه تشكيلات النطاق المزخرف الاول الذي يحلي البدن . اما الكتابة التذكارية فهي مهمة ايضا لانها تؤرخ المأذنة وتشير الى صفة مهمة من صفات الفن العربي الاسلامي وهي الاستفادة من الكتابة لاغراض التحلية والزخرفة بالاضافة الى تثبيت التواريخ .

وابرز ما في القاعدة الحنايا التي تسند الحوض او الشرفة فهي ابتكار عربي صرف هدفه الجوهري تهيئة مساند او دعامات لبروز بنائي معين . وهذه هي المقرنصات بعينها ولكنها هنا تظهر في بداية استعمالها كمساند لقاعدة بارزة وسوف نجدها مستعملة وبصورة متقدمة ومركبة في عدد من المآذن اللاحقة حيث تستند عليها قواعد الاحواض (لوح ٢٦) .

ان اكساء البدن بالتشكيلات الزخرفية وبهذه السعة شيء غير مألوف في المآذن السابقة • ويكشف هذا عن الاقبال على التفنن في زيادة تحلية المساجد ومآذنها بالاشكال الزخرفية وخصوصا الوحدات الهندسية ، ونلاحظ في هذه الاشكال الزخرفية طريقتين في صناعة الزخارف ، وهي التفنن في صف الطابوق وهذا ابتكار عربي صرف معروف منذ القرن الثاني الهجري حيث نجد اقدم الامثلة له في قصر الاخيضر • واستخدام هذا الفن هنا بسعة وتركيب متقن • اما النوع الاخر من هذه التشكيلات فتقنيته مختلفة عن تقنية النوع الاول • ففيه يتم قص الطابوق ونجره باشكال معينة تؤلف اذا ما جمعت الى بعضها اشكالا هندسية واحيانا تستخدم بهيئة مفردة لتشكل اطرا أو حافات او غيرها من الاشكال • وميزة هذا النوع من التشكيل ان وجوه الوحدات مستوية وتبرز عن مستوى الارضية التي تثبت عليها • ويحتمل جدا ان هذا الفن هو تقليد لفن الحفر على الجص حيث تبرز الاشكال مستوية وعلى ارضية موحدة • وخلاصة القول ان مأذنة سنجار مهمة في شكلها وتركيبها وعناصرها المعمارية والزخرفية ، فهي تجمع بين القديم المتوارث والجديد المبتكر في الشكل والعناصر المعمارية والزخرفية •

٦ ـ جامع النوري

سمي هذا الجامع باسم من امر ببنائه وهو الملك الاتابكي نور الدين محمود بن زنكي ، مؤسس الدولة الزنكية في الموصل • ويدعى ايضا بالجامع الكبير حيث كان اكبر جوامع المدينة واشهرها • ويقع وسط بلدة الموصل وتعرف المحلة التي يقوم بها باسمه ، اي محلة الجامع الكبير ، ابتدأ البناء به عام ٥٦٦هـ/١١٧١م وتم عام ٥٦٨/١١٧٣م وتذكر كتب التاريخ والتراجم ان تعميرات وترميمات قد أجريت فيه بعد فترة طويلة نسبيا من اكماله • فقد جاء ان حاكم الموصل حسن الطويل الذي دام حكمه ما بين ٨٧١ ـ ٨٨٢هـ/١٤٦٦ ـ ١٤٧٧م قد أمر بتعمير القسم الأيسن من المصلى وان الشيخ محمدا القادري قد عمره ايضا واسس له تكية وكان ذلك ما بين

١٢٨١هـ - ١٢٨٦هـ/١٨٥٩ - ١٨٦٤م وتم تجـديد الجامع عام ١٩٤٤م • ولم تذكر هذه المصادر مدى التغييرات التي اصابت الاقسام المجددة • ولكن الجامع بتخطيطه وعناصره المعمارية والزخرفية في الوقت الحاضر يكشف انالتعميرات لم تغير الكثير فيهوانها مجرد اعادة بناء اقسامتهدمت أو تعرضت للتخريب •

تشغل ابنية الجامع في الوقت الحاضر قطعة ارض شبه منحرفة مساحتها ٥٨٥ مترا مربعا • ويتألف من مصلى وصحن مكشوف واسع ومأذنة عاليـة تعرف بالحدباء • وهناك ابنية اخرى متأخرة تلتصق بجدران الصحن من الداخل •

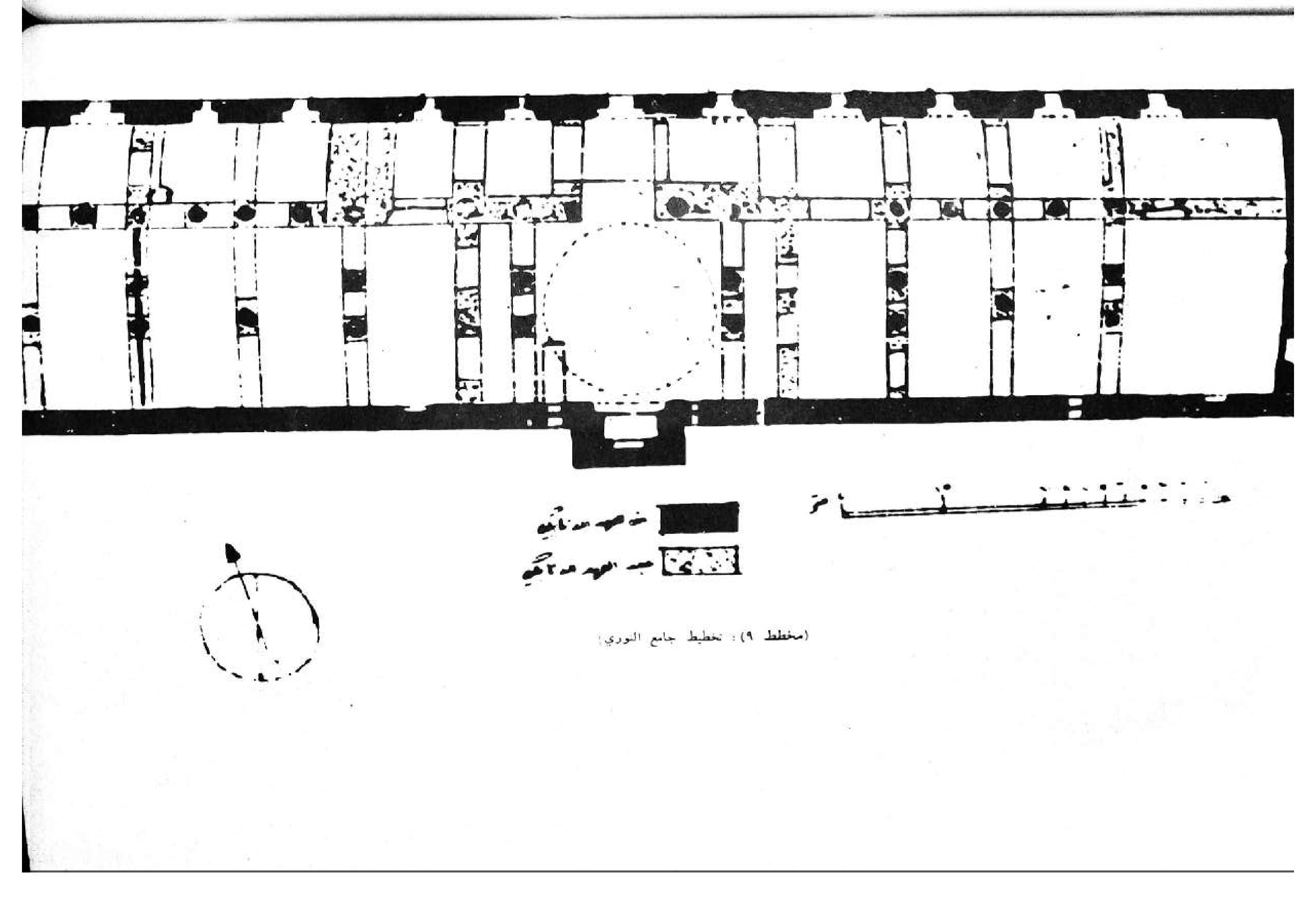
ان تخطيط جامع النوري يختلف عن تخطيط ما عرفناه من جوامع ومســاجد القرون الثلاثة الهجرية الاولى فهو خال من مجنبتين ومؤخرة ، وبناء بيت الصلاة فيه اصبح يتكون من قسمين القسم الامامي ببوائك مفتوحة على الصحن ، والقسم الاخر غـير مفتوح البلاطات • ونقف الان امام تصميم جديد للمساجد لا نعرف بالضبط متى ابتدأ حيث لم يبق اي من مساجد القرن الرابع والخامس الهجريين والتي قد تساعد في التعرف على بداية مرحلة التحول هذه • والحقيقة أن هناك مسجدا واحدا فقط نعرف شكل المصلى فيه هو مسجد عمـارة الاربعـين في تكـريت وينسـب الى الربع الاخير من القرن الخامس الهجري حيث يكشف مصلاه عن شبه ، والى درجة محدود مع بيوت الصلاة في مساجد القرن السادس الهجري • ولكن مسجد عمارة الاربعين غير مستقل بل هو مسجد لمدرسة او مشهد كما يدل عليه شكل البناية ويخلو من البوائك المفتوحة على الصحن او المصـلى الصيفي الذي صار يميز معظم المساجد التي انشئت بعد بناء جامع النوري •

المصلى في هذا الجامع مستطيل الشكل يشغل القسم الجنوبي الغربي من الارض ، ويتألف من أربعة أساكيب واثنتي عشرة بلاطة (مخطط ٩) • وبنـاء الجامع جيد ومتين فجدران المصـلى سـميكة ومشـيدة بالطـابوق

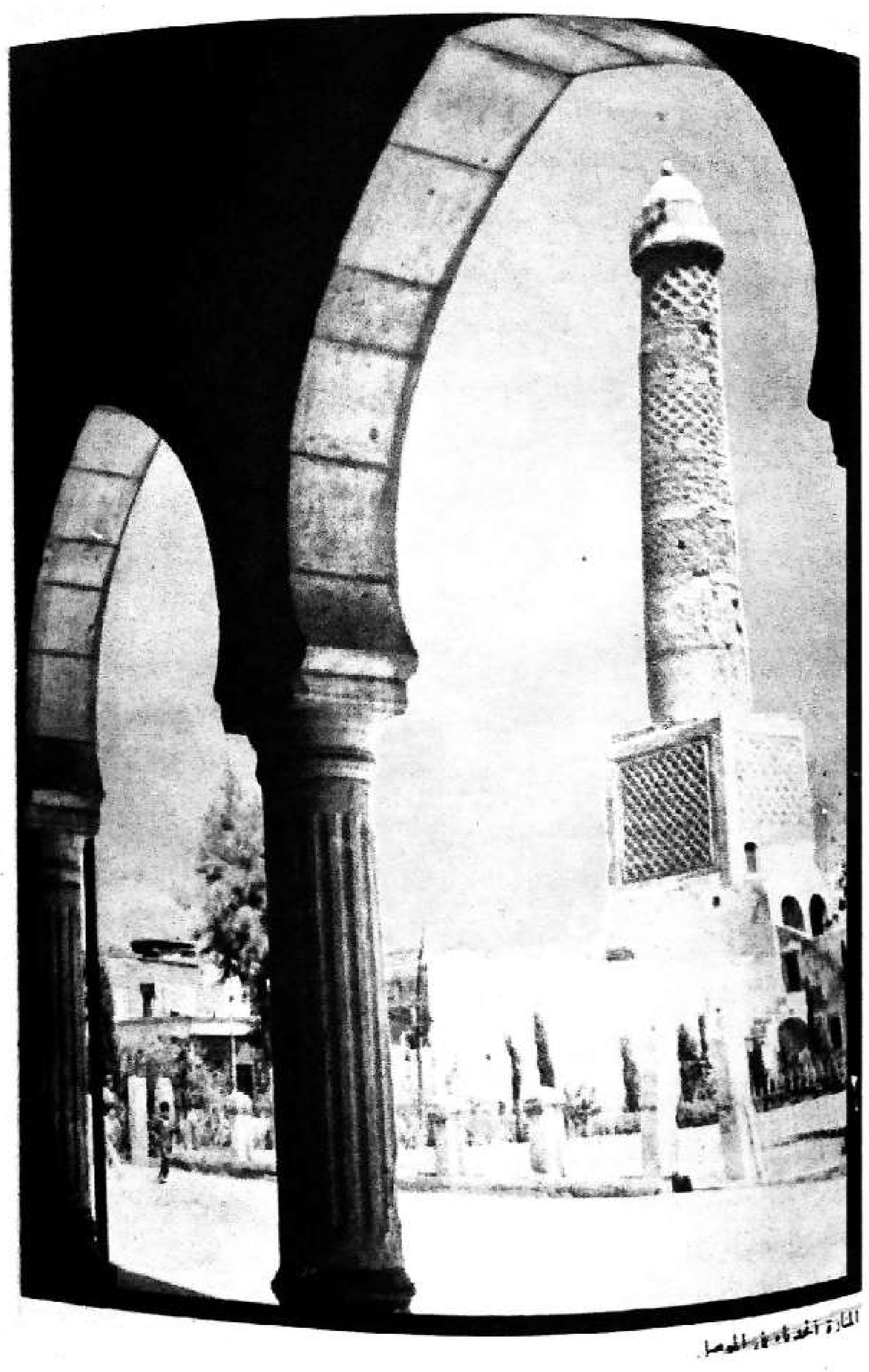
والجص • وتقوم سقوفه على دعامات ضخمة تحمل عقودا مدببة مطولة • وعقوده موازية لجدار القبلة ورتبت بلاطة المحراب بشكل معين لغرض اقامة قبة عليها تشغل عرض بلاطتين • وتم تقسيم بيت الصلاة الى قسمين حيث فصل الاسكوب الرابع المطل على الصحن عن الاسكوب الذى يليه بجدار يتوسطه مدخل يقع على الخط المحوري لهذا البيت • وتتج عن هذا التقسيم وجود بيت صلاة صيفي ، يطل على الصحن باثنتي عشرة بائكة عقودها مدببة منفوخة مطولة أيضا وتستند على أعمدة اسطوانية رشيقة (لوح ٢٧) والمصلى الشتوي مغلق أبعاده ٢٠×١٥ر٧ أمتار • وهذه ظاهرة أو صفة جديدة اخرى نجدها ولاول مرة في هذا الجامع ، ولا بد من سبب او اسباب جوهرية قادت الى هذا التطور في ترتيب بيت الصلاة في المساجد العراقية •

يحتمل جدا ان وجود اكثر من مسجد جامع في المدن العربية الاسلامية، ولو اننا لا نعرف بصورة دقيقة متى ابتدأت هذه الحالة ، ادى الى عدم الاهتمام بسعة المسجد وسعة بيت الصلاة والمجنبتين والمؤخرة فيه واصبح بيت الصلاة وبسعة محدودة يؤدي الغرض لاقامة الصلوات الخمس ويتسع لعدد اكبر من المصلين ايام الجمع والاعياد فلا داعي الى مجنبتين ومؤخرة واذا ضاق المسجد بالمصلين فيمكن ان يستخدم الصحن لاستيعاب مالم يتسع له بيت الصلاة • ساد هذا الطراز من المساجد الجامعة في عموم مدن العراق واختفى طراز المساجد الجامعة الاولى التي انشئت في البصرة والكوفة وواسط وسر من رأى •

اما تقسيم المصلى الى قسمين مغلق ومفتوح او شتوي وصيفي فنعتقد ان للظروف المناخية دورا رئيسا فيه خصوصا في القسم الشمالي من العراق ، حيث برد الشتاء القارص وحر الصيف اللاهب واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان هذه المرافق الدينية لم تستخدم للصلاة فقط بل كانت تقوم فيها حلقات تدريس ووعظ تشمل علوما مختلفة لذا فمن الصعوبة بمكان ان يمضي



(مخطط ٩) : تخطيط جامع النوري)



(لوح ٢٧) : جزء من مصلى جامع النوري الحصيني

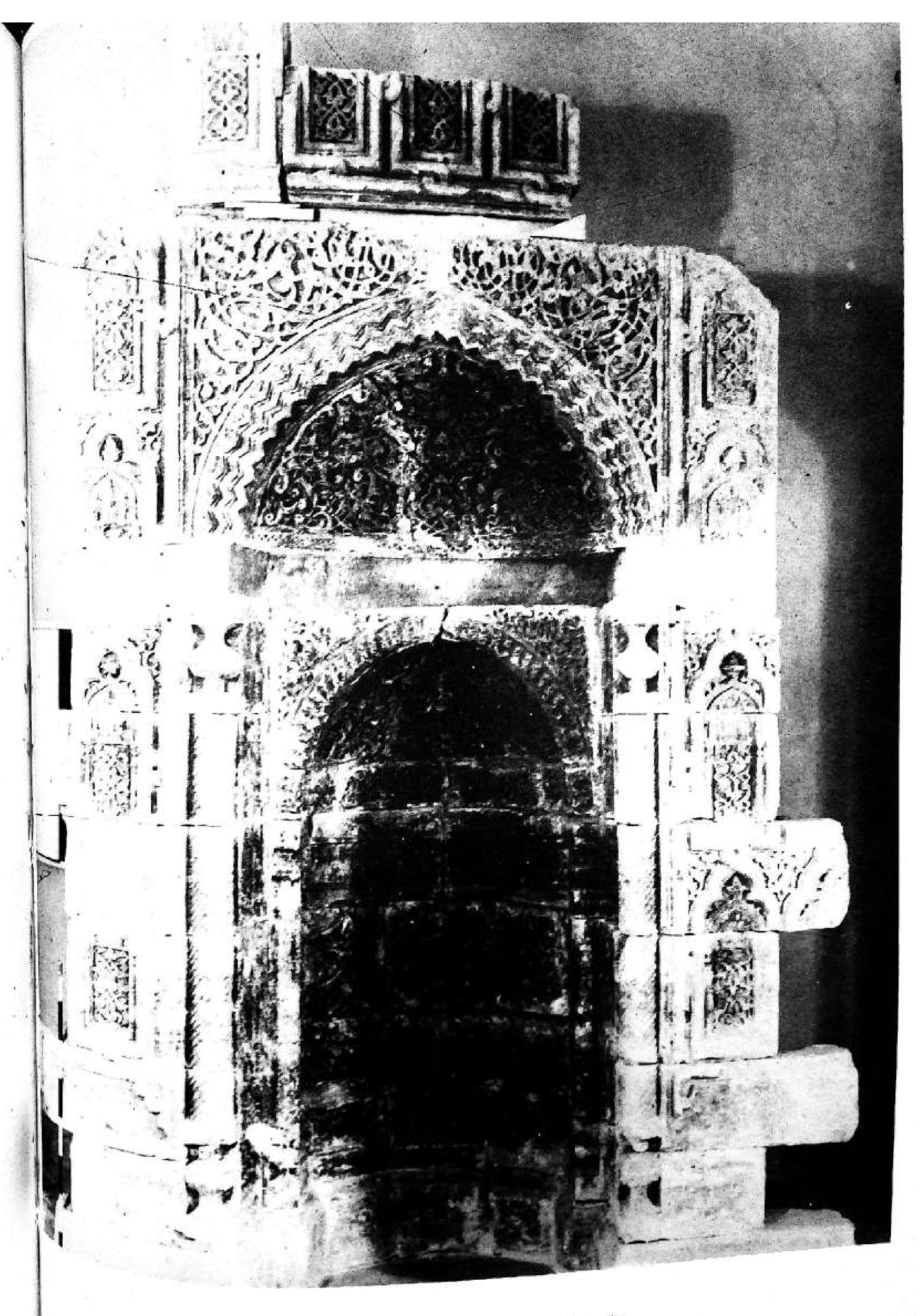
طلبة العلم ساعات في بلاطات واساكيب مفتوحة لا تحميهم من برد الشتاء . فكانت النتيجة تطوير بيت الصلاة واقامة جدار واق من البرد الشديد كما ترك في بيت الصلاة ما يكفي لا قامة الصلاة في الصيف في رواق يطل على الصحن ببوائك مفتوحة ويصلح لان تعقد فيه حلقات التدريس في النهار والليل في الصيف . ان امعان النظر في تصميم بيت الصلاة الجديد يكشف عن العلاقة بينه وبين دور العراق ذات الطراز الحيري والمعروفة في البصرة والكوفة ومدينة السلام السابقة على تشييد جامع النوري فلدينا من الشواهد ما يشير الى هذه العلاقة حيث بيوت الشعيبة وقصر الاخيضر وغيرها التي تتألف من غرف سكنية يتقدمها رواق مسقوف يطل على صحن ببوائك عقودها قائمة على اعمدة ويتبادر الى الذهن هنا ايضا ان سعة بلاطة المحراب قد تكون لها علاقة بسعة الغرفة الوسطى التي تكون احيانا بهيئة ايوان يتوسط المرفق او الدار ذات الطراز الحيري في الدور الباقية من القرون الثلاثة الهجرية الاولى .

نعود الى مصلى جامع النوري الشتوي الذي تخترق جدرانه الشرقية والجنوبية والشمالية نوافذ للاضاءة والتهوية خصوصا في الصيف وعند اداء الصلاة ويشتهر بيت الصلاة هذا بمحرابه الفريد وقبته المرتفعة نسبيا والنقوش الجصية الجدارية التي كانت تزين القسم العلوي من جدار القبلة . والقبة التي تقوم على مربع يتقدم المحراب ، ناتج من تقاطع بلاطة المحراب مع اسكوبين من اساكيب بيت الصلاة جديدة ايضا في المساجد الجامعة ولم نعرف في مساجد العراق السابقة مثل هذا التكوين فهي وسيلة اضافية لزيادة قوة صوت الامام وايصاله الى كافة أنحاء المصلى وذلك يعكس هذا الصوت الذي يزيد في قوته في المرحلة الاولى محراب القبلة فهي اذن تكمل وظيفة المحراب في مجال تقوية وايصال صوت الامام . والقبة الاصلية لمصلى هذا الجامع مزدوجة السفلية منها نصف كروية تجلس على رقبة اسطوانية تعلوها قبة مخروطة ذات ١٦ ضلعا وسوف نرى ان مثل هذه القبة موجودة في عدد من المساجد والاضرحة اللاحقة

وتطورت واتسعت احيانا لتكون بهيئة سقف يغطي بيت الصلاة الشتوي في عدد من المساجد العراقية وقد سقطت هذه القبة وبني مكانها قبة اخرى حديثة ذات شكل اخر •

ومحراب جامع النوري فريد كما ذكرنا وكان يتوسط جدار القبلة وهو الان معروض في احدى قاعات المتحف العراقي حيث تم نقله الى بغداد بعد اعمال الصيانة والتجديد التي اجريت في هذا الجامع عام ١٩٤٤ وهذا المحراب معمول من حجر الرخام ويتألف من عدة قطع نحتت بادق الزخارف واجملها (لوح ٢٨) • ويتألف من حنيتين عقودهما مدببة ترتكز أطرافها على أعمدة اسطوانية حلزونية (مفتولة) ويؤطر حنية المحراب هذه اطار من مشاك صغيرة ذوات عقود مفصصة • وشغلت بطون هذه المشاكي وحنية المحراب واكتاف العقود فيه بادق الزخارف النباتية المحفورة حفرا عميقا ويكشف هذا المحراب في تكوينه عن العلاقة بينه وبين محراب جامع المتوكل المجدد من حيث شكل الحنية المزدوجة وعقديها المدببين والاطار المستطيل الذي يحيط بها اما من ناحية مادته ونقوشه النباتية الدقيقة واعمدته الحلزونية فيشير الى علاقته بمحراب الخاصكي ، محراب جامع المنصور في مدينة السلام • وتمثل زخارفه المحفورة حفرا عميقا شبه مجسم في الحجر درجة الاتقان والدقة في مجال الزخارف النباتية التي اينعت في مدينة سر من رأى ممثلة بالالواح الجصية الواسعة الانتشار التي كانت تزين جدار دور وقصور المدينة والتي ساد فيها العنصر النباتي كوحدة زخرفية • والحقيقة ان زخارف هذا المحراب تمثل قمة ما وصل اليه هذا الفن في الدقة والاتقان •

ومحراب الجامع الحالي نفيس وفريد ايضا ويعتبر من بين اهم المحاريب المعروفة في العراق • فهو يتوسط جدار القبلة وبعمق محدود ، ولكن هناك بروزا عن مستوى وجه الجدار من الخارج يؤشر موقع المحراب • ويقوم الى يمين هذا المحراب منبر الجامع • وهذا المحراب معمول ايضا من حجر الرخام الازرق ومزين بكتابات ونقوش دقيقة ، ويتألف من حنية مستطيلة



اللوح ٢٨: محراب جامع النوري (المتحف العراقي).

يتوجها عقد مدبب غير مجوف ويشغل جدارها الخلفي نقش بهيئة محراب عقده مدبب ايضا يستند طرفاه على اعمدة حلزونية مندمجة ، ويؤطر المحراب المنقوش شريط مستطيل مشغول بكتابات دقيقة • ويحيط بالمحراب او تجويفته ككل اطار مستطيل ايضا مشغول بكتابات ووحدات من الزخارف النباتية الدقيقة (لوح ٢٩)• تتضمن الكتابات آيات قرآنية وتاريخ عمل هذا المحراب وهو ٥٤٣هـ / ١١٤٨ واسم الصانع • وقد حفرت هذه الكتابات على ارضية من الزخارف النباتية الدقيقة ونقشت بخط كوفي مورق متقن للغاية • ويعتقد ان هذا المحراب منقول من الجامع الاموي في الموصل على الغالب • وتغطي الزخارف النباتية بقية اجزاء المحراب بفن ودقة ولكن ليس بنفس مستوى اتقانها في محراب الجامع الاصلي ، ومع ذلك ، فانها تشير الى الروعة والدقة في استعمال العناصر او الزخارف النباتية مع الكتابات التذكارية • والحقيقة ان نفس التشكيل النباتي المستعمل في هذا المحراب قد استعمل ايضا في تحلية المحراب الاصلي ولكن مستوى بروز النقوش عن مستوى الارضية اقل في هذا المحراب عما هي عليه في المحراب الاصلي • اما التجويفه المستطيلة فهي معروفة في محراب جامع ابي دلف •

جدران بيت الصلاة مغطاة الان من الداخل والخارج بالجص وخالية من التحلية الزخرفية ولكن وبنتيجة اعمال الصيانة التي اجريت فيه عام ١٩٤٤ تم الكشف عن تشكيلات من الزخارف الجصية كانت تزين جدار القبلة وقد قلعت الواح هذه الزخارف ثم نقلت الى بغداد وهي معروضة الان في احدى قاعات المتحف العراقي (لوح) • وتتألف الزخارف من حنايا محرابية على نمط محراب الجامع الاصيل ، رتبت باوضاع معينة • وتغطي الزخارف ، المحراب ، وتغطي كل المساحة أي الحنايا والاقواس والاطر ، وقد حفرت بدقة متناهية على ارضية غائرة بحيث تظهر التشكيلات الزخرفية

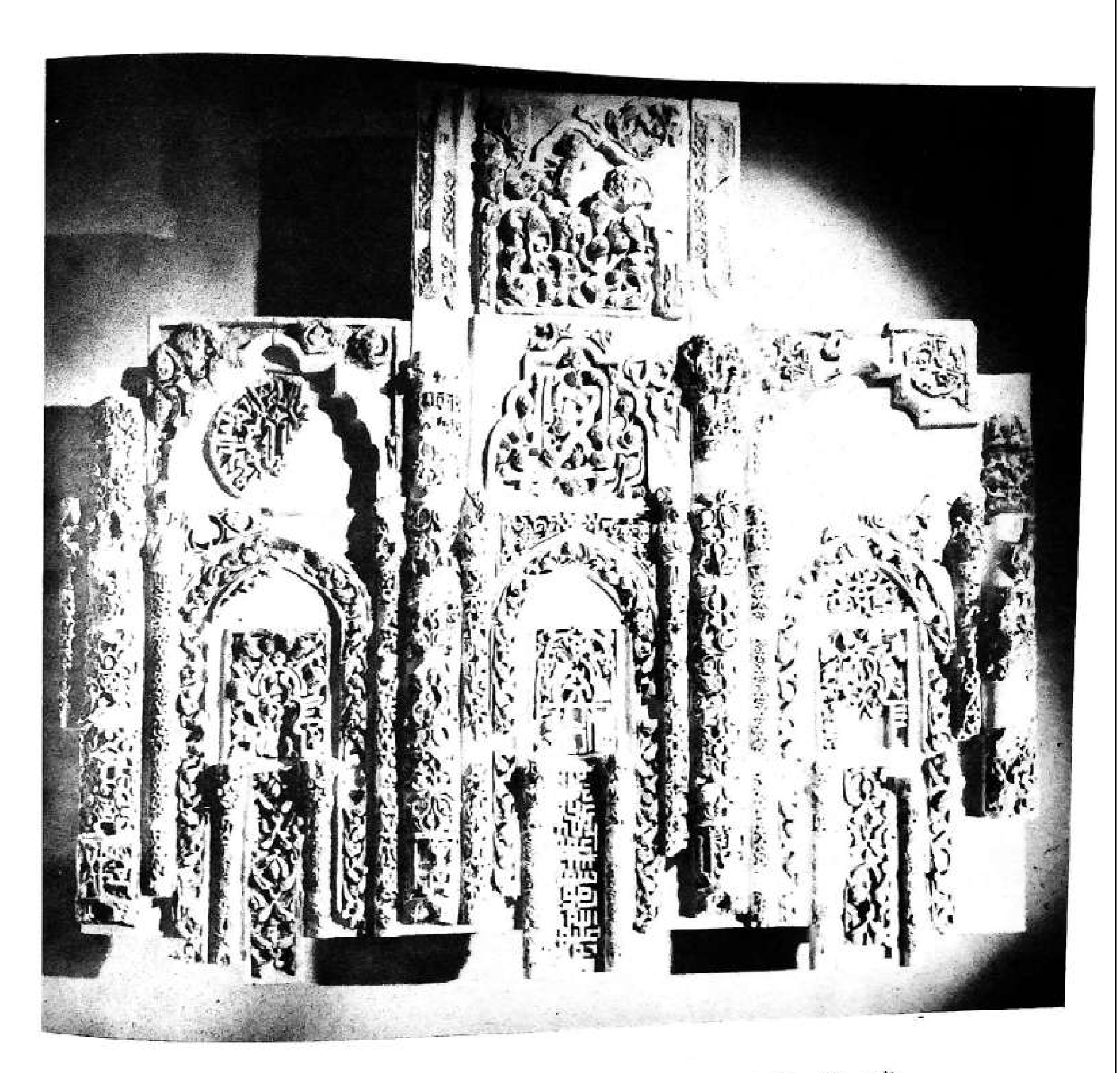


(اللوح ١٢٩): محراب جامع النوري الحالي

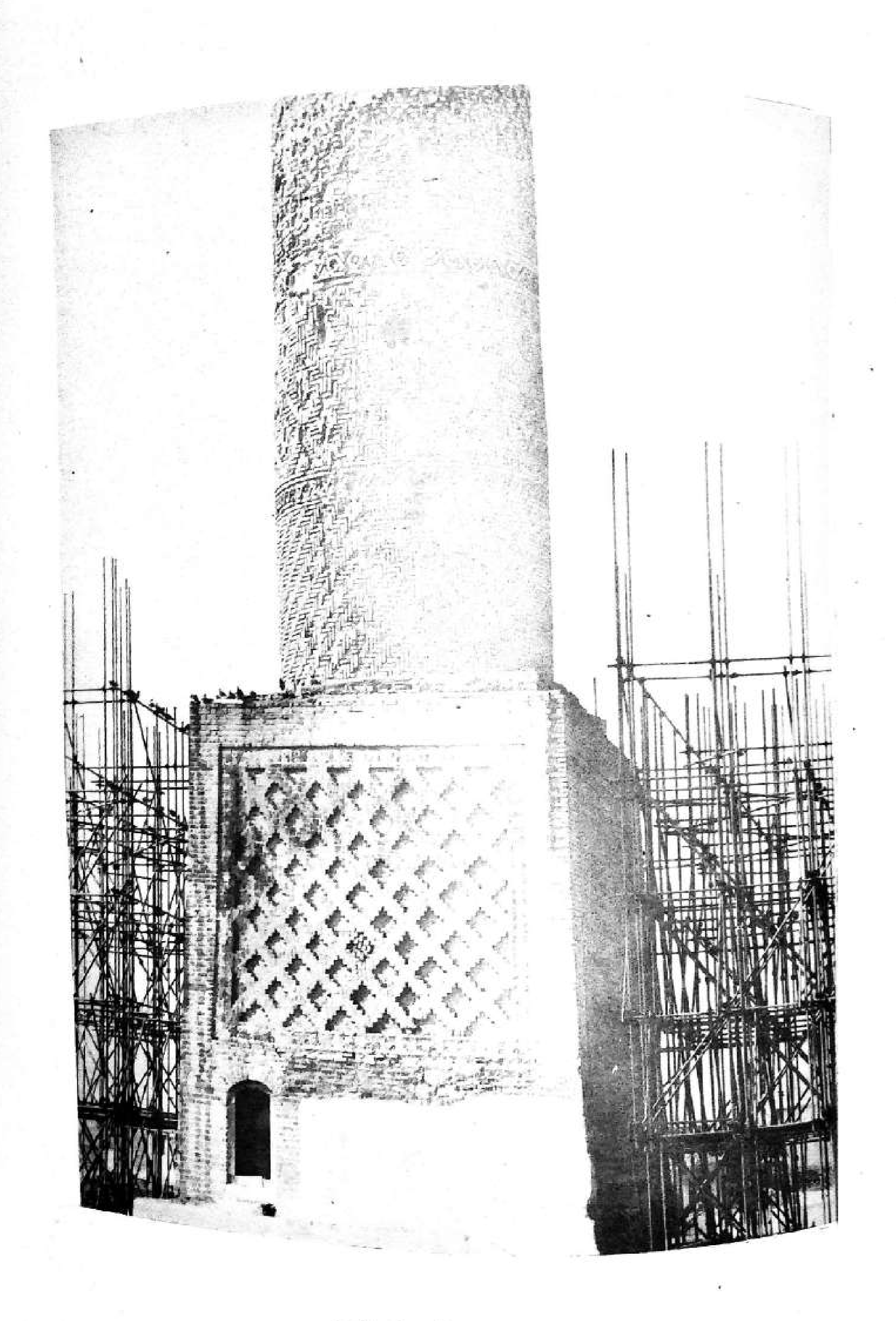
شبه مجسمة • وتسود فيها العناصر النباتية وكتابات كوفية بهيئة كلمات مفرده ومرتبة في اوضاع متنوعة تنتشر هنا وهناك وتتداخل مع الرسوم الهندسية بتناسق • ان هذه التشكيلات تكشف عما وصل اليه فن الحفر على الجص من جودة واتقان وبلوغه الذروة في هذه الالواح • ونعرف ان هذا الفن قد اينع وازدهر في سر من رأى حيث كشفت التنقيبات التي أجريت هناك عن مئات من الالواح الجصية ذات الزخارف المحفورة كانت تزين جدران قصور ودور المدينة ايام عزها • والحقيقة الاخرى التي نريد ان نقولها هي ان التشكيلات الزخرفية الجصية في جامع النوري تمثل فن الرقش العربي أصدق تمثيل حيث تم الجمع بين العناصر النباتية والهندسية والخطية في انسجام تام وتناسق عجيب فهي اذن احدى الطف تحف المصلى تضاهي المحراب وتفوقه في وجود كتابات وبخط كوفي جميل •

يتميز جامع النوري ، وبالاضافة الى كل ما ذكر ، بمأذنته الحدباء • وهي من المآذن المشهورة في العالم العربي الاسلامي • وتأتي شهرتها من ارتفاعها الشاهق حيث يبلغ علوها حوالي ٥٥ مترا ومن رشاقتها وجمال الاشكال الزخرفية التي تغطي كامل بدنها ونصف قاعدتها • ومأذنة جامع النوري مائلة لذلك دعيت بالحدباء وقد طغى اسمها على المدينة • وقد سقط القسم العلوي منها الحوض والرقبة والرأس ، فاعيد بناؤه ولكن بالحجر وليس بالطابوق والجص المادة التي شيدت منها المأذنة • وتقع المأذنة في الركن الشمالي الشرقي من المسجد متصلة بجدرانه •

يرتكز بدن المأذنة على قاعدة مربعة منشورية فخمة ترتفع عن مستوى سطح الارض بحوالي ١٩ مترا ومعدل طول ضلعها ٥ر٧٠ أمتار (لوح ٣١) • بني القسم الاسفل منها بالحجر والجص وارتفاعه نصف ارتفاع القاعدة تقريبا • ولم يحل بالتشكيلات الزخرفية التي تغطي القسم الباقي منها • وبدن المأذنة اسطواني ، قطره ٥ر٢٤ امتار ويبلغ ارتفاعه ٢٤ مترا • والرقبة المجددة اسطوانية الشكل تنتهي برأس نصف كروي ويبلغ قطرها ٣ر٣٠ امتار • ويكون



(لوح ٣٠): تشكيلات من الزخارف الجصية التي كانت تزين جدران جامع النوري (المتحف العراقي).



(لوح ٣١) : قاعدة مأذنة جامع النوري

الصعود الى حوض المأذنة عن طريق سلمين حلزونيين يدوران داخل البدن ولا يلتقيان الا في الحوض وينفتح عليهما عـدد من النوافـذ لادخال النور اليهما • ويبدأ السلمان عند القاعدة وينفتح على احدهما مدخل من فوق رواق سطحه بمستوى نصف ارتفاع القاعدة (لوح ٣) • وليس بين مآذن العراق السابقة ما يضاهي الحدباء في التصميم والارتفاع وسعة المساحة التي تغطيها الوحدات الزخرفية ، ووجود سلمين للصعود اليها •

واروع ما في الحدباء التشكيلات الزخرفية الناتجة عن التفنن في صف الطابوق وقصه باشكال هندسية معينة لغرض الحصول على النقشات المطلوبة بموجب تصميم معين • ان هاتين الطريقتين معروفتان لدى الصانع العربي المسلم • وقد لاحظنا ذلك في مأذنة سنجار • ولكن روعة زخارف الحدباء نابعة من التنوع الكبير في الاشكال أو الوحدات الزخرفية التي تغطي البدن والنصف العلوي من القاعدة والمستويات المتنوعة التي رتبت فيها هذه الزخارف فهي اتقن الامثلة لهذا الفن العربي الاصيل وتمثل بحق الذروة في هذا المجال من مجالات الزخرفة العربية الاسلامية •

القاعدة محلاة من الجهات الاربع وتختلف تحلية كل وجه عن الاوجه الاخرى • وهي بهيئة مربع مؤطر بشريط زخرفي تختلف نقشته عن النقشة او التشكيل الرئيسي • فتشكيلة الوجه الشرقي عبارة عن معينات ناتجة من التفنن في صف الطابوق وبمستويين مختلفين • اما الاطار فمشغول باشكال نجمية وأشـــكال دوائر في ترتيب معين • والوحـدات هنـا معمولـة بقص الطابوق باشكال معينة ومرتبة حسب التصميم المعين للنقشة • ومستوى وجه النجوم والدوائر متساو وبارز قليلا عن مستوى ارضية الاطار •

وتتألف تشكيلة الوجه الجنوبي من معينات ايضا ذات مراكز غائرة ، وهذه التشكيلة ناتجة ايضا عن التفنن في صف الطابوق • اما الاطار فنقشته تختلف ايضا فهي تتألف من دوائر وخطوط ومنحنيات معمولة من طابوق



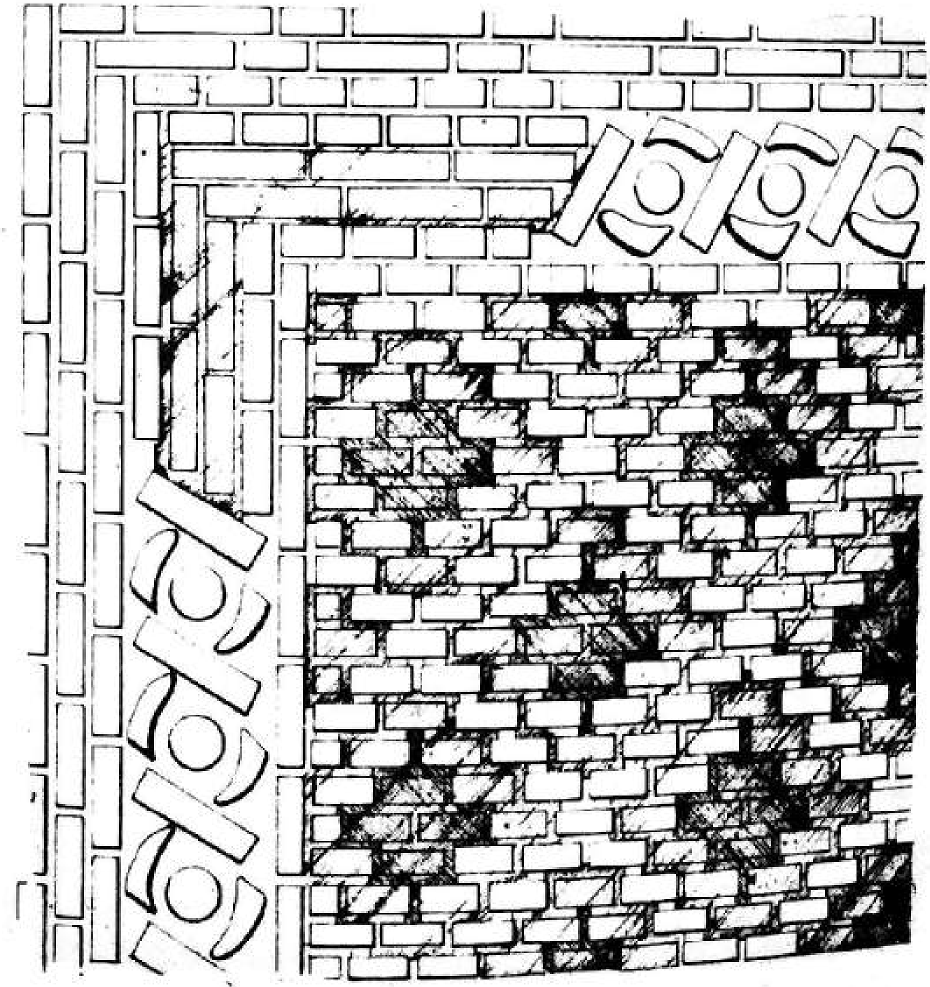
(لوح ٣٢): الحدباء.

مقصوص وهي مستوية الوجوه ايضا وبارزة عن مستوى الارضية اي ارضية الشريط . اما تشكيلة الوجه الشمالي فعبارة عن نجميات رباعية الاطراف تفصلها دوائر صغيرة عملت بطريقة قص ونجر الطابوق باشكال معينة وتبرز وجوه وحدات التشكيلية عن مستوى الارضية وجميعها بمستوى واحد . والاطار محلى بنقشة وبنفس التقنية ولكن الاشكال هنا عبارة عن دوائر واشكال هندسية اخرى . واروع هذه التحليات هي نقشة الوجه الغربي التي تم الجمع بينها وبين الطريقتين الفنيتين حيث الاشـكال المعينية المنخفضـة المراكز المحيطة بنقشة تتوسط المربع وهي مربعة ايضا وتتألف من معينات واطباق نجمية معمولة بطريقة قص الطابوق . وزينت الوجوه المستوية في هذه التشكيلة بزخارف نباتية تشغل الاشكال الهندسية بطريقة النقش الغائر ولكن بمستوى خفيف جدا اما الاطار فمقسـم الى اشـكال هندسـية عن طريق قواطع ولكن اركانه الاربعة محلاة بذات الزخارف النباتية التي نقشت في الوسط . وهنا نشاهد التداخل بين الاشكال الهندسية والنباتيـــة في انسجام تام وتناسق ملحوظ . ونقشة مركز هذا الوجه جديدة تماما وسنراها بعد ذلك في العمارات العربية الاسلامية اللاحقة دينية ومدنية خصوصا تلك التي بنيت في القرن السابع والثامن الهجريين وسنشاهد هذه النقشة او التشكيلة معمولة بطريقة الحفر المفرغ على الآجر . (مخطط ١٠)

زين بدن الحدباء بتحلية زخرفية جميلة . وتتصف هذه التحلية بتنوع اشكال وحداتها فهي تربو على عشرة اشكال وتتباين في مستوياتها وتقنيتها ، وزعت بهيئة سبعة انطقة متقاربة في سعتها وتفصلها ثمانية اشرطة ضيقة وتتميز حشوات الاشرطة عن تشكيلات الانطقة ، بأن هذه الحشوات عملت بطريقـة تركيب طابوق مقصوص ومنجور في اشكال معينة اما زخارف الانطقة فناتجة عن التفنن في صف الطابوق في اغلب الحالات . تتألف حشوة الشريط الاول

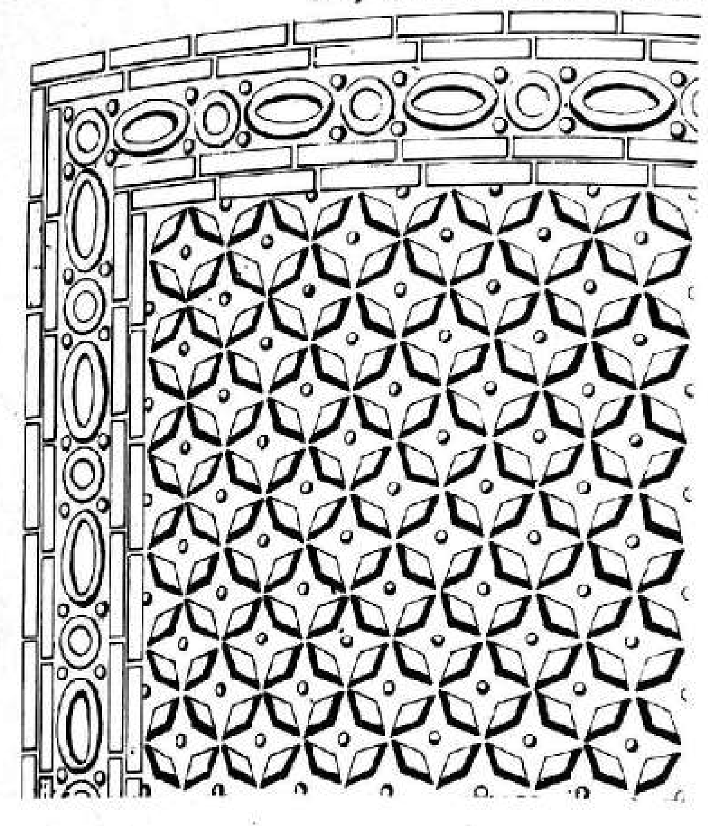
من سلسلة من مربعات قائمة على رؤوسها ومثبتة على أرضية جصية • وتشكيلة النطاق الاول حصيرية تتحرك من اليسار الى اليمين بصورة لولبية ، حيث يعترضها نطاق مشغول بسلسلة ملتوية تشغل فراغات حلقاتها دوائر صغيرة • والنطاق الثاني مشغول بتشكيلة من معينات نفذت بدقة واتقان ويفصل هذا النطاق عن الذي يليه الشريط الثالث الذي تتكون زخارفه من اشكال ملتوية رتبت بطريقة معينة تختلف عن تلك التي تشغل الشريط الثاني • ومعينات النطاق الثالث ذات حواف بارزة وكل معين مشغول بنجيمة رباعية الاطراف على مستوى اخفض من مستوى حواف المعينات • وشغل الشريط الرابع بسلسلة من وحدة زخرفية تتألف من نجيمات ذوات اطراف اربعة • وزخارف النطاق الرابع معمولة بطريقة قص الطابوق في اشكال معينة للحصول على تشكيلات مخصوصة اذا ما رتبت بالشكل المطلوب والتشكيلة هنا تتألف من اشكال نجمية ومربعات تتصل بعضها مع البعض الاخر في اطراف معينة وتزين النجوم خمسة دوائر • وتتألف تشكيلة الشريط الخامس من وحدات او اشكال هندسية متداخلة • والنطاق الخامس محلى باشكال معينة متباينة المستوى ، ويفصله عن النطاق السادس شريط مشغول باشكال نجمية جميلة • وعملت الزخارف التي تزين النطاق السادس بنفس الطريقة التي عملت بها زخارف النطاق الرابع ولكن تختلف في الشكل فهي هنا عبارة عن نجوم ذات اطراف اربعة تفصل بعضها عن البعض الاخر اشكال دائرية صغيرة والشريط السابع مشغول ايضا بزخارف هندسية جميلة • اما النطاق السابع فمغطى باشكال معينة متدرجة انخفاضا الى الداخل • ويتوج كل هذه الاشكال الشريط الثامن الذي يناظر الشريط الاول في تشكيلته (مخطط ١١) • ويحتمل ان الحوض والرقبة والرأس كانت مغطاة ايضا بتشكيلات زخرفية مثل القاعدة والبدن •

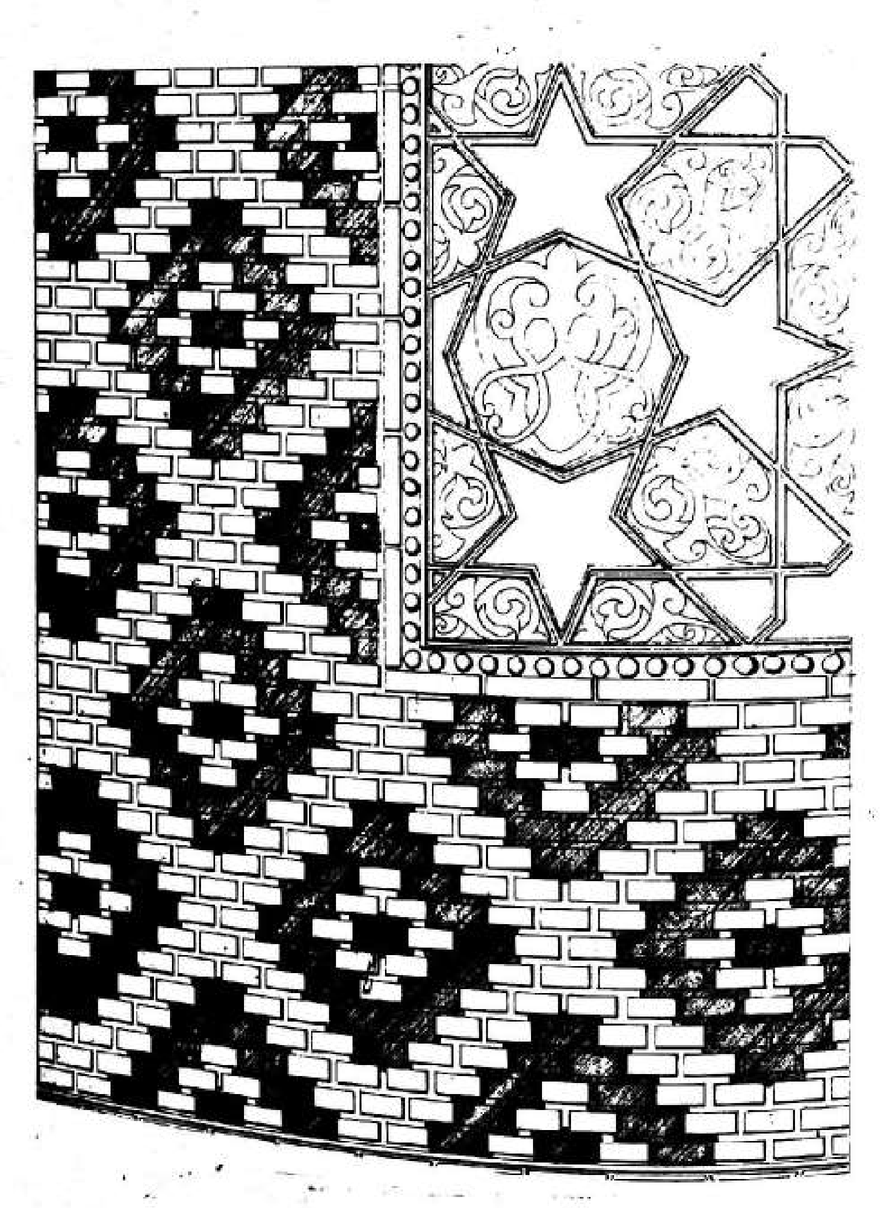
اصاب الحدباء تشقق في بدنها وقد سارعت الجهات المعنية باعداد اكثر من دراسة حول صيانة المأذنة وتلافي سقوط الجزء العلوي من بدنها • وقد شاركت هيئات عالمية للمساعدة في انقاذها من السقوط وتم وضع اكثر من

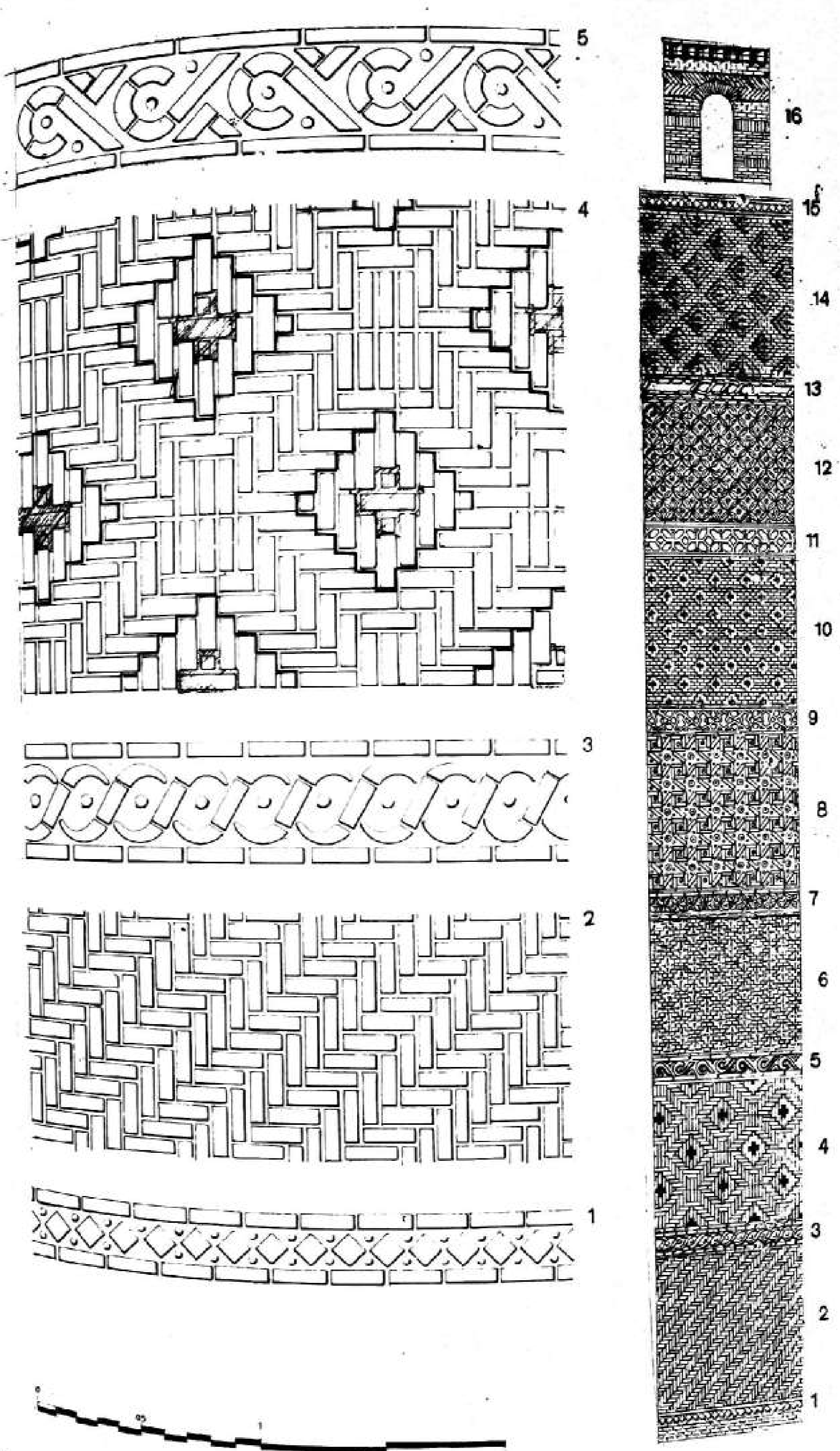


(مخطط ١٠): تخطيط ا

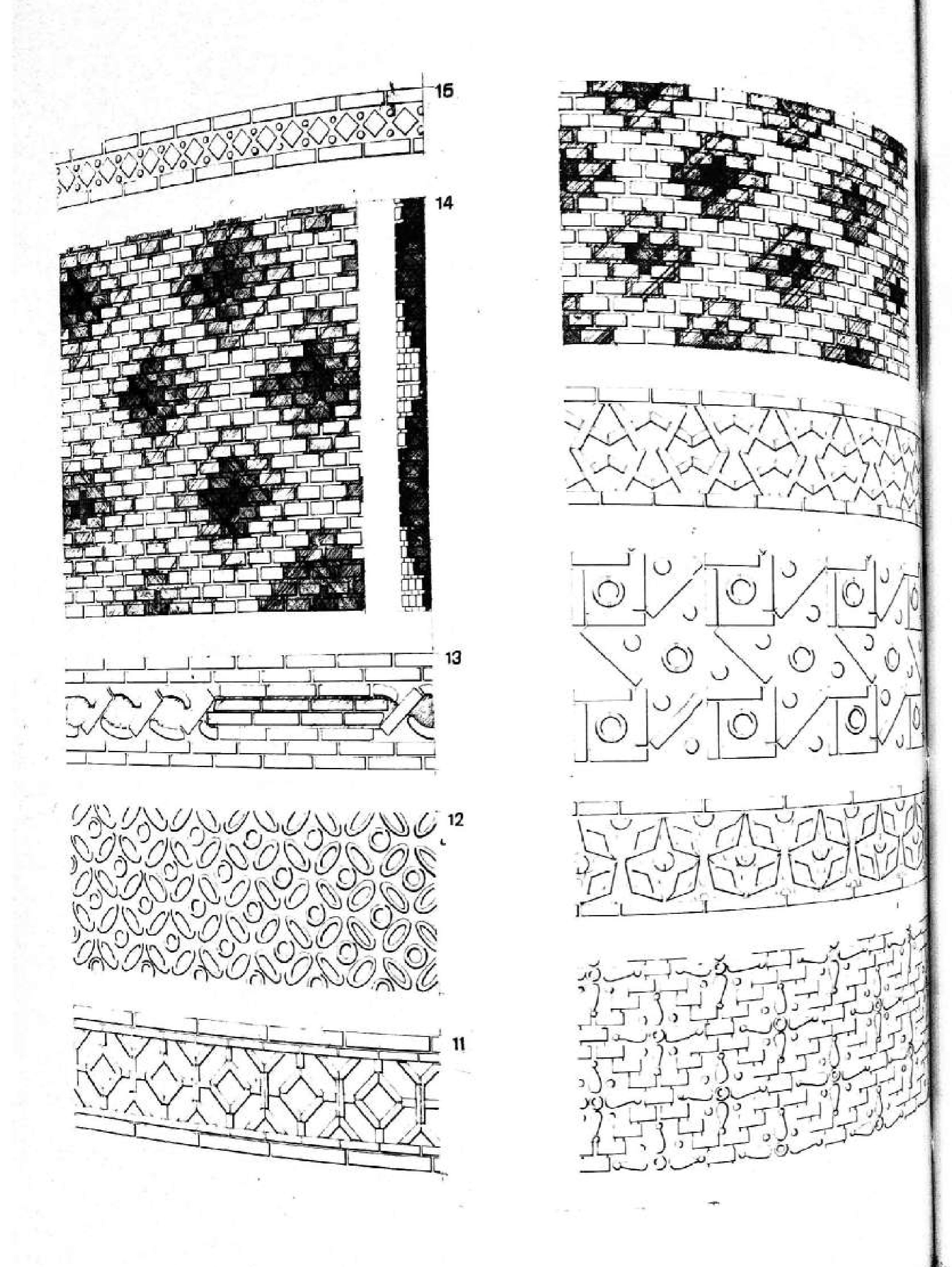
BASE, NORTHERN ELEVATION, DETAIL







(مخطط ١١): تخطيط التشكيلات الزخرف


15
14
13
12
11

مشروع لهذا الغرض • ونأمل ان تنال الحدباء الاهتمام اللازم والاسراع في تنفيذ مشروع صيانتها وتلافي خطر تشقق بدنها •

٧ ـ جامع مجاهد الدين(١)

يقوم هذا الجامع اليوم في جنوبي شرقي بلدة الموصل ويطل على دجلة بالقرب من جسر الجمهورية ابتدأ البناء فيه عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م وتم عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م • ويظهر ان مجاهد الدين قد بذل امـوالا طائلة لاتقان بنائه وتحليته بالزخارف الجميلة ، فهناك اكثر من خبر حول بهاء هذا الجامع واعجاب الناس به • فقد ذكره الرحالة العربي ابن جبير الذي زار الموصل عام ٥٨١هـ ـ ١١٨٥م ووصفه بقوله « بني مجاهد الدين قيماز جامعا على شط دجلة لم ار وضع جامع احفل منه . بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه ، وكل ذلك نقش في الآجر ، اما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد اشرف منها ولا أحسن » • وذكره ابن بطوطه الذي كان في الموصـــل عام ٧٢٨هـ ـ ١٣٢٩م واعجب به ايضا •

لم يهجر هذا الجامع وظل مكـانا لاقامة الصـلوات الخمس الى يومنا هذا • فقد اهتم به من حكم المدينة في القرون اللاحقة لسقوط دولة بني زنكي واجريت تعميرات وترميمات فيه وقد ثبت من امر بذلك بكتابات تذكارية على الواح مرمرية داخل المسجد • تقرأ في احدها ان الوالي علي باشا قد امر بتعميره عام ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م • وامر السلطان عبد الحميد بتجديده سنة ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م • وجدد ايضا بعد سنة من هذا التاريخ • ان الجامع بهيئته الحالية يشير الى ان اعمال التجديد تلك لم تك اساسية ولم تغير شكل الجامع او عناصره المعمارية بل اقتصرت على اعادة بناء ما سقط منه او تجصيصه من

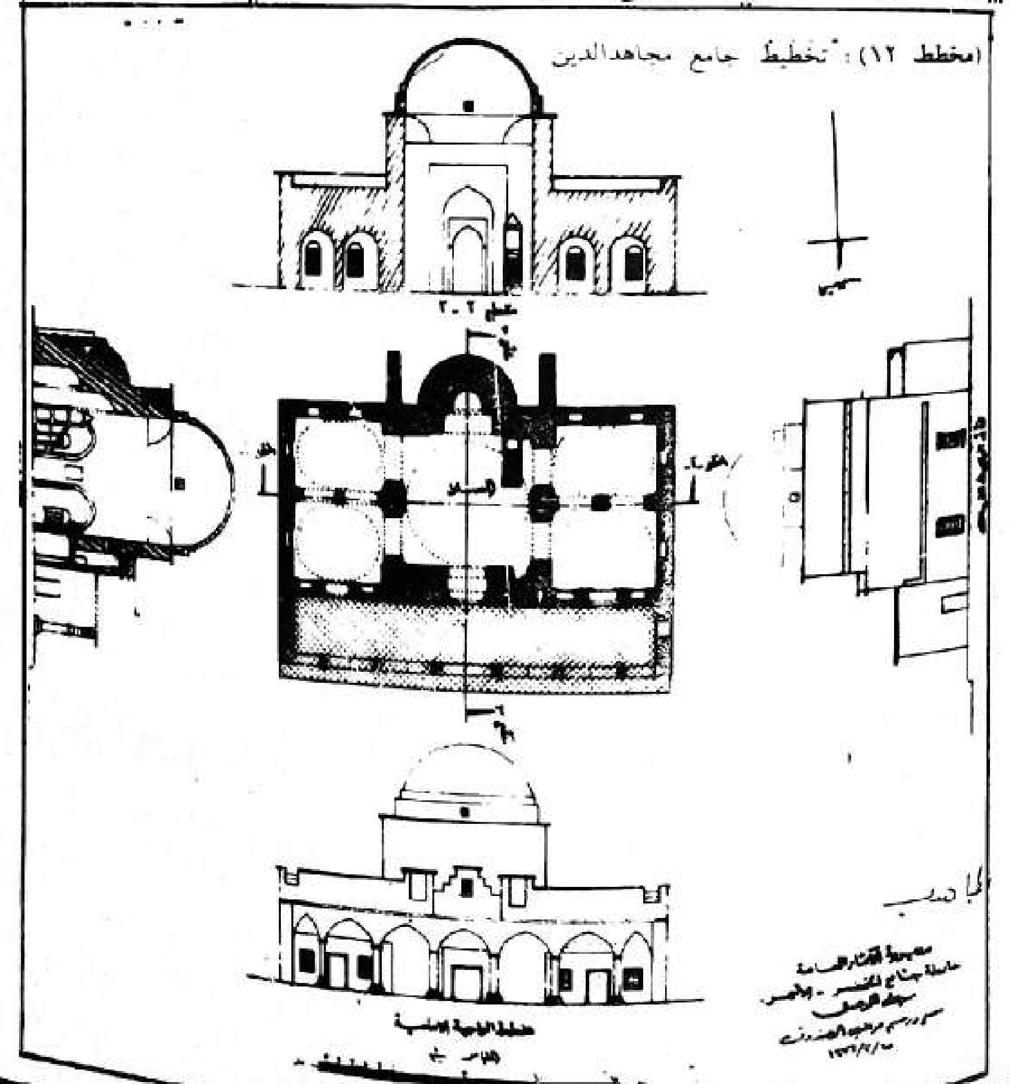
---

(١) مجاهد الدين قيماز مدبر دولة بني زنكي في الموصل ، بنى هذا الجامع من امواله الخاصة يدعى ايضا بمسجد الخضر تيمنا بالخضر ويسمى ايضا بالجامع الاحمر وذلك بسبب لون جدرانه الداخلية .

الداخل والخارج او اضافة ابنية في صحنه • وتقوم الان وزارة الاوقاف بصيانته تحت اشراف خبراء من مديرية الاثار العامة • وقامت الهيئة الفنية المكلفة بذلك بتحرير جدران الجامع من الاضافات التي اجريت فيه وادت الى تشويه شكله ومنظره •

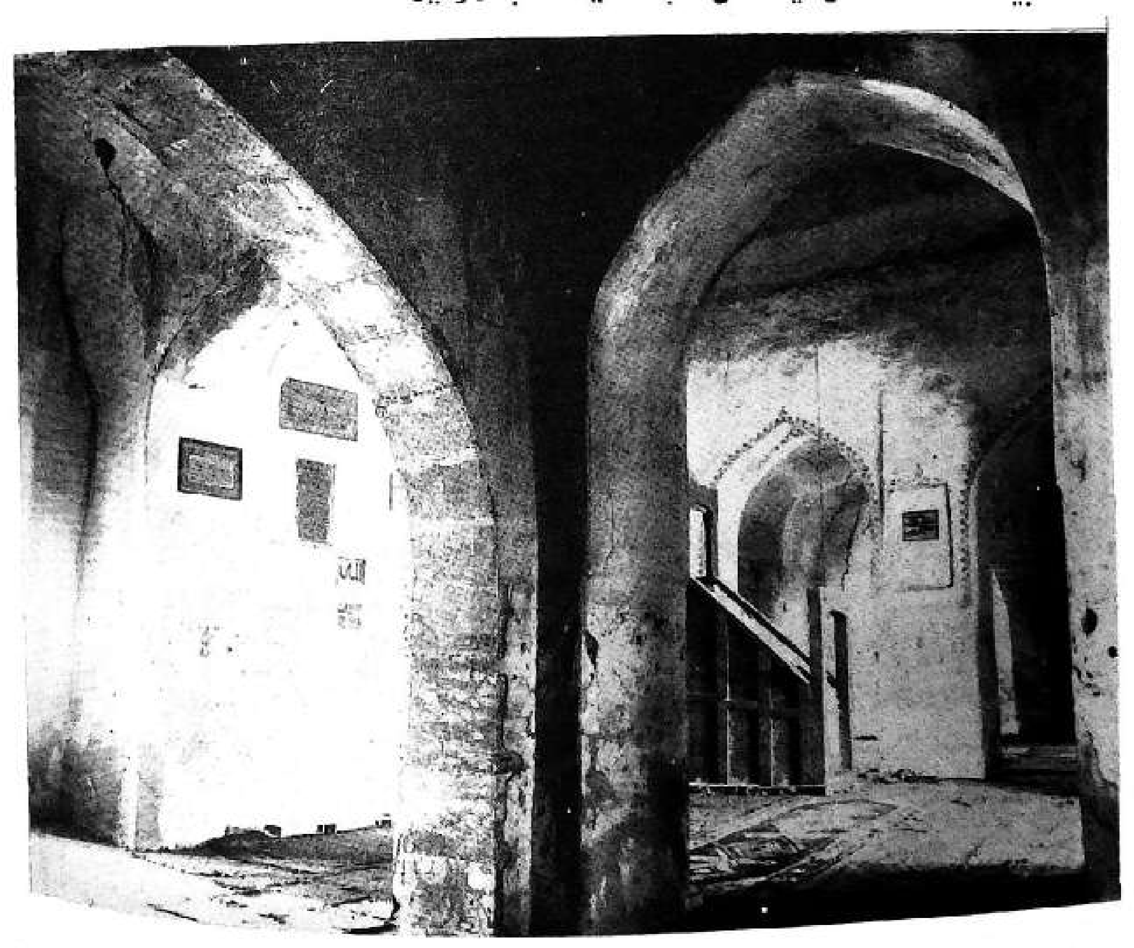
وجامع مجاهد الدين صغير نسبيا فهو يشغل مساحة قدرها ٢١٠٠ متر مربع • ويتألف من بيت للصلاة وصحن واسع ويشغل بيت الصلاة ٤٠٠ متر مربع فقط والجامع مشيد بالطابوق والجص واستخدم الحجر فيه على نطاق ضيق جدا •

يحتل بيت الصلاة القسم الجنوبي الغربي منه وتخطيط المصلى هنا لا يختلف كثيرا عن تخطيط مصلى جامع النوري (مخطط ١١) ولكنه صمم بطريقة معينة بحيث تكون بلاطة المحراب مربعة تقريبا لغرض اقامة قبة كبيرة عليها • وبيت الصلاة مستطيل الشكل ابعاده من الشرق الى الغرب ٢٥ مترا ومن الشمال الى الجنوب ١٠ر١٥ مترا ، ويتألف من ثلاثة اساكيب وثلاثة بلاطات • وينقسم بيت الصلاة الى مصلى شتوي واخر صيفي • ويبلغ عمق بيت الصلاة الشتوي حوالى ٤٠ر١٠ امتار اما الصيفي فعمقه ٧٠ر٤ امتار •



(مخطط ١٢) : تخطيط جامع مجاهد الدين

بناء الجامع متين ومتقن ، جدرانه سميكة ومرتفعة ايضا • وهناك عدد من جنايا مستطيلة فى جدران المصلى من الداخل ويتميز بناؤه بسمك جدار بلاطة المحراب عند بدايتها ونهايتها حيث يزيد. سمك هذين الجدارين على ضعف سمك الجدران المتصلة به وهدف المعمار من ذلك تهيئة قاعدة قوية تتحمل ثقل القبة المرتفعة التي تغطي كامل بلاطة المحراب • ولعله اراد ايضا ان يجعل هذه البلاطة مربعة ليسهل اقامة قبة عليها فزاد في سمك جدار البلاطة من الداخل حيث حافظ على استقامة جدران المصلى من الخارج ، اما البلاطتان الاخريان فمستطيلتان • نجح مهندس الجامع في الحفاظ على وحدة الاساكيب والبلاطات والتناسق بينها على الرغم من عدم تواصل العقود المستعرضة التي تحدد الاساكيب فمن المفروض ان تكون ثلاثة ولكن تم الاستغناء عن العقد الاوسط منها حيث تخلو بلاطة المحراب من مثل هذا العقد الذي لم تعد له ضرورة عندما جعلت هذه البلاطة مربعة تسقفها قبة لها اقبية نصف اسطوانية مثل البلاطتين المجاورتين •



(لوح ٣٣) : مصلى جامع مجاهدالدين الشتوي .

تستند عقود الصلاة على دعامات تقع اثنتان منها على جانبي بلاطة المحراب وتحمل كلا منهما اطراف ثلاثة عقود • اما باقي الدعامات فمتصلة بجدران المصلى وعددها ست دعامات مستطيلة ايضا وتسند الاطراف الست الاخرى لهذه العقود • ويقسم كل من العقدين المدببين المنفرجين الموازيين لجدار القبلة البلاطتين الجانبيتين الى قسمين ويحمل الجدار الذي تستند عليه الاقبية نصف الاسطوانية التي تشكل سقوف البلاطتين من جهة والتي تستند على جدران المصلى من الجهة الاخرى (لوح ٣٣) •

وتتصل بلاطة المحراب بالبلاطتين المجاورتين عن طريق بائكتين من كل جانب ذوات عقود مدببة منفرجة عمودية على جدار القبلة وتحمل جداري قاعدة القبة الشرقي والغربي • وبهذه الطريقة رتبت عقود بيت الصلاة ودعاماته • وينفتح بيت الصلاة هذا على المصلى الصيفي بثلاثة مداخل يتوسط احدها الجدار ويقع على الخط المحوري لبيت الصلاة • ويمكن الدخول ايضا الى كل من البلاطتين الجانبيتين عن طريق باب يصلهما بالمصلى الصيفي •

اشتهر جامع مجاهد الدين بمحرابه الذي يتوسط جدار القبلة ويرتفع فيه حوالي ٦٫٦٠ م ويغور بعمق ٣٫١٠ امتار حيث يبرز عن مستوى وجه جدار القبلة من الخارج • وسعة فوهة المحراب من الداخل خمسة امتار ويتألف من حنية ذات عقد مدبب تؤطرها حنية اخرى اكبر منها وذات عقد مدبب مشغولة بادق الزخارف النباتية المحفورة على الجص بتناسق وجمال بارز واتقان فني بارع (لوح ٣٤) • وتحلي الزخارف الجصية أجزاء واسعة من هذا المحراب ولكن ليس بنفس العمق والبروز الذي تتسم به زخارف الحنية العليا للمحراب ، وتشكيل هذا المحراب لا يختلف كثيرا عن تشكيل محراب جامع النوري • ويحتمل جدا ان اجزاء من جدران بيت الصلاة هذا كانت مزينة بزخارف محفورة على الجص او الآجر ويحتمل كذلك ان جدران الجامع وقبته من الخارج كانت مزينة أيضا بأشكال زخرفية أجرية في ضوء اشارة ابن جبير الى ذلك • ومحراب هذا الجامع فريد ليس في زخارفه حسب ،

بل في ارتفاعه وسعته اذا ما اخذنا سعة الجامع بنظر الاعتبار • يحتمل ان الحنية العليا اريد بها زيادة تقوية صوت الامام وجعلت بهذا الارتفاع لتحل محل القبة الصغيرة التي تسقف قسما من بلاطة المحراب والتي نجدهـــا في بيت صلاة جامع النوري •



(لوح ٣٤) : القسم العلوي من محراب الجامع .



(لوح ٣٥): قبة جامع مجاهدالدين من الداخل.

وتبرز اهمية جامع مجاهد الدين ، بالاضافة الى محرابه الفريد ، في قبته المشهورة فهي اقدم قباب المساجد الباقية في العراق ونقصد القباب التي استخدمت كسقف لبلاطة المحراب بكاملها ، وهي تمثل طريقة جديدة في تسقيف بيوت الصلاة وهي مهمة ايضا حيث ساد هذا النمط وانتشر في عدد كبير من مساجد العراق • وترتفع جدران بلاطة المحراب فوق مستوى سطح البلاطتين المجاورتين وتنفتح في الجدار الشمالي منها نافذة لا دخال النور الى المسجد ولم يكتف المعمار بذلك بل زاد ايضا في ارتفاع جدران تحويل الشكل المربع للبلاطة الى شكل مثمن وفتح فيه أربع نوافذ أيضا (لوح ٣٥) • وجعل رقبة القبة الاسطوانية غير مرتفعة حيث تجلس القبة



وهي نصف كروية مدببة قليلا • ويبلغ ارتفاع قمة القبة عن مستوى سطح الارض حوالي ٢٠ مترا • وقد تفنن المعمار في تحلية القبة من الخارج بشريط من حنايا غائرة ذات اشكال هندسية معينة تدور حول القبة لتحدد اتصال القبة بالرقبة • وشغلت هذه الحنايا بطابوق مزجج مرتب بطريقة فنية وزجج الطابوق بلون أزرق شذري فظهرت القبة وكأنها مطوقة بإكليل أو قلادة من حجر الشذر • ان ترصيع القبة بقراميط مزججة هو مظهر جديد من مظاهر تحلية العمارات العربية الاسلامية•وكما سنرى انهذا اللون أو النمط سيزداد الاقبال عليه وسوف يطغى في تحلية القباب والمآذن والجدران وغيرها خلال القرون اللاحقة ويصبح من المظاهر المميزة للعمارات العربيـة الاسـلامية وخصوصا الدينية منها في العراق • اما المصلى الصيفي فيطل على الصحن بخمس بوائك عقودها مدببة متوجة تجلس على اعمدة رخامية مربعة رشيقة ذات تيجان وقواعد جميلة (لوح ٣٦) •

ان تخطيط وبناء بيت صلاة جامع مجاهد الدين وعناصره المعمارية والزخرفية تمثل مرحلة متقدمة اذا ما قورن مع مصلى جامع النوري الذي شيد قبله بسنوات قليلة • على ان مصلى هذا الجامع لم يك اقدم الامثلة لهذا النمط في تكوين او تصميم بيوت الصلاة • فقد كشفت التحريات التي اجريت في عمارة الاربعين في تكريت والتي تنسب الى الربع الاخير من القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، عن مسجد قريب الشبه مع جامع مجاهد الدين وتتمثل اوجه الشبه هذه في التخطيط ، ولو ان مسجد الاربعين بدون مصلى صيفي ، والبناء وبعض العناصر المعمارية • فبلاطة المحراب شبه مربعة في مسجد الاربعين ومحرابها ضخم ومحلى بزخارف نباتية ، ويتألف من ثلاث بلاطات الجانبيتان منها مستطيلة وذات حنايا مستطيلة في جدار القبلة ايضا وتنفتح كل منهما على الصحن بمدخل • وسقفت بلاطة المحراب ايضا بقبة سقطت في فترة لاحقة من بناء العمارة ، ولكن ما تبقى من جدران وحنايا تشير الى وجود قبة فوق بلاطة المحراب •

ورغم هذا الشبه فسيظل جامع مجاهد الدين متميزاً بتخطيطه وعمارته وعناصره المعمارية والزخرفية فتركيب عقود المصلى الشتوي متقن ومحقق لهدف تربيع بلاطة المحراب • وحققت العقود المنفرجة ايضا غرضها في حل مشكلة تسقيف بلاطة عريضة بقبوات نصف اسطوانية وقبته هي اقدم قبة قائمة في مساجد العراق وتتميز بارتفاعها البارز • اما الطابوق المزجج والمستعمل لاغراض التحلية فعنصر جديد تماما •

٨ ــ مأذنة اربيل (المأذنة المظفرية)

تسابق ملوك الاقاليم في شمالي العراق على الظهور بمظهر العظمة ورعاية المرافق الدينية فبذلوا الكثير في بنائها والمبالغة فى تحليتها وتزيينها وأمروا بضرب المسكوكات باسمائهم وكانت لهم جيوشهم الخاصة تحمي عواصمهم وتدافع عن المدن التي كانت تحت سيطرتهم • وكان مظفر الدين كوكبري احد هؤلاء وقد حكم اربيل وما جاورها من عام ٥٨٠هـ ــ ٦٣٠هـ / ١١٩٥ ــ ١٢٣٣ م • وهو الذي امر ببناء جامع هذه المأذنة التي دعيت باسمه ايضا ويظهر ان مسجده الجامع هذا كان واسعا ، ومما يؤسف له انه قد تهدم ولم يبق منه سوى المأذنة التي تنتصب اليوم في غربي اربيل في منطقة خالية من العمران والبناء • وقد تهدم ايضا القسم العلوي منها •

قامت هيئة علمية فنية من مديرية الاثار العامة قبيل سنوات بصيانة هذه المأذنة وتحري موقع المسجد الجامع فتعرفت على بعض اقسامه • كشفت ان مأذنته تقوم في الركن الشمالي الشرقي منه وهي مشيدة بالطابوق والجص عدا القسم الاسفل من القاعدة فهو مشيد بالحجر والجص •

قاعدة هذه المأذنة عالية ضخمة ومتينة مضلعة مثمنة مثل قاعدة مأذنة سنجار • وتشغل ستة من وجوه القاعدة حنايا ذات اطر مستطيلة وعقود مدبية وبهيئة صفين أي حنيتين احداهما تلي الاخرى على كل وجه • اما الوجهان الاخران فيتصل بهما جدار الجامع • والظاهر ان ذلك الجدار لم يك عاليا حيث يغطي القسم الاول من القاعدة وبارتفاع مواز لمستوى ارتفاع الحنايا فيه ، وبذلك يكون عدد حنايا القسم العلوي من القاعدة ثماناً

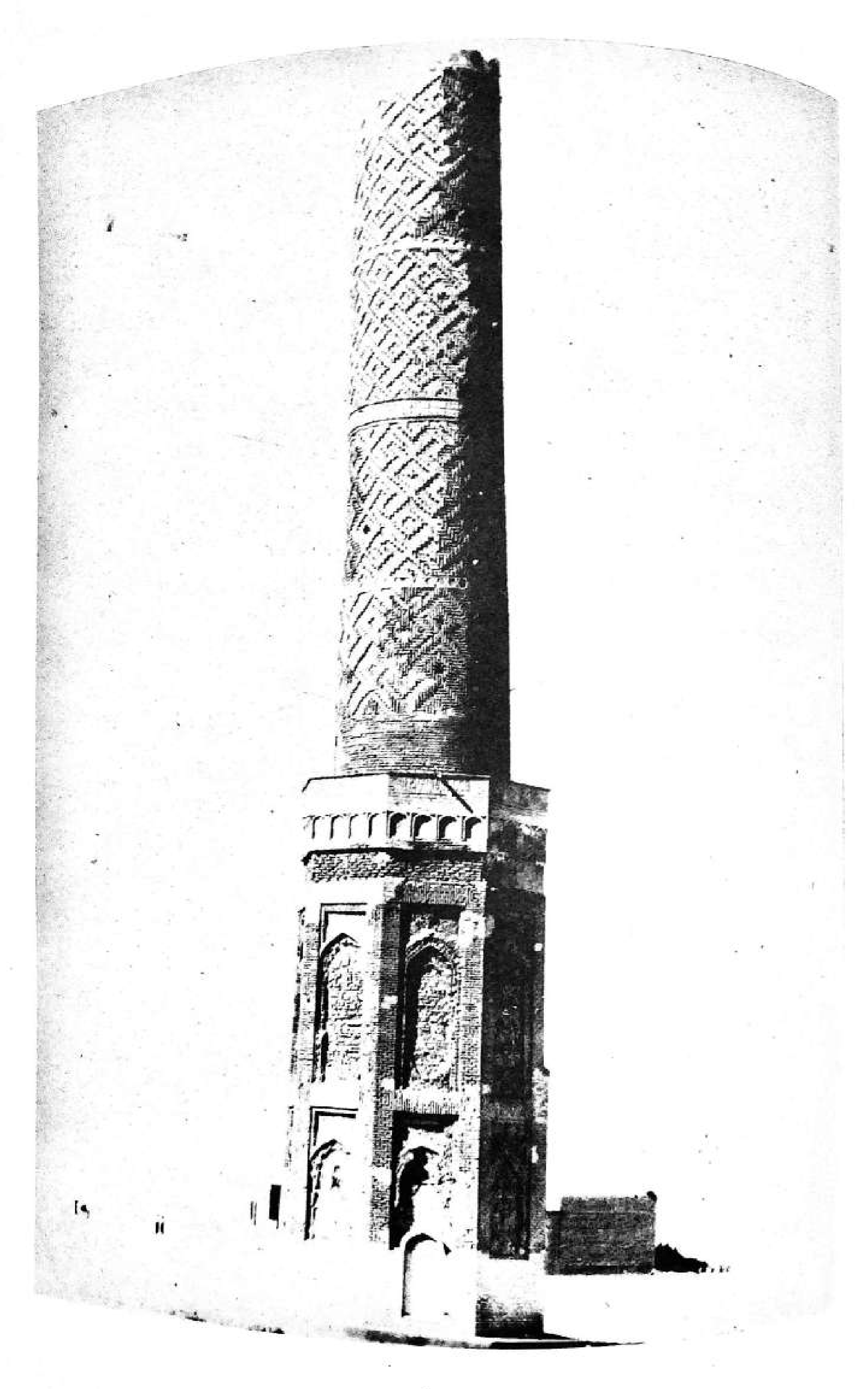
لاستا كما هو الامر في الجزء الاسفل منه • ويشغل احدى هذه الحنايا مدخل احد سلمي المأذنة الحلزونيين اللذين يدوران بداخلهـا ولا يلتقيان الا في الحوض الاعلى كما هو الحال في مأذنة جامع النوري • اما مدخل السلم الثاني فيقع عند بداية قاعدة البدن ، وهو ذو عقد مدبب ايضاً ويشبه في وصفه مدخل سلم مأذنة سنجار حيث يرتفع عقده بارتفاع الجزء من القسم الاسفل من البدن الخالي من التحلية الزخرفية الناتجة من التفنن في صف الطابوق والتي تغطي بقية اجزاء البدن •

يتوج حنايا الصف العلوي من البدن شريط خاسف ضيق نسبيا سقطت حشواته ويحتمل جدا انه كان مشغولا بكتابة تذكارية مثل شريط مأذنة سنجار ويمتد التشابه هذا الى وجود شريط اخر يعلو هذا الشريط ومشغول بحنايا ذات اطر مربعة وعقود منفرجة صغيرة نسبيا وعددها اربع لكل وجه من وجوه القاعدة المثمنة ، ولكن عقود هـــذه الحنايا غير بارزة الى الامام مثل عقود حنايا مأذنة سنجار • ويشكل الشريط البنائي الذي تشغله هذه الحنايا جدار حوض المأذنة الاول وعنده يبدأ باب السلم الثاني كما ذكرنا ويحتمل جدا ان لهذه المأذنة حوضين مثل مأذنة جامع الخلفاء في بغداد •

ان المجهود الذي بذل في تحلية القاعدة لا يقل عن ذلك الذي بذل في تكوينها العماري • فقد شغلت بواطن الحنايا وتيجانها بوحدات زخرفية هندسية دقيقة التشكيل متقنة الصنع • واروع ما في ذلك ان هذه الوحدات معمولة من طابوق مزجج بلون ازرق شذري ، قص بدقة وصف بتفنن وبهيئة بارزة عن مستويات وجوه المناطق التي يحليها (لوح ٣٧) • وهنـا وللمرة الثانية نجد هذا النوع من التشكيلات الزخرفية التي عرفناهـا في جامع مجاهد الدين • ولكن اشكال هذه الوحدات في قاعدة المأذنة المظفرية تختلف عن اشكال تلك التي تزين قبة جامع مجاهد الدين وان كانت تشبه اشكال التشكيلات الزخرفية الاجرية غـير المزججة التي تحلي حنايا قاعدة مأذنة سنجار • وقد تفنن المعمار ايضـا في صف الطابوق الذي يؤطر حنايا القاعدة وعقودها • وبهذا تكون قاعدة مأذنة اربيل من اهم واجمل قواعد مآذن العراق قاطبة .



(لوح ٣٧) : مأذنة اربيل .



(لوح ٣٨) : مأذنة اربيل .

البدن اسطواني الشكل مشيد بالطابوق والجص (لوح ٣٨) ، ضخم ورشيق في آن واحد ويستدل مما تبقى منه ان المأذنة كانت شاهقة الارتفاع ويحتمل انها كانت بارتفاع مأذنة جامع النوري ، ولكن ما تبقى من بدنهـا لا يزيد ارتفاعه على ١٤ مترا . وقد غطي بكسوة زخرفية جميلة ومتقدمة في تكوينها على تلك التي تزين مأذنة سنجار والحدباء . وتتوزع الزخرفة هنا على أربعة أنطقة تحددها أشرطة ضيقة وتبدأ من مستوى قمة عقد مدخل السلم مثل مأذنة سنجار كما ذكرنا . ان التشكيل الزخرفي متشابه في الانطقة الاربعة وتتألف الوحدة الزخرفية فيها من معينات متصلة تكون اشكالا صليبية وتربيعات متداخلة تظهر وكأنها كتابة كوفية لكلمة واحدة في اوضاع رباعية . والتشكيلة على مستويين ، فألحوا في بارزة والأوساط منخفضـة وناتجة جميعها من التفنن في صف الطابوق . اما الاشرطة فتكرر فيها نفس الوحدة ايضا وهي عبارة عن اشكال هندسية سداسية ورباعية عملت بالتفنن في صف طابوق مقصوص ومنجور وشغلت بطابوق مزجج بلون ازرق شذري وعلى مستوى اخفض من حافات الاشكال الهندسية . فظهرت هذه التشكيلات وكأنها طوق من الشذر يطوق بدن المأذنة اربع مرات ، وبطريقة تشبه تلك التي زينت بها قبة جامع مجاهد الدين .

تمثل المظفرية في تكوينها العماري وعناصرها المعمارية والزخرفية مرحلة متقدمة على مأذنة سنجار والحدباء وجامع مجاهد الدين حيث جمع المعمار عناصر معمارية وزخرفية وفنية لها نظائر في هذه الابنية ولكن بطريقة متقنة متناسقة ورصينة . وعلى ضوء ذلك يحتمل جدا ان بناء المظفرية كان في بداية القرن السابع الهجري ، بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، بعد ان توطد حكم مظفر الدين كوكبري وزاد ثراءه لتشييد مثل هذه المأذنة الجميلة .

٩ ـ مأذنة داقـــوق

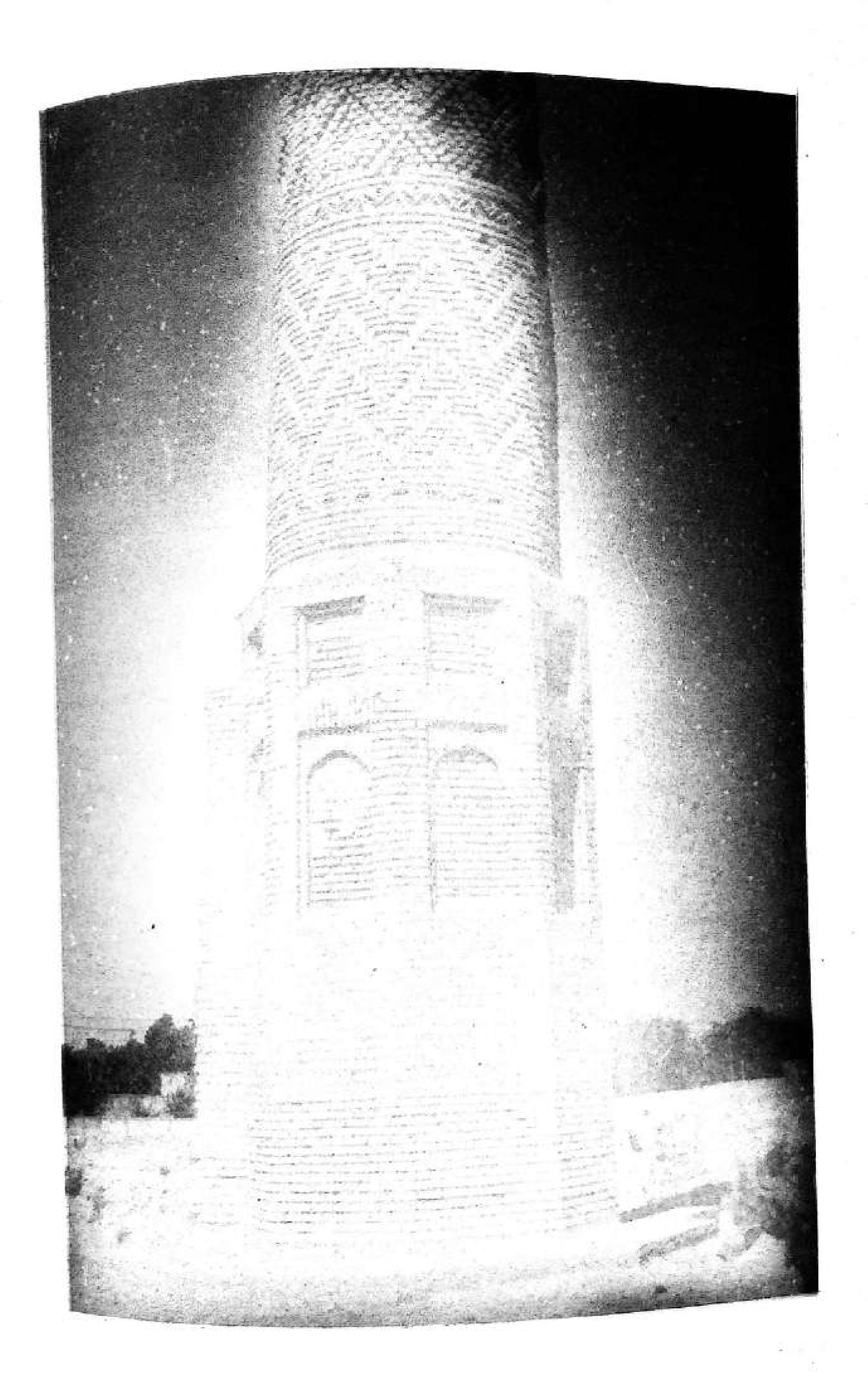
تقوم هذه المأذنة في غربي بلدة داقوق وقد تهدمت الابنية التي كانت تحيط بها وكانت تتوسط البلدة انذاك ، اما الان فتحولت البلدة القديمة الى انقاض

وتلول من الاثرية تنتصب بينها هذه المأذنة الجميلة • وقد تهدم جامعها مثل مأذنة اربيل وسقط القسم العلوي من بدنها وما تبقي منها يرتفع حوالي ٢٣ مترا عن مستوي سطح الارض • وارتفاع البدن لوحده ١٧٫٨٠ مترا • شيدت المأذنة بالطابوق والجص وقامت هيئة فنية من مديرية الاثار العامة بصيانة قاعدة هذه المأذنة قبيل عدة سنوات •

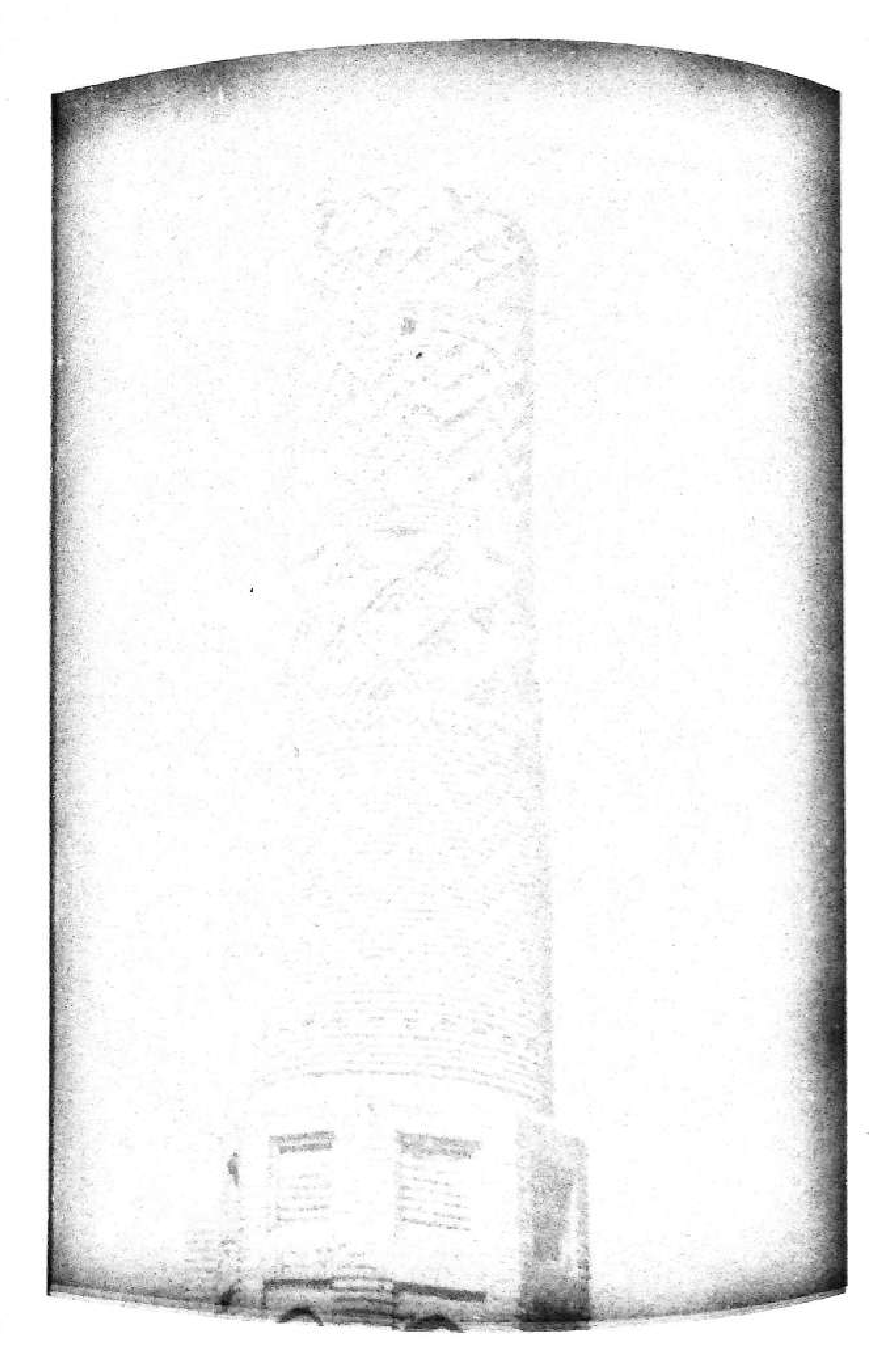
يجلس البدن على قاعدة مضلعة مثمنة تزين وجوه أضلاعها حنايا ذات اطر مستطيلة وعقود مدببة وهي بصفين وتخلو ثلاثة وجوه من القسم الاسفل من القاعدة من مثل هذه الحنايا حيث يلتصق الجدار بالمأذنة أي جدار المسجد. ويتوج هذين الصفين من الحنايا صف ثالث من حنايا مربعة تقريبا • وحنايا القاعدة غير مزينة بتشكيلات زخرفية (لوح ٣٩) •

وبدن مأذنة داقوق اسطواني ايضا يخترقه سلم حلزوني يدور فيه ويبدأ من عند قاعدة البدن ويظهر ان الوصول اليه كان عن طريق سطح المسجد • والبدن مغطى تماما بتشكيلات زخرفية ناتجة جميعا من التفنن في صف الطابوق عدا الاشرطة التي تفصل بين الانطقة الاربعة الباقية فان وحداتها معمولة من صف طابوق مقصوص وتتكرر نفس النقشة في الاشرطة الاربعة التي يحدد اولها الجزء غير المزخرف من البدن • وتتنوع اشكال الوحدات الزخرفية في الانطقة فهي انصاف معينات متوجة بارزة قليلا في النطاق الاول من الاسفل ، وهي بهيئة معينات ذات مراكز منخفضة تدريجيا في النطاق الثاني • وتشغل النطاق الثالث تشكيلة مثل تشكيلة النطاق الاول ولكن حواف انصاف معيناتها اكثر بروزا مما هي عليه في النطاق الاول • اما النطاق الاعلى فتشكيلته معينية حواف معيناتها اضيق من حواف معينات النطاق الثاني ، وهذه الحواف اكثر بروزا أيضا من حواف النطاق الثاني (لوح ٤٠) •

لم تذكر المصادر الادبية اية معلومات عن جامع داقوق ومأذنته هذه ولكن امعان النظر في تكوينها العماري وعناصرها المعمارية والزخرفية ومقارنتها



(لوح ٣٩) : قاعدة مأذنة داقوق .



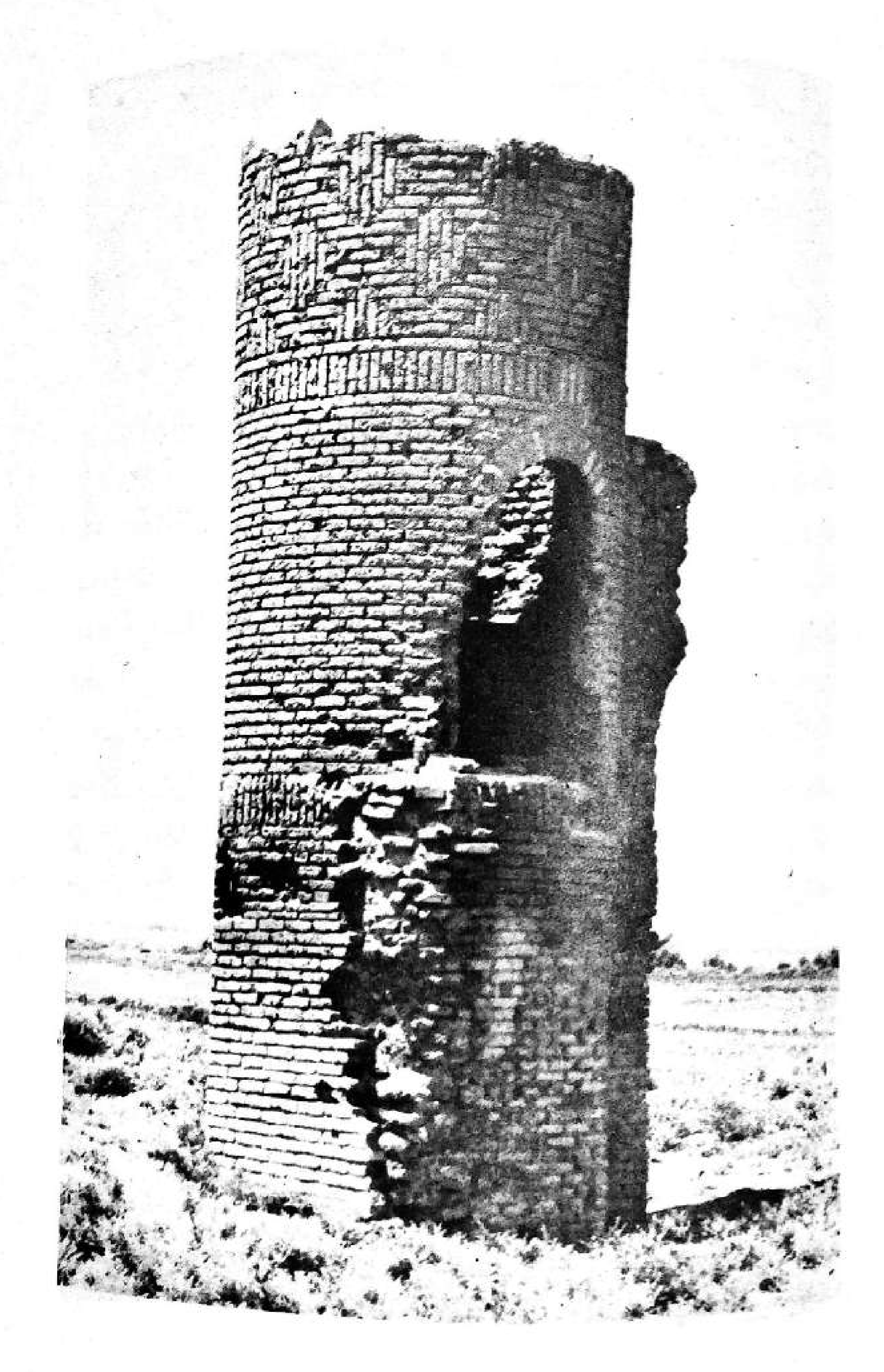
(لوح ٤٠) : مأذنة داقوق.

مع مآذن شمالي العراق ، أي سنجار والحدباء وأربيل ، يشير الى انها تعود في بنائها الى نفس الفترة ويحتمل جدا انها بنيت في عهد مظفر الدين كوكبري لا سيما وان هذه البلدة كانت ضمن المدن التي شملها حكمه فهي تعـود على الاكثر الى بداية القرن السابع الهجري ، (الثالث عشر الميلادي) .

ابرز ما يلاحظ في هذه المآذن الاربعة اي مأذنة سنجار والحدباء والمظفرية وداقوق ان الاقسام العليا من ابدانها قد سقطت ، ويحتمل جدا ان هناك عاملا مشتركا ادى الى هذا السقوط .. فقد يكون القسم الشمالي من العراق قد تعرض الى هزة ارضية في زمن معين ، ادت الى سقوط الاقسام العليا من هذه المآذن . ويحتمل ايضا ان عاصفة هوجاء قوية جدا كانت السبب المباشر لهذا السقوط . ومهما يكن الحال فان ايا من المصادر الادبية لا تذكر اية معلومات عن تاريخ هذا السقوط الفردي أو الاجماعي . فيما عـدا الاشارة الى الدمار الذي اصاب مدينة اربيل وداقوق على يد جيش المغول الوحشي، مما يرجح تهديم مسجدي اربيل وداقوق تبعا لذلك .

١٠ ـ مأذنة المكيطيمة

دعيت بهذا الاسم لانها مقطوعة حيث سقط القسم العلوي منها فسميت « مكيطيمة » مصغر مكطومة من اللهجة العراقية بمعني (مقطومة) . ويقوم الجزء المتبقي منها في بلدة اليوسفية ، في محافظة بغداد . تهدم مسجدها ايضا ولا نعرف من امر بنائه ومتى كان ذلك . ولم يبق من اثاره ما يشير الى تخطيطه وشكله وسعته . بنيت هذه المأذنة بالطابوق والجص وهي ذات قاعدة مضلعة ، مسدسة ، وبدن اسطواني . القاعدة ضخمة وجيدة البناء ويبلغ ارتفاعها ٦ امتار وتخلو وجوهها من اية حنايا واية تشكيلات عمارية . ويلتصق جدار المسجد بأحد أوجهها ثم يرتفع بارتفاع قمة عند مدخل السلم (لوح ٤١) ويتوج القاعدة شريط ضـيق ذو شكل زخرفي ناتج من التفنن



(لوح ٤١) : مأذنة المكيطيمة .

في صف الطابوق • ويؤشر هذا الشريط مكان الانتقال من القاعدة الى البدن • وعند سطحه تبدأ اولى درجات الســـلم الحلزوني الذي يخترق البدن ، ويبلغ عرض هذا الشريط حوالي ٣٠ سنتيمترا • ويلاحظ ان سعة محيط القاعدة يتطابق تقريبا مع سعة محيط البدن الذي يبلغ ٧ امتـــار • ويستدل من موقع مدخل السلم ان الصعود الى حوض هذه المأذنة كان يتم عن طريق سطح الجدار الذي يتصل بها • ويختلف شكل هذه القاعدة عن اشكال قواعد المآذن السابقة مما يكسبها اهمية خاصة بين هذه المآذن •

يرتفع ما تبقى من بدن المأذنة عن مستوى القاعدة حوالي احد عشر مترا • ويتألف من حيث كسوته الزخرفية من نطاقين يفصل بينهما شريط ضيق يناظر تماما الشريط الذي يغطي مكان اتصـــال القاعدة بالبدن • ويخلو النطاق الاسفل من التشكيلات الزخرفية ويرتفع بارتفاع قمة عند مدخل السلم مثل مأذنة سنجار واربيل وداقوق • اما النطاق الثاني ، غير الكامل فمغطى تماما بتشكيلات زخرفية هندسية ، معينية الشكل ناتجة عن التفنن في صف الطابوق على مستويات متباينة وتحدد اشرطة المعينات من الداخل وبشكل مواز لها نقشة ناتجة من صف من قطع طابوق مربعة صغيرة حفرت على كل واحدة منها حفرا مفرغا ، نجيمة رباعية ، وتتوســط كل معين نجيمة ايضا معمولة بنفس التقنية • وهذا العنصر جديد تماما في تحلية المآذن حيث لم نشاهد ذلك في المآذن السابقة • لذا فان مأذنة اليوسفية تعتبر ذات اهمية خاصة ليس في شكل قاعدتها حسب بل في استخدام هذه التقنية الجديدة في عمل الاشكال الزخرفية • ونجد ان الاقبال يزداد على هذا النوع من الزخارف الاجرية المفرغة وسوف تتعدد اشكالها وتستدق حوافها وتتشابك في رقة وعمق ، خصوصا في القرن الثالث عشر الميلادي •

واذ كنا لا نعرف تاريخ بناء هذه المـأذنة فان طراز عناصرها المعمـارية والزخرفية هو ما نعتمد عليه في نسبتها الى فترة معينة ، فشكلها لا يختلف كثيرا عن اشكال مآذن الربع الاخير من القرن السادس الهجري وعناصرها المعمارية

والزخرفية ايضا تشير الى علاقتها بتلك المآذن • وابرز ما يلاحظ ان تشكيلاتها الزخرفية لا تدل انها بنيت بعد تلك المآذن بفترة طويلة نسبيا لذا يحتمل جدا انها شيدت في العقد الاخير من القرن السادس الهجري •

١١ – جامع الخفافين

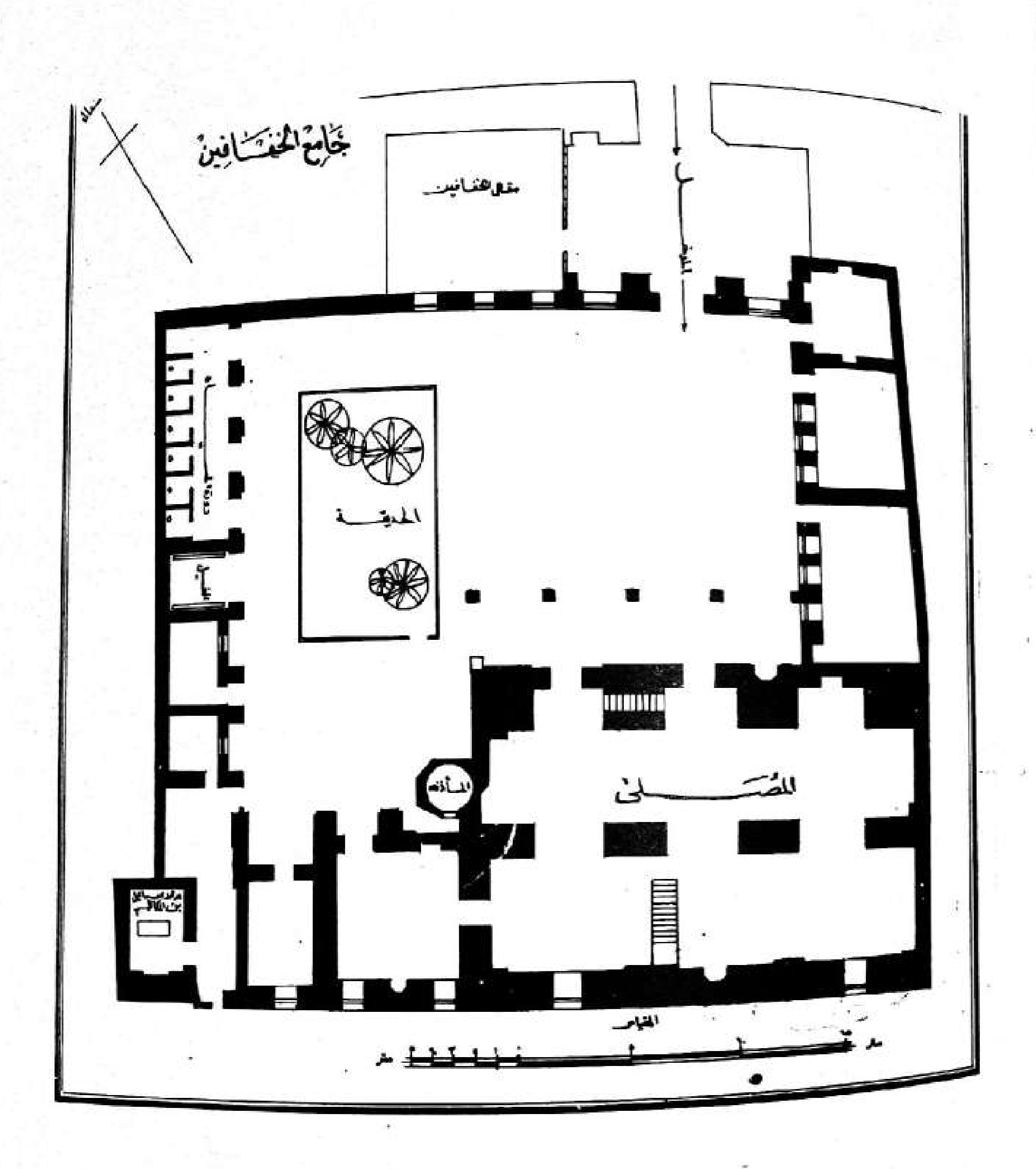
يقع هذا الجامع في بغداد الشرقية بالقرب من المدرسة المستنصرية الى الجنوب منها ، ويطل مثلها على نهر دجلة سمي احياناً بجامع الصاغة ، ويظهر ان دعوته بهذا الاسم ، متأخرة ومشتقة من نوع الاعمال التي تمارس الان في حوانيت الاسواق المحيطة به • وجامع الخفافين هو مسجد الحظائر الذي امرت ببنائه السيدة زمرد خاتون ، ام الخليفة العباسي المستنصر بالله وزوجة الخليفة المشهور الناصر لدين الله والمتوفاة عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م • وعرف بهذا الاسم نسبة الى محلة الحظائر التي يقع فيها والتي كانت تقع فيها ايضا المدرسة النظامية ، مما ادى الى الاعتقاد بان مأذنته هي مأذنة هذه المدرسة • وقد عرف عن السيدة زمرد خاتون حبها لاعمال الخير فقد أمرت ببناء اكثر من عمارة دينية خصوصا في مدينة بغداد •

تعرض هذا المسجد لاعمال التجديد والعمران ، مثل بقية المساجد ، فقد جدد في العهد الايلخاني ولكن سعة هذا التجديد غير معروفة • وهناك كتابة تذكارية منقوشة في لوحة مرمرية مثبتة في احدى الغرف المضافة ، تذكر ان المسجد قد جدد عام ٩٩٩هـ / ١٥٩١م • ويستدل من التركيب العماري لبيت الصلاة وواجهة المدخل من الخارج ان هذا التجديد قد شمل اعادة بناء المصلى واجزاء واسعة من المسجد عدا المأذنة التي لم تهدم او يعد بناؤها في وقت لاحق وانها اصلية وهي اقدم ما تبقى من جامع الحظائر ، وبهذا تكون اقدم مآذن بغداد الباقية من العصر العباسي • فهي مهمة جدا ولها مكانة خاصة بين مآذن العراق الاثرية • ويستدل من تخطيط بيت الصلاة الحالي ان اعادة البناء لم تغير تخطيطه وشكله وانه يكشف عن النمط الذي ساد في القطر خلال النصف

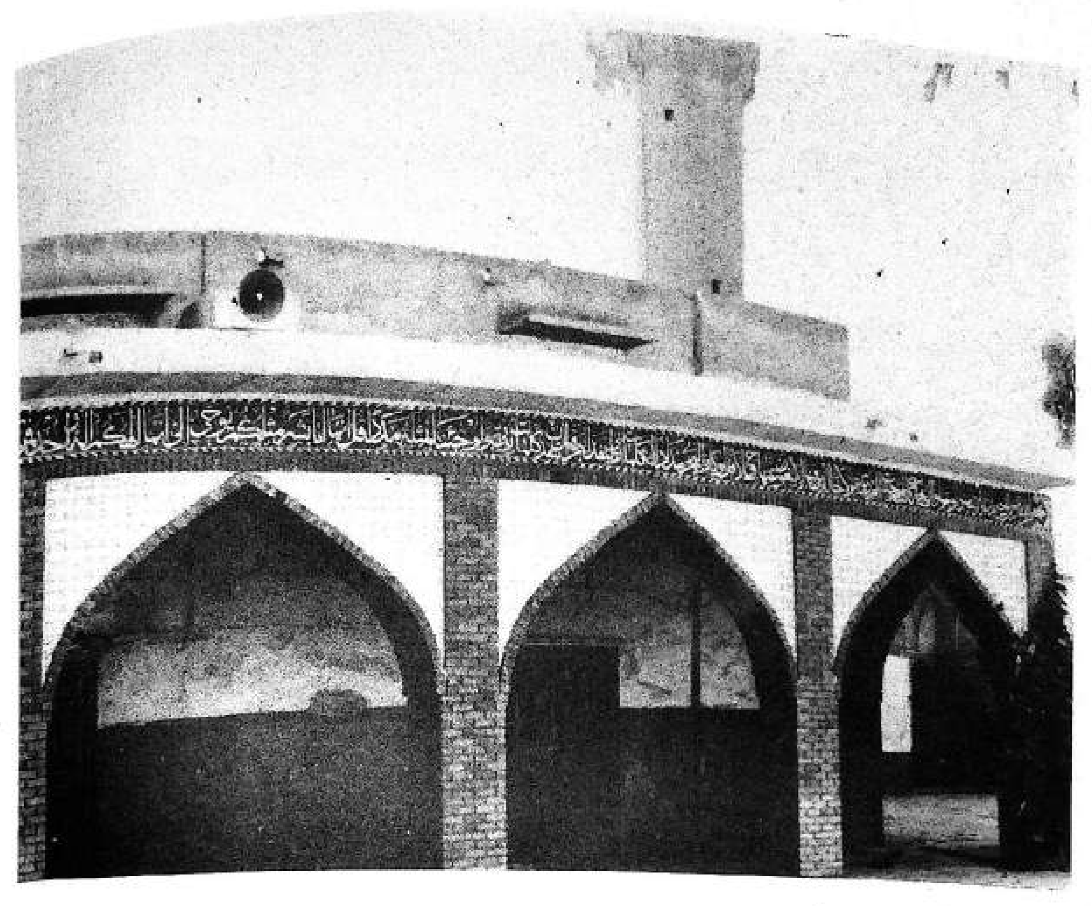
الثاني من القرن السادس الهجري فهو على نمط بيت صلاة جامع النوري في الموصل •

وجامع الخفافين مستطيل الشكل يشغل مساحة من الارض ابعادها ٣٨ × ٣٣٫٥ مترا • ويتألف من بيت للصلاة وصحن وعدد من غرف دفن فيها افراد من مشاهير الامة • ومأذنته تلاصق جدار بيت الصلاة الشمالي الغربي • وتخطيط بيت الصلاة فيه لا يختلف كثيرا عن تخطيط بيت الصلاة في جامع النوري • فهو مستطيل الشكل ويتألف من مصلى شتوي وصيفي ويشغل المصلى الشتوي ثلثي المساحة تقريبا حيث يبلغ طول جداره من الشمال الى الجنوب ١٦ مترا ومن الشرق الى الغرب ١٢٫٥ مترا من الداخل • ويتكون المصلى الشتوي من اسكوبين بثلاث بلاطات واسكوب المحراب فيه أعرض قليلا من الاسكوب الثاني • اما المصلى الصيفي فيتكون من اسكوب او رواق واحد ينفتح على الصحن بأربع بوائك (مخطط ١٣)

شيد جامع الخفافين بالطابوق والجص وبناؤه قوي ومتين ، جدرانه سميكة ، ولا يزيد ارتفاع سقف المصلى عن ستة امتار • وترفع على سقف المطلى عقود مدبية منفرجة متقاطعة تجلس اطرافها على اربع دعامات مستطيلة ضخمة وسقف المصلى مقبب تغطيه ست قباب صغيرة مفلطحة نسبيا وكسيت جدران بيت الصلاة من الداخل والخارج بالجص • يتوسط المحراب جدار القبلة فيه وحنيته مضلعة ذات خمسة وجوه ، وعقده مدبب ، ويغور المحراب في جدار القبلة بعمق ٧٥ سنتيمترا • ويقوم المنبر الى يمين المحراب والدخول الى المطلى يكون عن طريق باب تتوسط الجدار الشرقية فيه وتقع على الخط المحوري للمحراب اما المصلى الصيفي فيتألف من رواق واحد يطل على الصحن باربع بوائك ذوات عقود مدبية منفوخة تستند اطرافها على اعمدة رشيقة (لوح ٤٢) •



(مخطط ١٣): تخطيط جامع الخفافين.



(لوح ٤٢): المصلى الصيفي لجامع الخفافين.

(لوح ٤٣): مدخل جامع الخفافين.

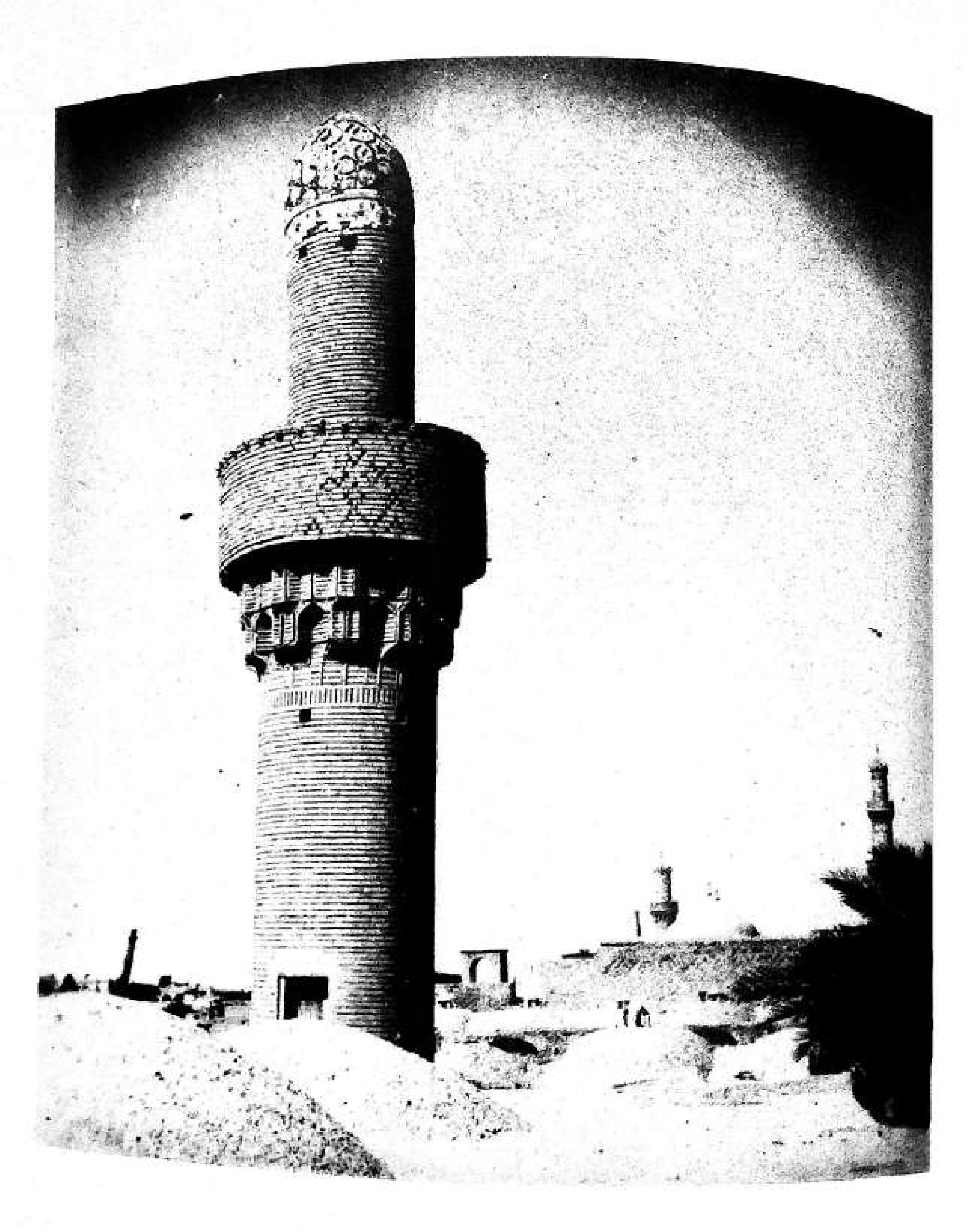
يشغل المصلى الجزء الجنوبي الغربي من المسجد مثل معظم مساجد العراق حيث يكون اتجاه القبلة • ويقع مدخل الجامع في الضلع الشرقية من الصحن • وتكشف تشكيلته العمارية عن تاريخ تجديد المسجد وهذا الجزء منه (لوح ٤٣) • ويمكن الوصول الى المسجد من سوق الخفافين وقد استخدمت الفسحة التي تتقدمه بعد تسقيفها كمقهى • وواجهة المدخل جميلة وقد بذلت جهود فنية غير قليلة لاظهارها بالمظهر اللائق • وتتألف من مدخل يتوسط نافذتين يفصله عنهما عمودان مفتولان مندمجان يقسمان الواجهة الى ثلاثة مستطيلات يكون مستطيل المدخل اوسعها والمدخل مؤطر بعقد مفتول مدبب منفرج مندمج ايضا وينتهي بقواعد جميلة تشبه قواعد العمودين المجاورين• وتشغل حنية هذا العقد كتابات جميلة تعلوها مقرنصات بارزة • ويحيط بعقد المدخل شريط مستطيل مشغول بكتابة تذكارية تذكر تاريخ اعادة البناء وهو ٩٩٩هـ / ١٥٩١م المثبت في مكان اخر من الجامع • وعقدا النافذتين مدببان منفرجان ايضا وشغلت حنية كل منهما بتشكيلة معقدة من مقرنصات مركبة وشغلت اكتاف العقود والفراغات في هذه الواجهة بتشكيلات من الزخارف الاجرية الجميلة المتقنة والمزججة • وجعلت زخارف القسم العلوي من جدار الواجهة بارزة قليلا وهي ناتجة من التفنن في صف الطابوق • وفي هذه الواجهة نشاهد استمرارية التشكيلات التي سادت في القرن السادس الهجري وتداخلها مع الاشكال المتطورة من المقرنصات والتشكيلات الهندسية المستوية الوجوه والكتابات في اتزان وتوافق • والتكوين العماري والزخرفي لمدخل هذا الجامع يشير الى استمرارية تشكيل واجهات عدد من مداخل الابنية العراقية من القرون السابقة خصوصا القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين •

مأذنة جامع الخفافين اسطوانية البدن مسدسة القاعدة التي ترتفع كثيرا عن مستوي سطح الارض ، ويتقارب قطر بدنها مع قطر قاعدتها • ويخترقها مثل معظم مآذن العراق ، سلم حلزوني يبدأ عند قاعدتها وينفتح بباب الى سطح

المسجد ثم يستمر الى الحوض • البدن غليظ نسبيا وقصير ايضا يبلغ ارتفاعه تسعة امتار الى قاعدة الحوض حيث تبدأ الرقبة وهي اسطوانية ايضا ولكنها رشيقة اذا ما قورنت مع البدن • وترتفع الرقبة ٣ر٥ امتار • وتنتهي برأس مقبب بصلي الشكل مغطى تماما بزخارف معمولة من التفنن في صف الطابوق المزجج • ولا تقتصر اهمية مأذنة جامع الخفافين على كونها اقدم مآذن بغداد حسب بل انها كاملة وذات حوض كامل ايضا وانها ذات طابع مميز من حيث الارتفاع وضخامة البدن وقصر القاعدة ووجود صفوف من المقرنصات تسند قاعدة الحوض بالاضافة الى استخدام الطابوق المزجج في رسم تشكيلاتها الزخرفية ، وهذه السمات المميزة نجدها في عدد من مآذن بغداد المعاصرة أو القريبة تاريخيا منها • ويحتمل جدا ان طبيعة ارض بغداد الرسوبية لها اثرها الفعال في جعل مآذن المدينة قصيرة نسبيا وغليظة الابدان (لوح ٤٤) •

ويستدل من الاشكال الزخرفية التي تزين حوض المأذنة والقسم العلوي من رقبتها ورأسها ان البدن والرقبة قد تساقطت زخارفها وتم اكساؤها بعد ذلك بطابوق لم يتفنن في صفه • وقبل ان تذكر زخارف هذه المأذنة يجدر بنا اولا ان نشير الى اهم عنصر معماري فيها الا وهو المقرنصات التي يستند عليها الحوض • والمقرنصات ابتكار عربي صرف ، ابدعها المعمار لاسناد القواعد او النتوآت التي تبرز عن جسم اسطواني • واذا ما اخذنا مأذنة سنجار بنظر الاعتبار فان الحنايا ذات الرؤوس البارزة التي تدور حول قمة قاعدتها هي الامثلة العملية الاولى لهذا الابتكار وقد تطور تركيب المقرنصات ونجدها في مأذنة جامع الخفافين تتكون من ثلاثة صفوف متتالية حيث يزداد بروز رؤوس حنايا المقرنصات في الصف الثاني على بروز رؤوس حنايا الصف الاول وهكذا يزداد بروزها في الصف الثالث لتسند قاعدة حوض عريضة نسبيا •

ومقرنصات الصف الاول من الاسفل بسيطة تشبه مقرنصات مأذنة سنجار • فهي عبارة عن حنايا ذات عقود مدببة تبرز رؤوسها الى الامام • اما حنايا مقرنصات الصف الثاني فتتكون من نوعين زوجي وفردي تستند محاور



(لوح ٤٤) : مأذنة جامع الخفافين .

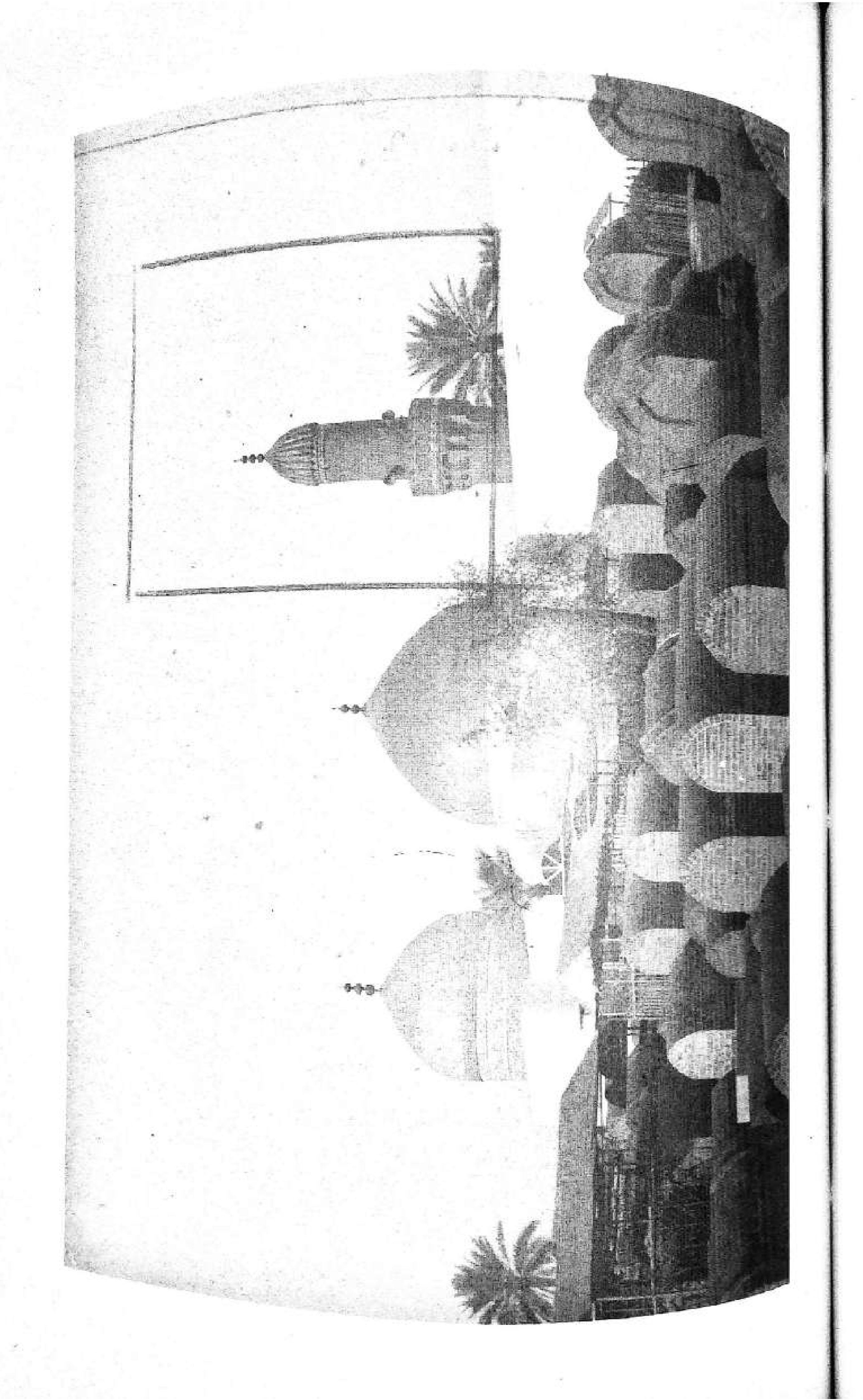
الحنايا الزوجية على رؤوس اثنتين من حنايا مقرنصات الصف الاول المتجاورين • وتتبادل المقرنصات المزدوجة مع مقرنصة حنيتها منخفضة نسبيا وتستند اطراف عقدها على رأسين لحنيتين في الصف الاول • اما الصف الثالث من المقرنصات فتشبه مقرنصات الصف الاول (   ) •

وتتصف مأذنة جامع الخفافين ايضا بالتشكيلات الزخرفية التي تزين الحوض والرأس • وزخارف الحوض ناتجة من التفنن في صف قطع مربعة صغيرة من طابوق مزجج بلونين • والتشكيلة عبارة عن معينات متقاطعة قريبة الشبه بتلك التي تزين بدن المأذنة المظفرية في اربيل ولكن الوحدات الزخرفية هنا غير بارزة بل بمستوى وجه جدار الحوض • اما الرقبة فمتوجة بشريط من تشكيلات زخرفية تختلف في تركيبها عن اشكال زخارف الحوض • وتم تغطية الرأس تماما بطابوق او قطع من طابوق مزجج بلونين ازرق داكن وازرق شذري ، مقصوصة بأشكال معينة تنجت عن التفنن في صفها أشكال هندسية نجمية ومعينية متداخلة وحوافها مؤشرة بطابوق ازرق داكن وبطونها مشغولة بطابوق ازرق شذري • وجعلت زخارف الرأس بمستوى واحد مثل زخارف الحوض والرقبة •

١٢ ـ مأذنة مسجد باب الديـــر

تقوم هذه المأذنة الان في مقبرة الشيخ معروف الكرخي «١» وتلتصق ببناء تربة الشيخ الكرخي • ويغطي بناء التربة قاعدة المأذنة وجزء كبير من بدنها ويظهر جليا ان ابنية التربة تقوم على ارض مسجد هذه المأذنة المعروف بمسجد باب الدير او مسجد الجنائز • ويتألف بناء التربة من غرفتين مربعتين متجاورتين تعلو كلا منهما قبة نصف كروية مدببة مغطاة تماما بقراميد ملونة جميلة للغاية • ويستدل من طراز البناء والزخارف التي تزين القبتين انه متأخر كثيرا عن بناء المأذنة ويعود الى فترات لاحقة (لوح ٤٥) •

(١) كان الشيخ معروف الكرخي من موالي الامام علي بن موسى الرضا ، توفى عام ٢٠٠هـ/٨١٦م ودفن بمقبرة باب الدير في الكرخ • وبعد فترة اصبحت المقبرة تعرف باسـم معـروف الكرخي وما زالت الى يومنا هذا تسمى بهذا الاسم •



ومأذنة مسجد باب الدير مثل مأذنة جامع الحظائر من حيث شكلها ومواد بنائها واستخدام المقرنصات فيها • فهي ذات بدن اسطواني غليظ نسبيا يجلس على قاعدة مضلعة لا يزيد قطرها كثيرا عن قطر البدن ، وحوض يتوج البدن ويستند على صفين من المقرنصات ثم رقبة رشيقة نسبيا تنتهي برأس نصف كروي مدبب مغطى بتشكيلات زخرفية ناتجة من التفنن في صف الطابوق المزجج • وترتفع هذه المأذنة حوالي ١٥ مترا عن مستوي سطح الارض ويمكن الوصول الى حوضها عن طريق سلم حلزوني يبدأ من سطح الابنية المحيطة بها (لوح ٤٦) •

ويستدل من مظاهر البدن والرقبة والرأس ان هذه المأذنة قد جددت في وقت لاحق لبنائها وشمل التجديد كساء البدن والرقبه وتغيير شكل الرأس وبعد ان تعرضت هذه الاجزاء الى تآكل بسبب عوامل التخريب الطبيعية • ويحتمل جدا ان البدن والرقبة كانا مغطيين بتشكيلات زخرفية مزججة وكتابات تذكارية حيث يشغل القسم العلوي من البدن شريط محدد بنطاقين ضيقين بارزين ذوي زخارف محفورة تفريغا في الاجر وتتألف نقشة الشريط العلوي منهما من سلسلة دوائر والاسفل من نقشة مختلفة وقد شغل الشريط بطابوق مربع غير منسجم مع صفوف الطابوق التي تغطي البدن •

نقش تاريخ بناء هذه المأذنة بهيئة حشوة تشغل احدى حنايا الصف الاول من المقرنصات بخط ثلث جميل قصت حروفه من طابوق وثبتت على ارضية منخفضة ويقرأ « بنيت هذه المأذنة سنة اثنتي عشرة وستماية » أي حين كانت بغداد تلعب دورا هاما جدا في العالم العربي الاسلامي ايام الخليفة المشهور الناصر لدين الله •

مقرنصات هذه المأذنة متقنة في تكوينها وجميلة في مظهرها وهي لاتختلف كثيرا عن مقرنصات مأذنة جامع الحظائر • فالصف الاول يتألف من وحدتين متبادلتين ، وحدة تتكون من حنيتين مستطيلتين يفصلهما شريط ضيق وتبرز رؤوسهما ، ذات العقود المدببة ، الى الامام ، اما الوحدة الاخرى فهي عبارة

(الرسم ١٤٥ : جامع باب الدرب)

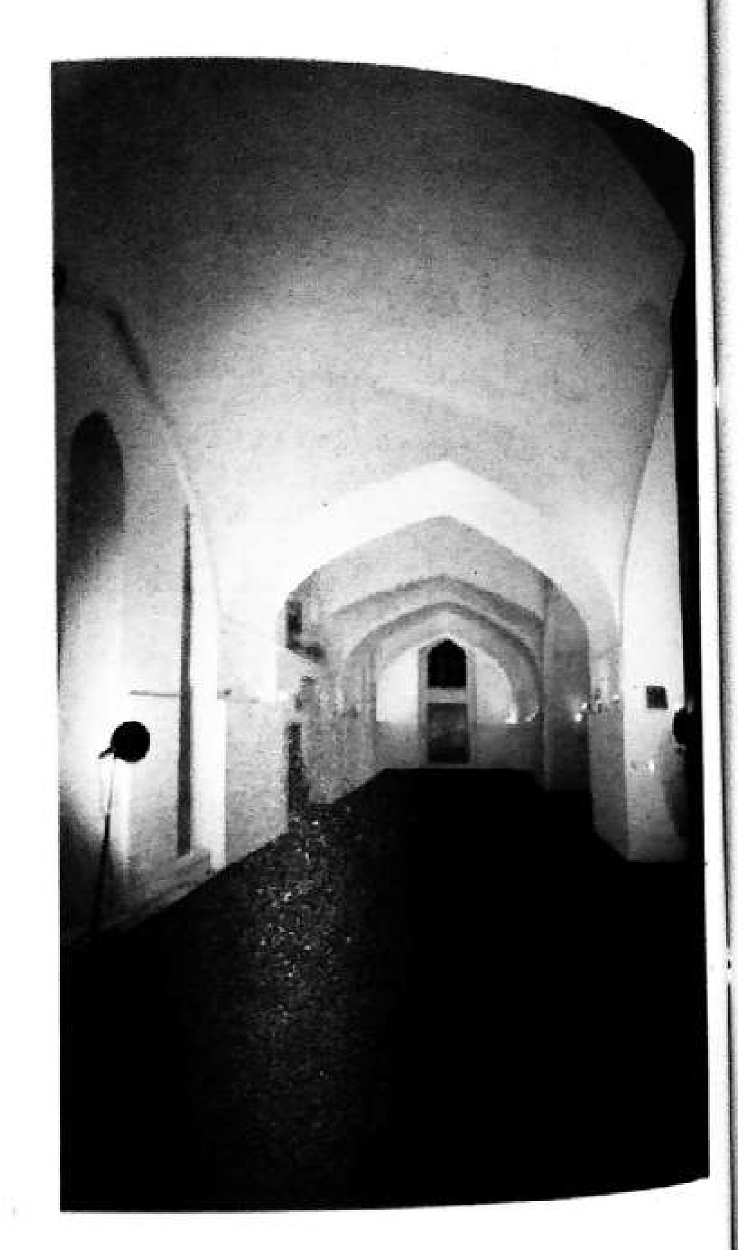
عن حنية ذات عقد مدبب منفرج غير بارز • ومقرنصات الصف الثاني تتشعب من مقرنصات الصف الاول وتتبدل التشكيلة حيث تنشأ حنية واحدة فوق الحنيتين في الصف الاول ، ذات عقد مدبب بارز الى الامام • وتتكون من حنيتين متجاورتين فوق حنية الصف الاول المفردة • يستند الحوض على رؤوس هذه المقرنصات أو الحنايا كما هو الامر في جامع الحظائر وشغلت حنايا الصف الاول بحشوات من زخارف اجرية محفورة تفريغا بصورة دقيقة ومتقنة • وهذه التحلية الزخرفية من اهم ما يميز هذه المأذنة اذا ما قورنت مع مأذنة جامع الحظائر وجامع قمرية • ولكن هذا لا ينفي عدم وجود مثل هذه الزخارف في مقرنصات جامع الحظائر التي غطيت بطونها بطابوق يشبه طابوق كسوة البدن المجدد ويستدل من ذلك ان حشواتها قد تلفت فجددت بهذه الطريقة •

اما الحوض فقد زين بشريطين من طابوق مزجج صف بطريقة فنية وبثلاثة الوان ازرق شذري واسود وابيض •وتتوج الرقبة نفس النقشة • ولكن تشكيلات الرأس مختلفة حيث تتألف من اشكال معينية متباينة في مستوياتها ومعمولة من التفنن فى صف الطابوق المزجج وبنفس الوان طابوق الحوض والرقبة • وقد جدد الرأس فتغير شكله وتشكيلاته الزخرفية •

الحقيقة ان العناصر الزخرفية المحفورة تفريغاً على الاجر في هذه المأذنة تمثل مرحلة متقدمة اذا ما قورنت مع زخارف مأذنة المكيطيمة في اليوسفية ويلاحظ ان العناصر النباتية هي السائدة في هذه الحشوات •

١٣ ـ جامع قمرية

يقع هذا الجامع في الجانب الغربي من بغداد ويطل على دجلة في محلة الشيخ بشار، وهي من محلات بغداد المشهورة • ونسب مثل جامع الحظائر الى المحلة التي يقوم فيها ، والتي كانت تعرف بهذا الاسم عند بنائه • امر الخليفة المستنصر بالله العباسي ببناء هذا الجامع وتم البناء عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨-١٢٢٩م كما تذكر كتب التاريخ • واهتم به الخليفة فزوده بخزانة كتب وعين



(الوح ٤٨): مصلى جامع قمرية .

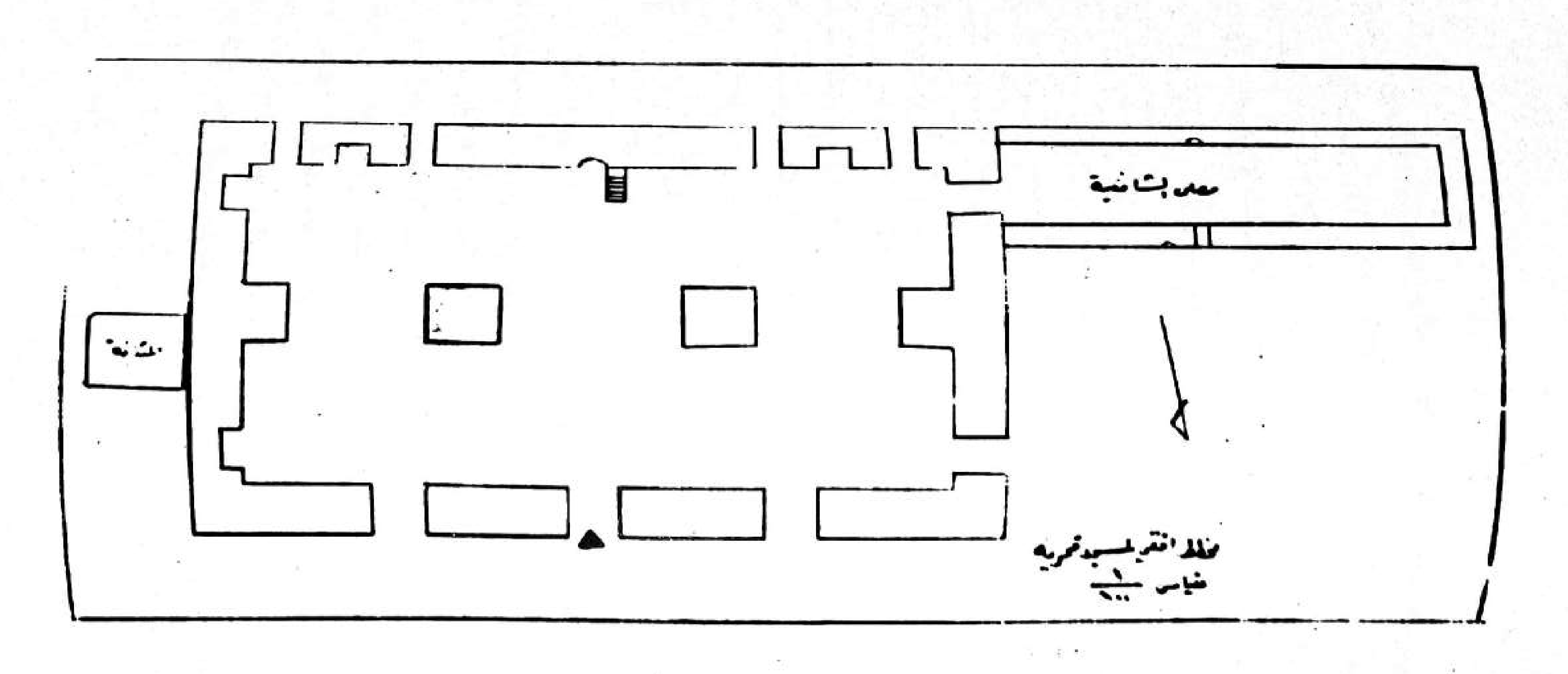


(الوح ٤٧): كتابة تذكارية تذكر تجديد الجامع.

له اماما ومدرسا وقارئا ويتضح من ذلك ان دروسا في الدين كانت تلقى فيه .

لم يبق الجامع على حالته الاولى فقد فعلت عوامل التخريب الطبيعية فعلها فيه فجدد ورمم اكثر من مرة وفي فترات متلاحقة . ونحن نعرف ان جزءا كبيرا من مسناته ، التي كانت تحميه من فيضانات دجلة ، قد سقط عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م . ولكن ، وبعد سنوات اصلحت المسناة ورمم المسجد وكان ذلك عام ٦٦٧هـ / ١٢٦٩م . وتم بعد اربعة قرون ترميم وصيانة قباب سقفه وجدرانه ، وذلك عام ١٠٥٤هـ / ١٦٩٤م . وتم ايضا احداث زيادة في القسم الغربي منه بهيئة مصلى شتوي عرفت بمصلى الشافعية ويمكن الدخول اليها من مصلى الجامع . وعمر المسجد مرة اخرى عام ١١٧٩هـ/١٧٠٥م كما هو مثبت على لوح رخامي في بيت الصلاة وتشير هذه الكتابة التذكارية الى اعادة بناء بيت الصلاة . وهناك كتابة تذكارية اخرى تذكر تجديده عام ١٢٣٠هـ-١٨١٩م (لوح ٤٧). وجدد أيضا عام ١٣٥٩هـ-١٩٤١م وشملت اعمال التعمير في هذه المرة المأذنة فجدد حوضها ومقرنصاته . وبعد هذه التجديدات والتعميرات المستمرة لانستطيع ان نقرر الى أي مدى تغير تخطيط وبناء وزخرفة الجامع . ولكن اذا ما قارنا تخطيطه وبناءه الحالي بجامع الخظائر فاننا نستطيع القول ان جملة هذه التجديدات لم تغير تخطيط وشكل الجامع ومعظم عناصره المعمارية والزخرفية .

يتألف المسجد الان من بيت للصلاة يشغل القسم الجنوبي الغربي منه وصحن ضيق يحيط بالمصلى من الشرق والغرب والشمال ، ومأذنة تلتصق بجدار بيت الصلاة الجنوبي الشرقي ، وزيادة هي مصلى الشافعية كما ذكرنا . وتخطيط المسجد قريب الشبه بتخطيط جامع الخظائر . فالمصلى الشتوي مستطيل الشكل ابعاده ٣١×٥ر١٧ مترا من الخارج و ٤٤ر٢٤×١٥ر١٢ مترا من الداخل . ويتكون من اسكوبين وثلاث بلاطات ، اوسعها بلاطة المحراب التي يبلغ عرضها ٩٥ر٦ امتار . اما البلاطتان الأخريان فعرض كل منهما ٣٠ر٥ امتار . والزيادة مستطيلة الشكل ايضا ابعادها ١٨×٤٠ر٦ امتار . وكان



(مخطط ١٤) : تخطيط جامع قمرية .

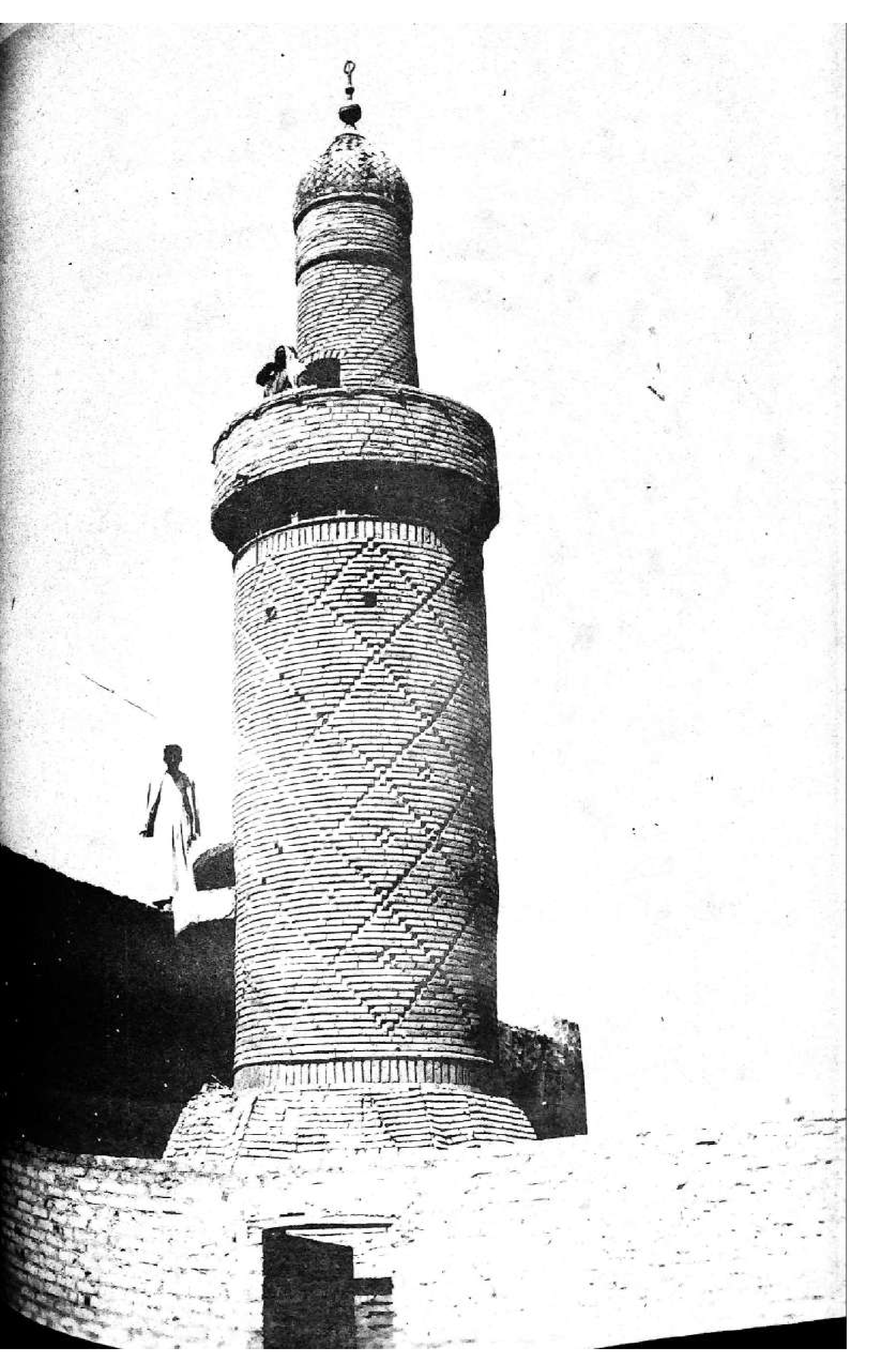
للمسجد بيت صلاة صيفي ، مثل جامع الحظائر ، ومازالت قواعد اعمدة هذا الجزء تتقدم المصلى الشتوي من الجهة الشمالية الشرقية على صحن يطل على دجلة مباشرة . وصحن المسجد مثل صحن جامع الحظائر يحيط بالمصلي من الجنوب الشرقي والشمال الشرقي والشمال الغربي . (مخطط ١٤)

شيد جامع قمرية بالطابوق والجص ورمم وجدد بنفس المادة البنائية هذه . بناؤه متين وضخم ، خصوصا جدرانه الخارجية ودعاماته وعقوده . وتجلس اطراف عقود المصلى على دعامات مستطيلة ضخمة جدا وموازية لجدار القبلة يندمج عدد منها في جدران المصلى ما عدا اثنتين تتوسط المصلى وتتعامد عليها عقوده وعقود المصلى متقاطعة مدببة منفرجة مثل عقود بيت صلاة جامع الحظائر (لوح ٤٨) . وسقف المصلى عبارة عن قباب صغيرة نسبيا مفلطحة الظهر وعددها ست فقط . ويتوسط المحراب جدار القبلة فيه وهو عبارة عن تجويفة مستطيلة متوجة بعقد مدبب ، ويقع المنبر الى يمين المحراب . اما المقصورة ، فتقع فوق مدخل المصلى المقابل للمحراب تماما . والمصلى مغطى من الداخل والخارج بالجص .وتم توزير جدرانه من الداخل بوزرة من الواح حجر رخام وعلى ارتفاع مناسب . ويتخلل جدران المصلى عدد من النوافذ في جدار القبلة وبقية الجدران للتنوير والتهوية .

واهم ما في جامع قمرية مأذنته الاصلية . وتتصل بجدار المصلى الجنوبي الشرقي ، كما ذكرنا ، وعلى نطاق ضيق جدا من بدنها . وتمثل هذه المأذنة خير تمثيل مآذن بغداد في النصف الاول من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، يجلس بدنها الاسطواني الشكل على قاعدة ضخمة مستطيلة تقريبا ابعادها ٣٫٥٠×٢٫٨٠ متر وارتفاعها ٣٫٥٠ امتار . وقد حول المعمار قاعدتها هذه الى شكل دائري لتناسب البدن عن طريق جعل المربع مثمنا ثم تحويله الى دائرة وهي الطريقة الشائعة في تهيئة قواعد دائرية للقباب التي تسقف ابنية مربعة فنتجت عن ذلك مرحلة تحويل مسرجة الجدران منشورية الشكل .

وبدنها غليظ نسبيا مثل مأذنة جامع الحظائر ويرتفع ٨٫٧٠ امتار يتوجه حوض ويخترقه سلم حلزوني يبدأ من سطح المسجد ورقبة المأذنة رشيقة نسبيا ترتفع بمقدار ٦٫٥٠ أمتار ويتوجها رأس نصف كروي مدبب قليلا (لوح٤٩). ولم يتعرض بدنها ورقبتها ورأسها الى ترميم او اعادة اكساء كما تكشف الحلية الزخرفية التي تزين هذه الاجزاء • ولكن الحوض مجدد لانه غير متناسق تماما مع البدن من حيث سعة بروزه عن مستوى وجه البدن والمقرنصات التي يستند اليها خصوصا اذا ما قورن مع حوضي مأذنتي مسجدي باب الدير والحظائر يخلو الحوض من التحلية الزخرفية ويستند على صف واحد من الحنايا المقرنصة ذات العقود المدببة البارزة الى الامام ، وحناياها خالية من الحشوات الزخرفية • ورغم ذلك فان هذا الصف من الحنايا المقرنصة يوضح بجلاء الغاية الاساسية منها وهو يذكرنا بصف الحنايا المقرنصة التي تسند حوض مأذنة سنجار التي تعتبر اقدم مثال لهذا الابتكار في بناء المآذن •

زين البدن تماما بتشكيلة زخرفية جميلة ناتجة من التفنن في صف الطابوق • وتتألف من شريطين ضيقين يحددان بداية ونهاية البدن وقد صف الطابوق فيها بشكل عمودي • اما النطاق الواسع المحصور بينهما فتشغله معينات بمستوى واحد ناتجة عن تقاطع اشرطة ضيقة تتحرك على البدن بصورة حلزونية يمينا ويسارا وجعلت من قطع طابوق صغيرة حلزونية مربعة مزججة بلون ازرق داكن رصعت ترصيعا في البدن وزين مركز كل معين من هذه المعينات بوحدة تتألف من اربع قطع من ذات الطابوق المزجج الذي يحدد الاشكال المعينية ومما يؤسف له ان اغلب قطع الطابوق هذه قد سقطت مع تلك التي تزين كامل البدن • وتم تحلية الرقبة بتشكيلات زخرفية ناتجة من التفنن في صف الطابوق ، وقوام التشكيلة اشرطة حصيرية تتحرك بشكل حلزوني وتنتهي عند حاشية شريط ضيق خال من الزخرفة يفصل الرأس عن الزخرفة • اما الرأس فنمت تحليته بتشكيلات هندسية معينية ناتجة ايضا من التفنن في صف الطابوق المزجج الملون باكثر من لون واحد • ولا يختلف رأس هذه المأذنة كثيرا من حيث الشكل والتحلية الزخرفية عن رأس مأذنة جامع الحظائر ومأذنة مسجد باب الدير •



١٤ ـ ماذنة جامع الخلفاء (سوق الغزل)

تتوسط هذه المأذنة بغداد الشرقية القديمة وتطل الان على شارع الجمهورية من الجهة اليسرى[1] والمعروف ان المكان الذي تقع فيه هذه المأذنة، كان مشغولا بجامع خاص بدار الخلافة ، امر ببنائه الخليفة المكتفي بالله ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ / ٩٠٢ ـ ٩٠٨م . وكان يعرف انذاك بجامع القصر ثم صار يدعى بجامع دار الخلافة وسمي ايضا بجامع الخلفاء وما زال يدعى بذلك الى يومنا هذا وكان خلفاء بغداد ، بعد وفاة المكتفى ، يؤدون صلاة الجمعة فيه . وتذكر كتب التاريخ ان هذا الجامع قد هدم واعيد بناؤه في فترة الحكم الايلخاني ، عام ٦٨٧هـ / ١٢٨٩م . ولكن البناء الاخير تهدم وظلت المأذنة فقط وصارت تدعى بمأذنة سوق الغزل بعد ان اقتطع جزء من بناء الجامع لانشاء سوق كان يباع فيها الغزل .

تدل مباني العهد الايلخاني ، الدينية والمدنية والتي تقوم الان في العراق، على فشل قتلة الخليفة ومخربي بغداد ومعاهدها العلمية والفنية في تحويل نهار الحضارة العربية الاسلامية الى ليل اظلم يعكس تأخرهم وبداوتهم ووثنيتهم فاضطروا الى اعتناق الاسلام ورعاية رجاله وتعمير بيوت الله وغيرها من المرافق العامة في اغلب مدن العراق . وكان جامع الخلفاء من بين تلك الابنية التي امروا بتشييدها في عاصمة ملكهم . ويظهر ان الخراب بدأ يدب في اجزاء الجامع فتهدم وظلت مأذنته فقط التي تعكس استمرار طراز العمارة العربية الاسلامية بعد سقوط بغداد .

تعرضت المأذنة ايضا لتخريب شوه كسوتها الزخرفية الجميلة واصبحت عام ١٩٤٠ مجرد برج من طابوق ضخم جدا مشوه المعالم . وقد حاولت السلطة الاستعمارية البريطانية نسفه ولكن محاولتها بائت بالفشل فسارعت مديرية الاثار العامة لتحمي هذا الاثر من الاندثار فقامت بصيانته وترميمه واستغرق

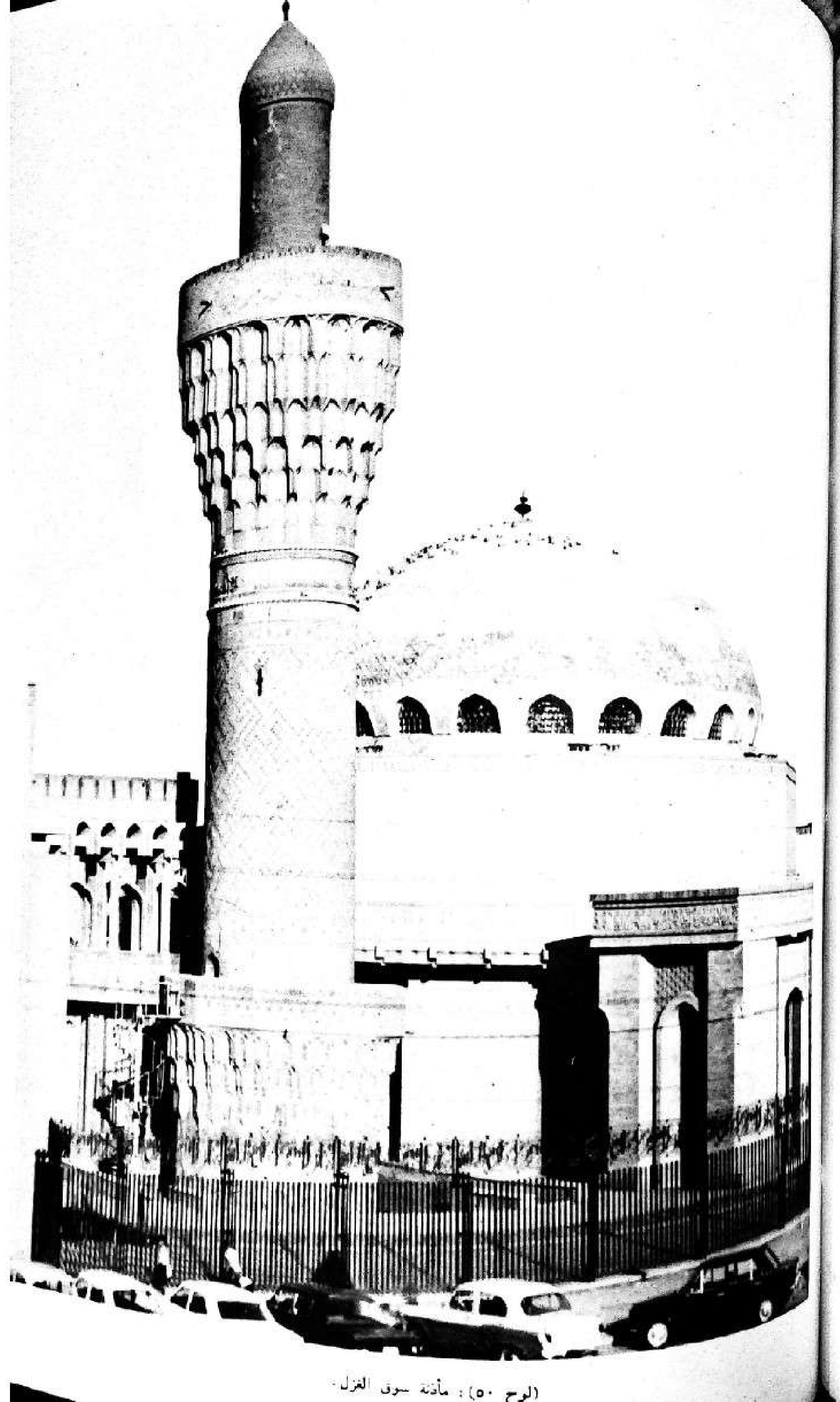
---

(١) اسم شارع الجمهورية يعرف الآن باسم شارع الخلفاء تخليدا للجامع نفسه .

١٤٩: مأذنة جامع قمرية .
١

ذلك وقتا طويلا حيث ابتدأت اعمال الصيانة منذ عام ١٩٤٠ ولم تنته الا قبيل سنوات • وانجزت المديرية اعادة بناء ما تهـــدم من المأذنة وتحشية حنايا المقرنصات بزخارف اجرية دقيقة جدا وكست البدن ايضا بحلية زخرفية ونظرا لما لجامع الخلفاء من اهمية دينية ، قامت رئاسة ديوان الاوقاف ببناء جامع عند المأذنة يتألف من بيت صلاة ضخم تعلوه قبة كبيرة جدا مفلطحة واروقة وممرات توصل الجامع بشـــارع الخلفـاء وتحيط بمأذنته • ومن المؤسف ان البناء الجديد غير متناسق وغير منسجم مع المأذنة القديمة وينم عن جهل واسع بطراز عمارة الجامع الاصلي •

مأذنة سوق الغزل متميزة بضخامتها حيث يبلغ ارتفاعها ٣٣ مترا ، ومحيط قاعدتها ٢٠ر٦٤ مترا ومحيط بدنها ١٦ر٢٠ مترا • فهي اضخم واطول مآذن بغداد السابقة واللاحقة ، وهي فريدة ايضا في شكل قاعدتها التي تتألف من اثنى عشر وجها أو ضلعا ويبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار • ولا وجود لمثل هذه القاعدة من حيث عدد اضلاعها ومحيطها في أي من مآذن بغداد ايضا ، وصفتها الثالثة هي وجود حوضين الاول يتوج قاعدتها ومنه تبدأ سلالم المأذنة التي تؤدي الى الحوض الثاني الذي يتوج البدن ويحيط برقبة اسطوانية رشيقة نسبياً ومنتهية برأس نصف كروي بصلي الشكل • بدن المأذنة اسطواني الشكل مثل ابدان معظم مآذن العراق التي بنيت بعد مأذنة عنـــه • ويخترق البدن سلمان حلزونيان لا يلتقيان الا في الحوض الثاني وهذه صفة رابعة لم نجدها في مآذن بغداد السابقة واللاحقة وان كنا نجد سوابقها في حدباء الموصـــل ومظفرية اربيل • اما صفتها الخامسة فهي صفوف المقرنصات ، الجميلة المعقدة التركيب المتقنة التكـوين ، التي تسـند حوضي المأذنة ، ويضـاهي جمـال المقرنصات ، الحشوات الزخرفية الاجرية المحفورة تفريغا والتي تشغل حنايا المقرنصات واجزاء من المأذنة والتشكيلات الزخرفية التي تغطي كامل البدن والمصنوعة من التفنن في صف الطابوق وهذه ميزتها السادسة على الرغم من ان هذه الزخارف مجددة قياسا على زخارف مأذنة الكفل وزخارف المدرسة



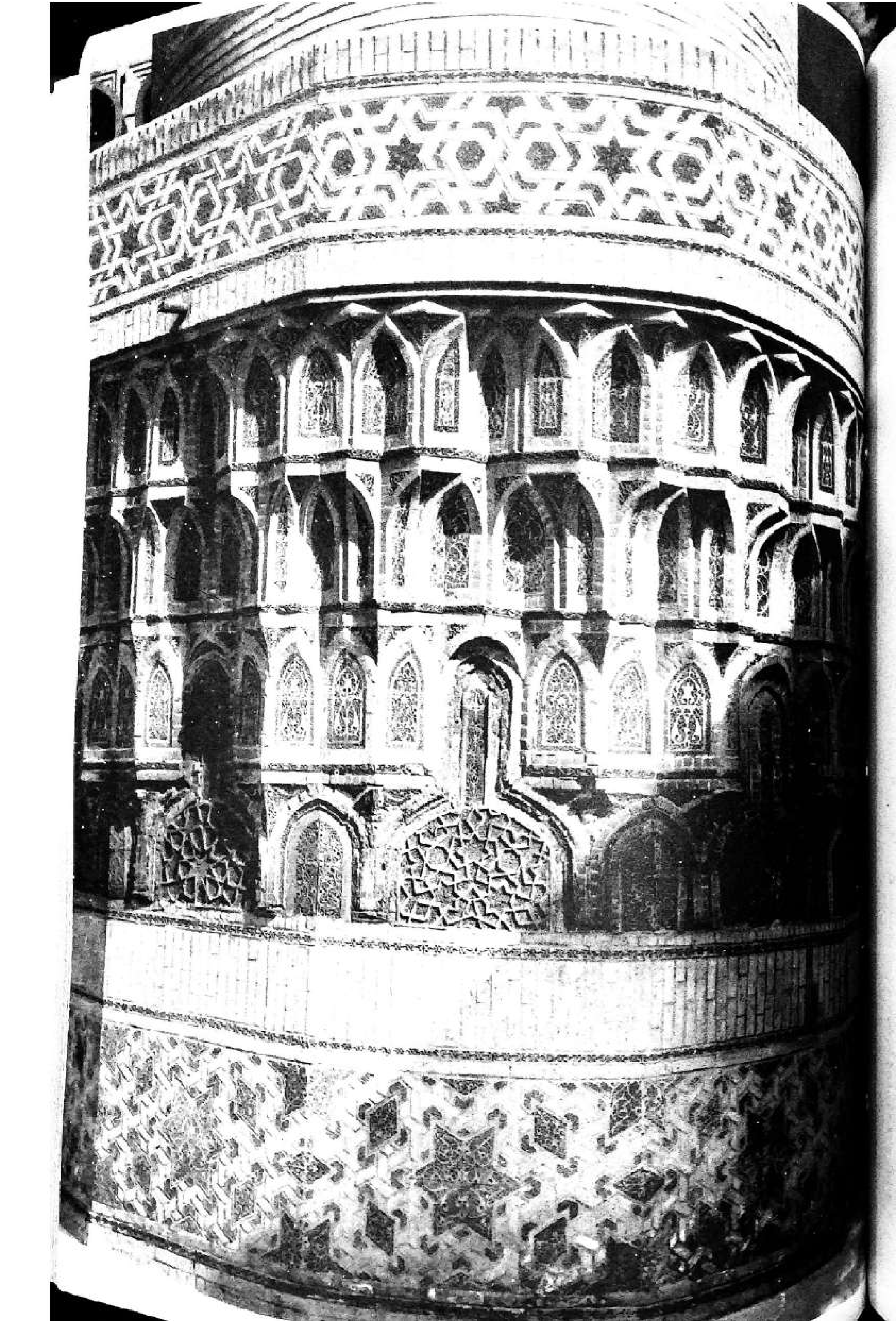
(اللوح ٥٠) : مأذنة سوق الغزل.

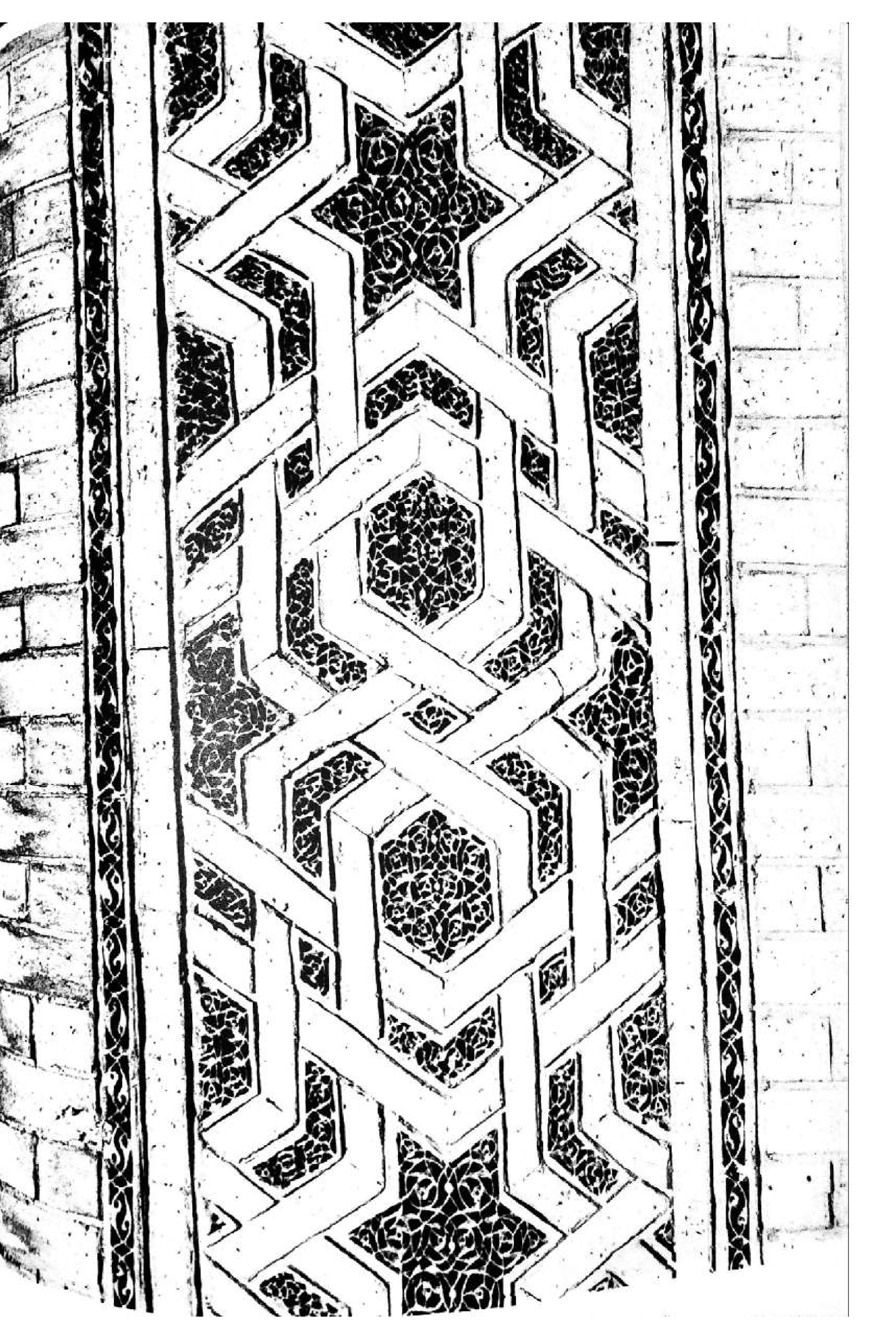
المستنصرية والمدرسة الشرابية السابقتين على بناء جامع الخلفاء (لوح ٥٠) •

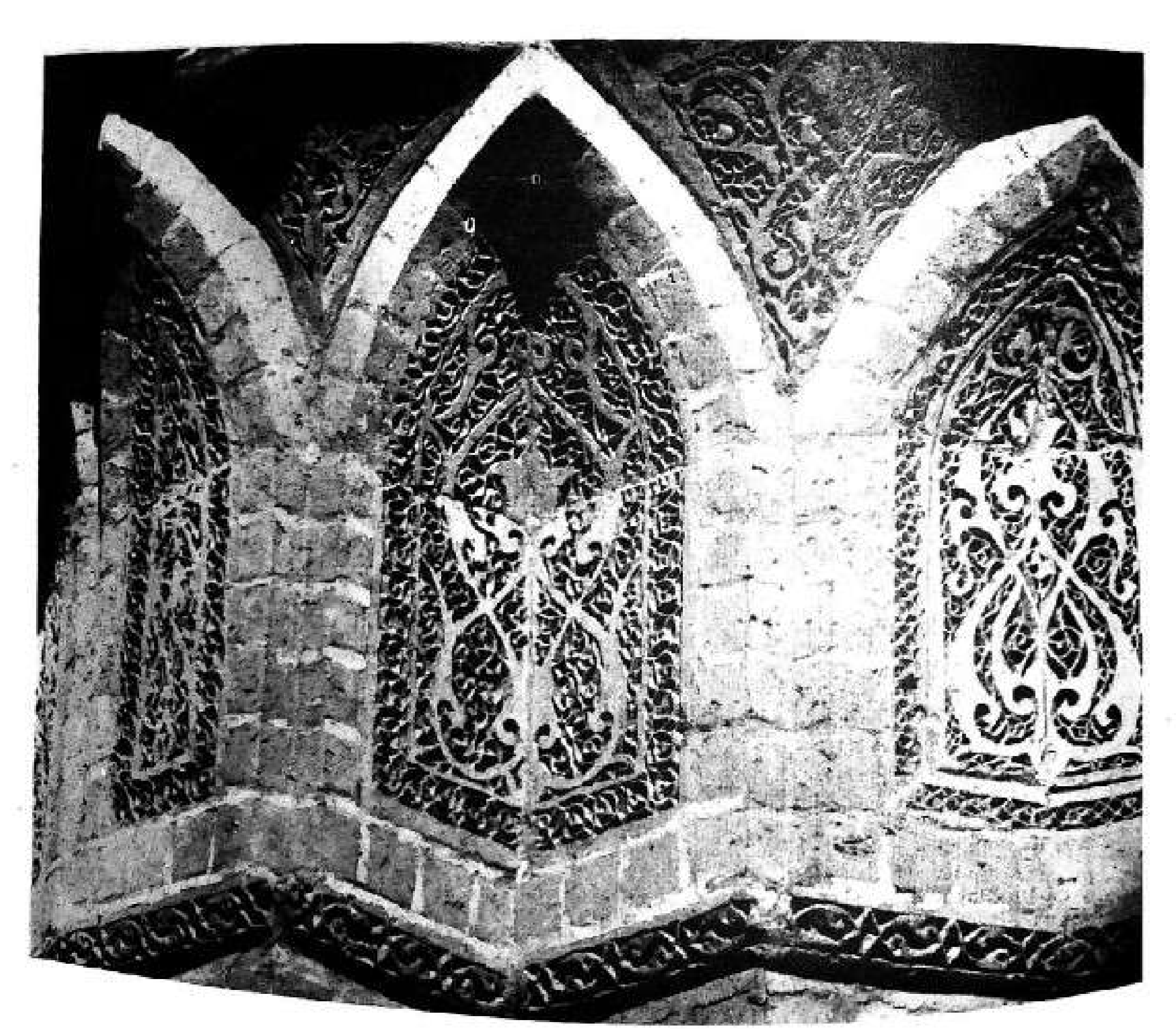
ومقرنصات مأذنة جامع الخلفاء هي ابرز عناصرها المعمارية وهي متقدمة جدا من حيث تركيبها وتكوينها اذا ما قورنت بمقرنصات مآذن جوامع بغداد الثلاثة السابقة ، فالحوض الاول يستند على أربعة صفوف منها تتنوع في اشكالها ومستوى بروز رؤوس عقودها • فمقرنصات الصف الاول فردية ولكن بشكلين متبادلين ينتهي رأس الضيقة منها مستوى الخط الاول اما الواسعة منها فيرتفع عقدها ليفصل بين مجاميع مقرنصات الصف الثاني ويرتفع بارتفاعها ولكن عقده مزدوج يبرز الرأس الاعلى منه فقط • وعدد المقرنصات بين كل اثنين من هذه الحنايا اربع فقط • ومقرنصات الصف الثالث ثلاثية التكوين ومقرنصات الصف الرابع بسيطة متشابهة ولكن امتدادات رؤوس عقودها تلتقى لتشكل صفا آخر من رؤوس حنايا فقط وبمستوى وجه حافة الحوض الخارجية (لوح ٥١) •

يستند الحوض الثاني على ستة صفوف من الحنايا المقرنصة لا تختلف كثيرا في تركيبها عن مقرنصات الحوض الاول لكنها خالية من الحشوات الزخرفية ويحتمل جدا انها كانت مزينة بمثل هذه الحشوات خصوصا اذا ما قورنت مع مقرنصات مأذنة الكفل •

ومما يزيد في جمال مقرنصات الحوض الاول الحشوات الزخرفية الاجرية التي تشغل حنايا المقرنصات واكتاف عقودها والاشرطة الضيقة التي تفصل بينها وتؤطرها • وتتألف تشكيلات هذه الحشوات من اشكال هندسية ونباتية متنوعة صيغت بدقة وعناية على ارضية من الزخارف المفرغة الدقيقة • وتبرز الاشكال الهندسية عن مستوى الارضية اما العناصر النباتية فبمستوى الزخارف المفرغة • والحقيقة وكما ذكرنا ، ان اشكال هذه الزخارف وتقنيتها منقولان من زخارف المدرسة المستنصرية والمدرسة الشرابية ولم يبق من حشوات المقرنصات المزخرفة ليستدل بها في اشغال هذه المقرنصات بالزخارف •







امتدت الاشكال الزخرفية لتغطي وجوه الحوض الأثني عشر حيث تتألف وحداتها من اشكال هندسية متداخلة مشغولة بحشوات من الزخارف المفرغة. وتغطي هذه التحلية أيضا القسم الاسفل من القاعدة (لوح ٥٢) .

البدن مغطى ايضا بتشكيلات زخرفية ، وجميعها مجددة وعلى طراز زخارف جدران المستنصرية من الخارج . ومثل المآذن السابقة لم يحل بالزخارف الجزء الاسفل من البدن وبأرتفاع رأس عقد السلم . ويتوج هذا الجزء شريط ضيق من تشكيلات زخرفية تناظر تلك التي تزين الحوض ، ويلي ذلك نطاق واسع جدا بارتفاع ما تبقي من البدن عدا الشريط العلوي منه ، مشغول بوحدة ناتجة من التفنن في صف الطابوق الذي يبرز قليلا عن مستوى وجه البدن ويظهر وكأنه كتابة كوفية لكلمة معينة في اوضاع مختلفة . والشكل الاساس فيه عبارة عن صلبان معقوفة تتصل نهايات اذرعها بعضها مع البعض الاخر . وتنتهي التشكيلة من الاعلى عند حافة بارزة لشريط مفتول ضيق يحدد الشريط الاعلى المحفوف ايضا من الاعلى بشريط مفتول يناظر الشريط الاسفل ويظهر جليا ان الشريط الاعلى هذا كان مشغولا بكتابة تذكارية على نمط مأذنة جامع الكفل . ويخلو الحوض الاعلى والرقبة والرأس من التحلية الزخرفية . والملاحظ ان الطابوق المزجج لم يستعمل في تحلية هذه المأذنة .

١٥ ـ مأذنة الكفل

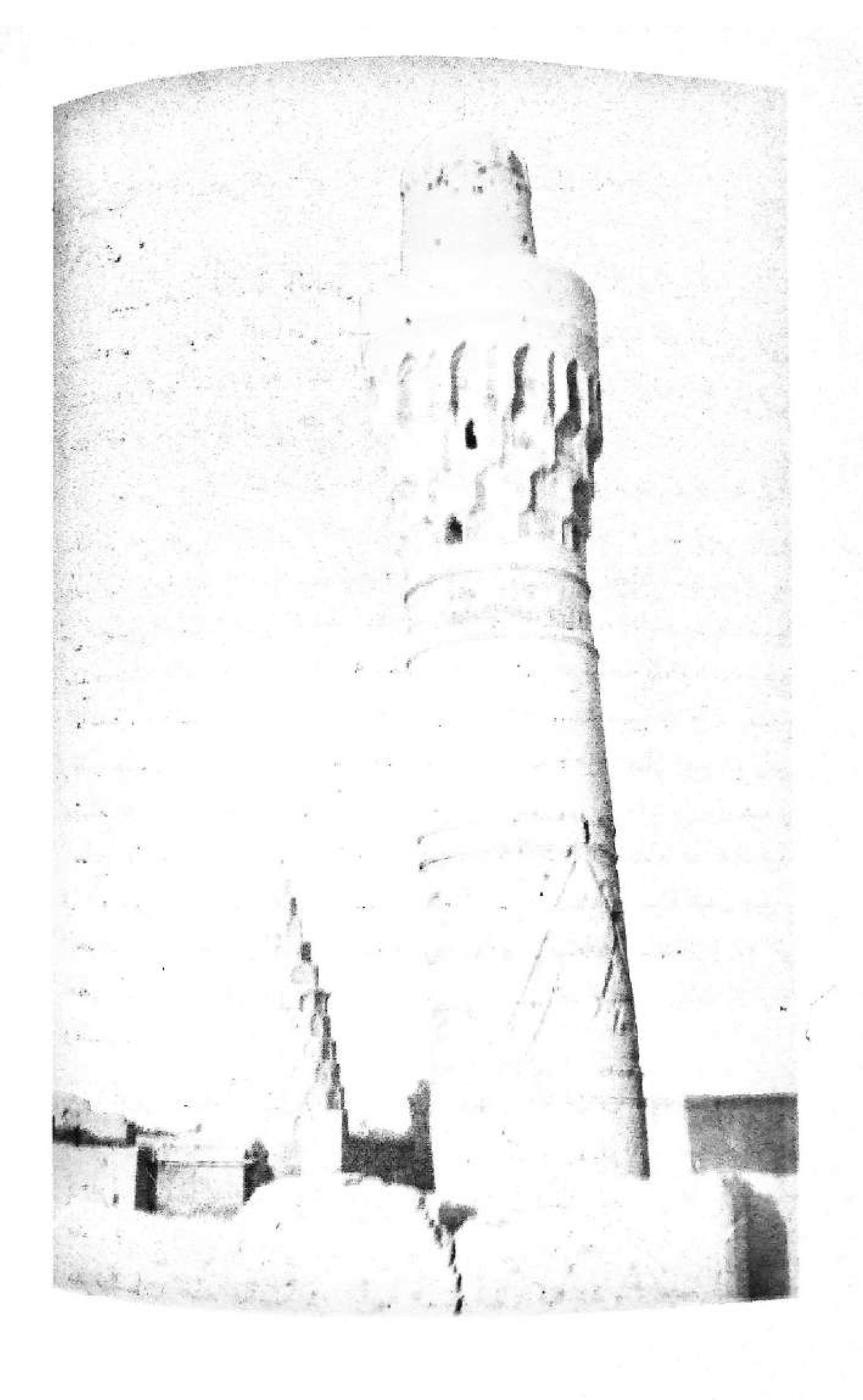
تنتصب هذه المأذنة بالقرب من مرقد ذي الكفل ببلدة الكفل في محافظة النجف . وتذكر كتب التاريخ ان السلطان الايلخاني غياث الدين محمد خدا بندة ٧٠٣ ـ ٧١٦هـ / ١٣٠٣ ـ ١٣١٦م قد امر ببناء جامع ومشهد ذي الكفل وخان لايواء الزوار . ويظهر ان بناء المأذنة لم يتم على عهد هذا السلطان فأمر باكمالها ولده السلطان سعيد بهادر خان . تعرض المسجد الجامع الى تخريب متعمد وتحويلات مقصودة حيث انقطعت الصلاة فيه وظلت المأذنة قائمة لقرون عديدة فأصاب التلف بعض اجزائها وقامت هيئة فنية من مديرية الاثار العامة بصيانتها واعادة بناء ما تهدم منها فاصبحت المأذنة بحالة جيدة تبين السمات

الاساسية لما وصـل اليـه فن بنـاء وزخرفة المآذن في بداية القرن الرابع عشر الميلادي .

بنيت هذه المأذنة بالجص والطابوق وتميز ، مثل مأذنة جامع الخلفاء ، بضخامتها وعلوها الشاهق نسبيا، وجمال تركيب صفوف المقرنصات التي تسند حوضها ، وروعة التشكيلات الزخرفية التي تغطي كامل بدنها وتنوع وحداتها وتقنيتها (لوح ٥٣) .

يجلس بدن المأذنة الاسطواني الشكل على قاعدة مربعة ضخمة ومتينة جدا ترتفع عن مستوى سطح الارض حوالي ستة امتار . ولم تزين وجوه جدرانها بتحليات او نقشات زخرفية والظاهر ان جدار الجامع كان يتصل بها من جهتين حيث تحتل المأذنة احد اركانه من الداخل . والبدن غليظ نسبيا يبلغ محيطه عشرة أمتار ويخترقه سلم حلزوني واحد يقع مدخله المعقود عند سطح القاعدة ، وينتهي في حوض المأذنة . ورقبة المأذنة غليظة نسبيا اذا ما قورنت مع رقاب مآذن بغداد السابقة . ويبلغ محيط الرقبة ٧٫٣٥ امتار ويتوجها رأس مضلع نصف كروي مدبب الرأس . وترتفع المأذنة حوالي ٢٤ مترا عن مستوى سطح الارض . ان التكوين العماري لهذه المأذنة يشبه الى حد ما المأذنة الحدباء في الموصل ، ويمكن ملاحظة هذا الشبه في شكل القاعدة وهيئة البدن وموقع الحوض من البدن ثم قصر الرقبة وضخامتها وبالاضافة الى ذلك الزخارف التي تغطي كامـل البدن في هاتين المأذنتين مع اختـلاف التشـكيلات الزخرفية وتقسيماتها .

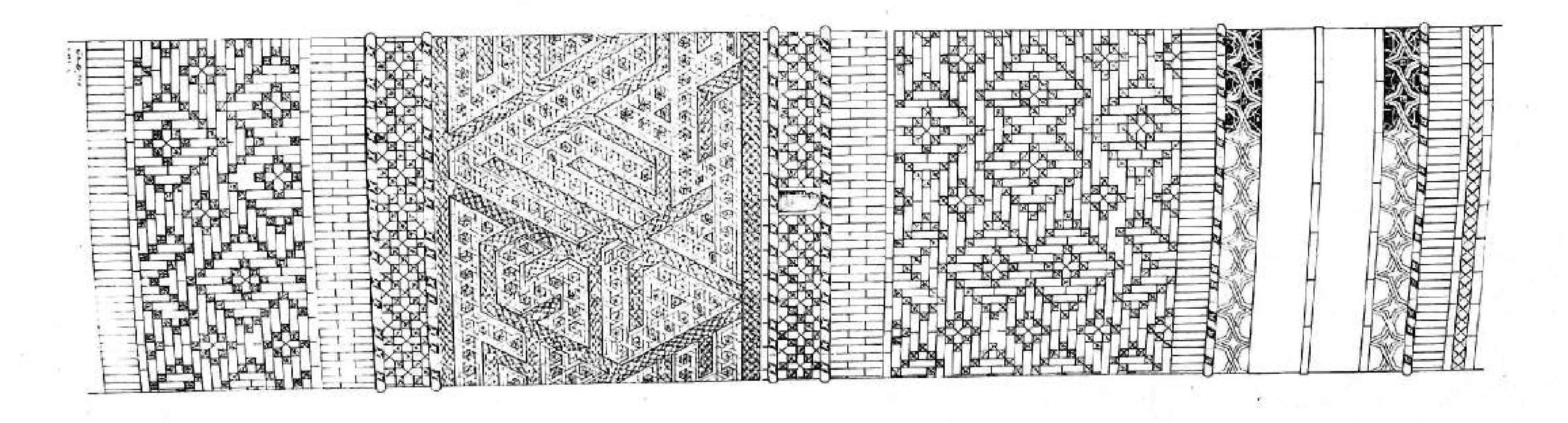
ابرز العناصر المعمارية في مأذنة الكفل المقرنصات التي تسند حوضها الاوحد وتتصف بتعقيد تركيبها وتناسقها وكونها مشغولة بحشـوات من زخارف نباتية آجرية مفرغة.والمؤسف جدا ان قسما كبيرا من هذه الحشوات قد سقط ولكن ما تبقى يكشف عن الدقة في حفر هذه الزخارف . وتتألف مقرنصات هذه المأذنة من اربعة صـفوف ، كما ذكرنا ، تجمع في تكوينها



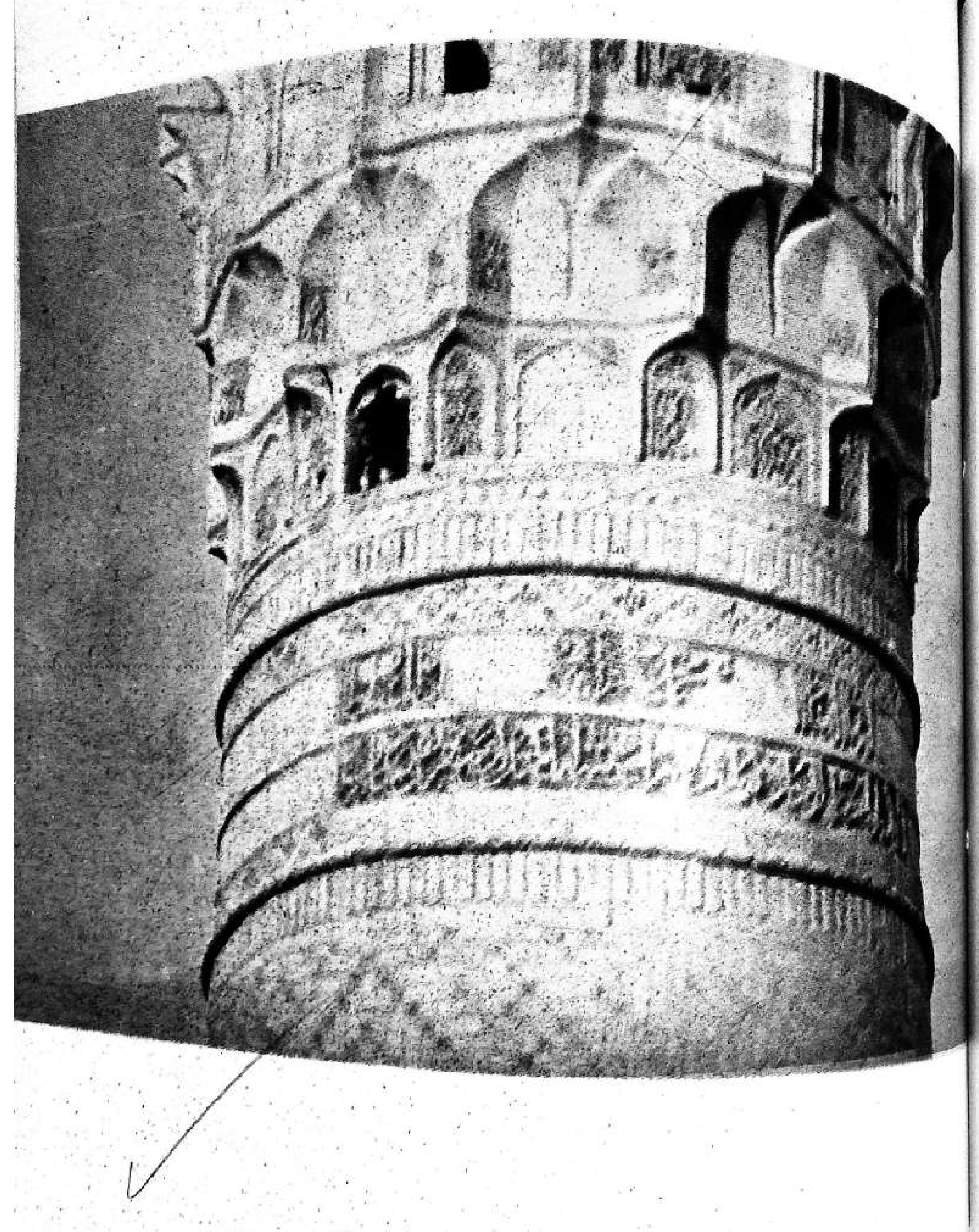
(لوح ٥٣) : مأذنة جامع الكفل .

التركيبي بين مقرنصات مأذنة جامع باب الدير ومقرنصات مأذنة جامع الخلفاء في بغداد . (لوح ٥٤) . تتكون مقرنصات الصـــف الاول من حنايا ذات عقود تبرز عقود عدد منها الى الامام بالتبادل مع اخرى ذات عقود غير بارزة وهذه الحنايا اوسع من الحنايا ذات العقود البارزة ويشكل امتـــداد الحنايا الواسعة تجويفة لمقرنصات الصف الثاني كل تجويفة حنيتان متجاورتان تبرز رؤوس عقديهما الى الامام ويفصل بين كل وحدة من هاتين الحنيتين شريط بارز يستند على رأس عقد الحنية في الصف الاول . اما مقرنصات الصف الثالث فتشبه في تكوينها مقرنصات الصف الاول في عدد الحنايا الضيقة في الصفين فهي واحدة في الصف الاول واثنتان في الصف الثالث حيث يكون رأس عقد كل منهما مسندا لطرف من طرفي الحنية التي تعلوها في الصف الرابع والتي تجاور حنية اعرض منها تضم في داخلها حنيتين متجاورتين اي ان عقد هذه الحنية مزدوجة .

تغطي التشكيلات الزخرفية بدن مأذنة الكفل على الرغم من سعة محيطه وأرتفاعه العالي نسبيا وتجمع هذه التشكيلات بين الاشكال الهندسية والعناصر النباتية والكتابات الكوفية والثلثية في تناسق وانسجام فريدين . وقـــد نفذت هذه التشـــكيلات بتقنيات متنوعة تشـــمل طرق القرون الســابقة والمعاصرة المبتكرة . فتارة نجد الاشكال الزخرفية مصنوعة من التفنن في صف الطابوق وتارة اخري نجدها معمولة بطريقة قص الطابوق ونجره في اشكال معينة ثم ترتيبه على طبقة جصية في الاشكال المطلوبة وتارة ثالثة نشاهدها مصنوعة بطريقة الحفر المفرغ على الاجر ، وأروع ما فيها ان الكتابات قد صبت في قالب هندسي تماما وبأوضاع مختلفة . ان هذه التشكيلات موزعة بهيئة اطلقة واشرطة وحواف تلف البدن وتحوله الى لوحـة فنية تكشـف عن الجهـود المبذولة في تكوينها ، وعما وصل اليه فن الرقش العربي من تقدم واتقان ، كما تظهر مدى قوة استمرارية فن الرقش العربي الذي بلغ عظمته خلال النصف



(مخطط ١٥) : تخطيط التشكيلات الزخرفية التي تزين مأذنة جامع الكفل



(لوح ٥٤) : المقرنصات التي تسند حوض مأذنة جامع الكفل .

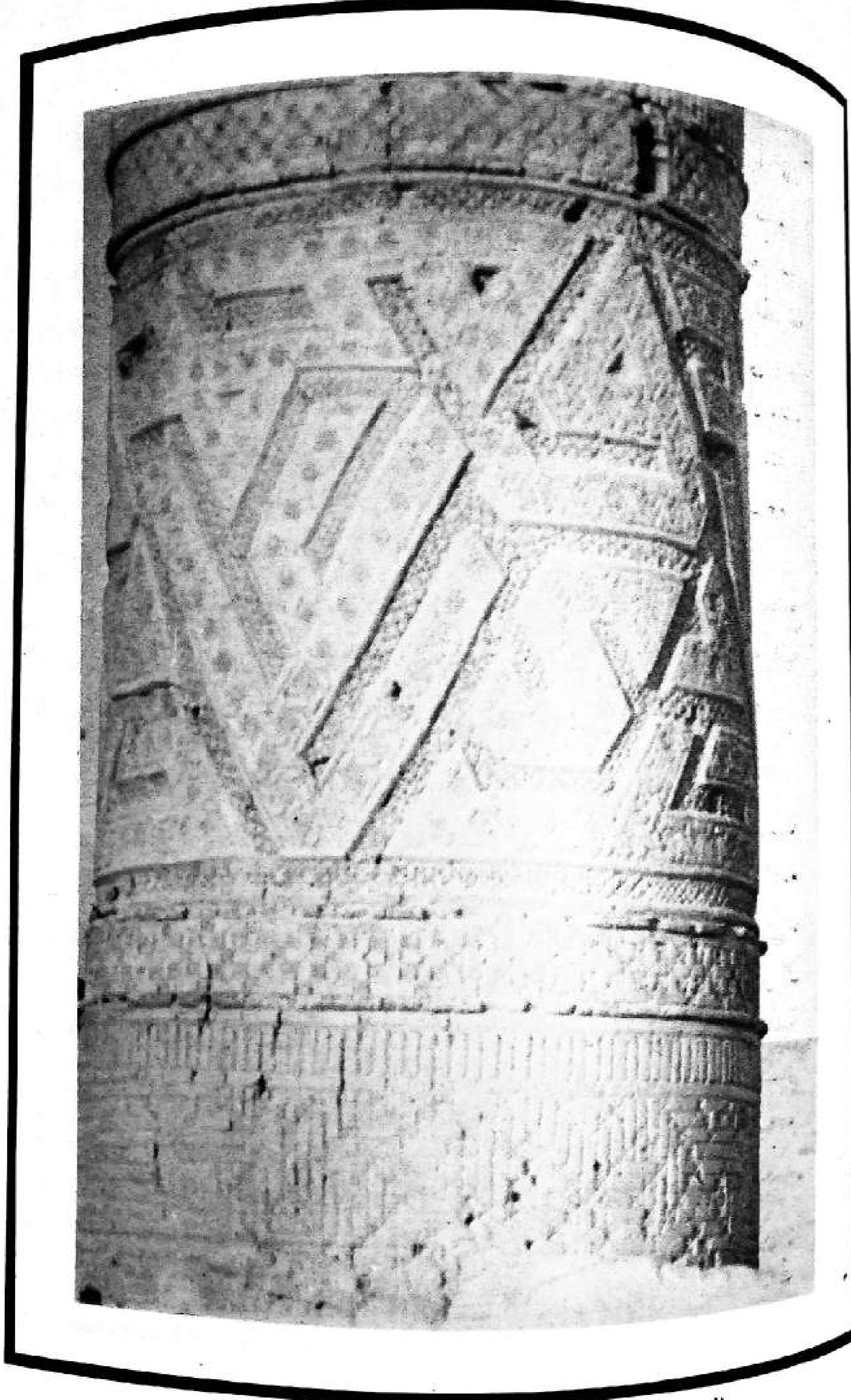
الاول من القرن السابع الهجري ، النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي .

تتوزع التشكيلات الزخرفية على ثلاثة انطقة تفصل بينها اشرطة ضيقة نسبيا . وتتباين هذه الانطقة في سعتها فتبلغ سعة النطاق الاول من الاسفل ١٫٥٠ متر والوسط ٣ امتار اما الاعلى فتبلغ سعة ١٫٨٠ متر . وتتألف تشكيلات الزخارف من اشكال معينية متقنة التكوين وناتجة من التفنن في صف الطابوق تظهر مستوية وقد حددت معيناتها بحواف نقش طابوقها بأشكال نجمية محفورة تفريغا . ويفصل النطاق الاول هذا عن النطاق الثاني شريطان احدهما يتوج النطاق وتشكيلته بسيطة وهي عبارة عن صف الطابوق بطريقة عمودية اما الشريط الثاني فمحفوف بحزامين مفتولين بارزين ومشغول بنقشة ذات أشكال صليبية أو نجمية ذات أربعة أطراف معمولة من قطع طابوق مقصوصة ومثبتة على طبقة جصية وبمستوى واحد (مخطط ١٥) .

واروع التشكيلات الزخرفية هي تلك التي تشغل النطاق الاوسط (لوح ٥٥) . وتتألف التشكيلة من كتابة كوفية من أربع كلمات هي :

« علي محمد حب ودي » رتبت بطريقة معينة لتشكل وحدة فنية تتكرر أربع مرات على نطاق البدن . وتبرز هذه التشكيلات بروزا واضحا عن مستوى ارضية ذات زخارف دقيقة مصنوعة بطريقة التفريغ على الاجر . ولم يكتف الفنان بذلك بل جعل وجوه الاحرف ذات مظهر مظفور معمول من التفنن في صف الطابوق ذي مراكز سداسية الاضلاع . وشغلت هذه المعينات بحشوات من وريدات سداسية الفصوص محفورة تفريغا على الاجر ايضا . وتكشف زخارف هذا النطاق عن الدقة في التداخل بين الاشكال الهندسية والكتابات والعناصر النباتية على مستويات متباينة .

ويفصل النطاق الاوسط عن النطاق الاعلى شريطان يتناظران تماما



(لوح ٥٥) : التشكيلات الزخرفية التي تزين بدن مأذنة جامع الكفل.

الشريطين اللذين يفصلان النطاق الاول عن الاوسط • ويمتد هذا التشابه ايضا الى النطاق الاعلى حيث تناظر تشكيلاته الزخرفية ، نوعا وتقنية تلك التي تشغل النطاق الاول • ويتوج النطاق الاعلى شريط ضيق مشغول بطابوق مصفوف عموديا • ويعلو ذلك شريط اخر عريض نسبيا محفوف بحزامين بارزين ومشغول بكتابات من سطرين على ارضية من الزخارف الدقيقة المفرغة وقد سقطت اجزاء كبيرة من كلمات الشريطين الكتابيين ويقرأ ما تبقى منها كالآتي الشريط الاسفل (الله تعالى طلبا لجزيل ثوابه الامير المعظم العادل ملك الامراء منشى العدل ومقرره حارس •••) اما السطر الثاني فيبقى منه : (السلطان الاعظم غياث الدنيا والدين • • • ناده محمد طاب ثراه السلطان ••) والكتابة هذه بخط الثلث كما ذكرنا اتفا •

ولم يحل الحوض والرقبة والرأس بتشكيلات زخرفية مثل مأذنة جامع الخلفاء • ولكن الرأس هنا مضلع وهو فريد بين رؤوس المآذن العراقية السابقة •

١٦ ـ جامع الكواز[1]

مرة اخري ، يجد الباحث نفسه في حيرة من امره حيث تنقطع سلسلة ابنية المساجد في العراق لفترة تزيد على القرن والنصف من الزمن • واقدم المساجد اللاحقة يعود في تاريخ بنائه الى الربع الاول من القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، ونعني بذلك جامع الكواز • ومن المفيد ان نذكر ان هذا الجامع واربعة اخرى لاحقة له تمثل المرحلة الاخيرة في فن تخطيط وبناء وتحلية المساجد • ويكشف التطور عن نفسه ، ليس في التخطيط والبناء والتصميم حسب بل في العناصر المعمارية وتقنية الزخارف الهندسية والنباتية والخطية • كما جاء في كتابة على لوحة رخامية مثبتة في المدخل ، لاستاذه الشيخ محمد

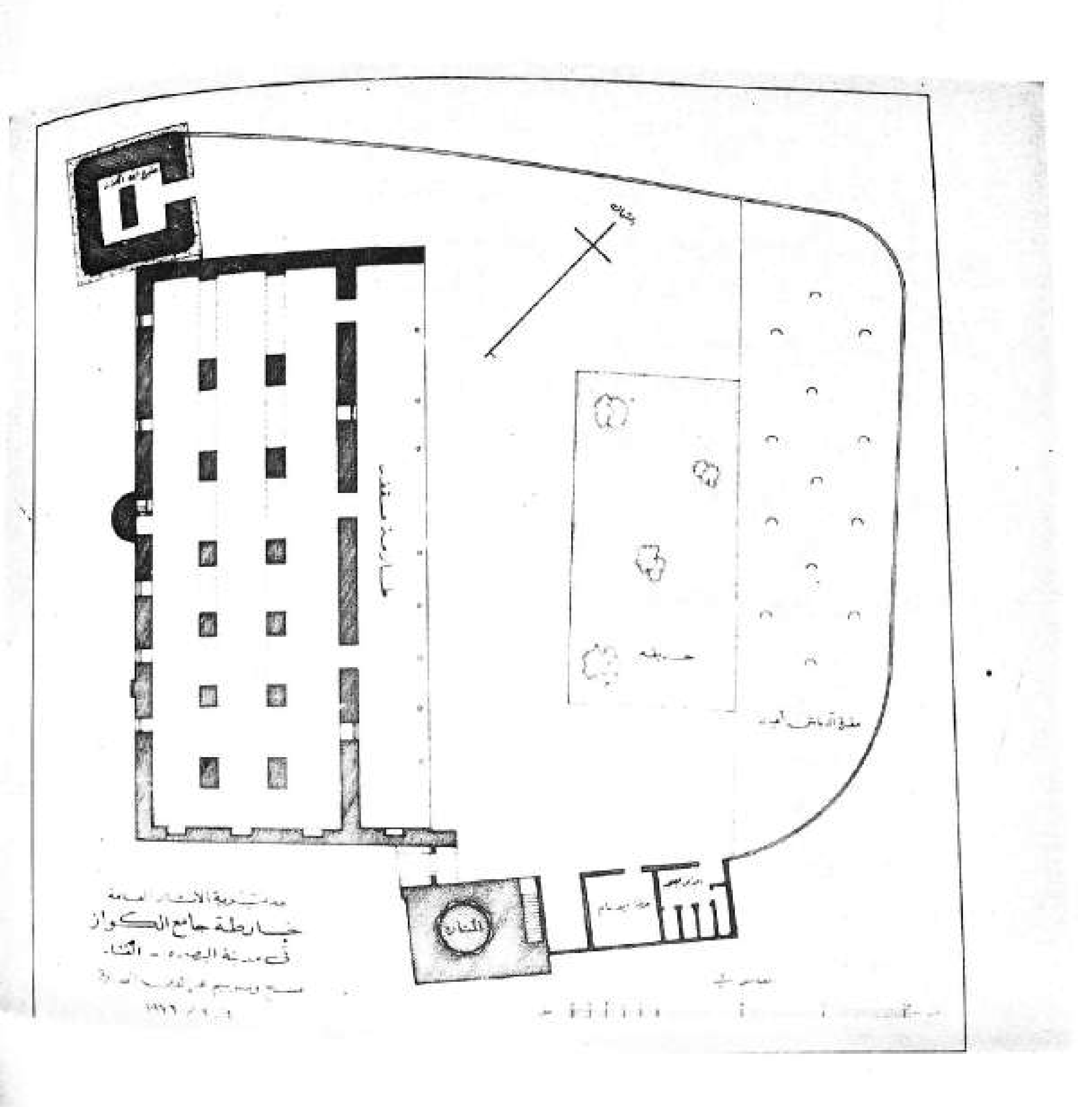
(١) دعي ، بهذا الاسم نسبة الى الشيخ محمد امين الكواز ، شيخ الطريقة الشاذلية ، ودفن الكواز في هذا الجامع في تربة ذات قبة سوف نذكرها في فصل المشاهد .

الاجرية المفرغة بل زاد الاقبال على التشكيلات المزججة ليس للمآذن حسب بل للقباب والمقرنصات ايضا •

يقوم جامع الكواز في محلة المشراق في البصرة • امر بتشييده الشيخ ساري بن الشيخ حسن الضاعن العبد السلام العباسي عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م ، كما جاء في كتابة على لوحة رخامية مثبتة في المدخل ، لاستاذه الشيخ محمد امين الكواز ويشغل هذا الجامع قطعة من الارض ذات شكل شبه منحرف تبلغ مساحتها ٢١٢٠ مترا مربعا ويتألف المسجد من بيت صلاة ، شتوي وصيفي ، ويحتل القسم الجنوبي الغربي منه ، وصحن واسع فيه مقبرة ، ومأذنة تحتل الركن الجنوبي الشرقي ثم مشهد يقع في الركن الجنوبي الغربي حيث دفن الكواز وعدد من تلاميذه • وقامت محافظة البصرة قبيل سنوات بتحرير جدران الجامع من الابنية الملتصقة به من الخارج وصار يتوسط ساحة واسعة بعد ان فتح الطريق الجديد الواسع الذي يخترق محلة المشراق •

وتخطيط مصلى هذا الجامع على نمط تخطيط جامع النوري في الموصل • فبيت الصلاة مستطيل الشكل ابعاده ٣٠ر٤٤ مترا من الشرق الى الغرب و١٧ مترا من الشمال الى الجنوب • ويتألف من مصلى شتوي ذي ثلاثة اساكيب وسبع بلاطات ومصلى صيفي ينفتح على الصحن بعدد من الفتحات (مخطط ١٦) •

شيد البناء جميعه بالطابوق والجص وجدران المصلى سميكة ومتينة وكذلك جدران المشهد وقاعدة المأذنة ويقوم سقف المصلى الشتوي على عقود مدببة تستند اطرافها على دعامات مستطيلة ضخمة موازية لجدار القبلة مثل العقود • وعدد دعامات المصلى هذا اثنتا عشرة دعامة ترتفع حوالي مترين فقط وسقف المسجد غير عال فهو لا يزيد على ٥ر٤ امتار • ويلاحظ ان سعة الاساكيب والبلاطات متساوية تقريبا حيث لا يزيد عرض بلاطة المحراب على البلاطات الاخرى كما ان اسكوب المحراب متساو في عرضه مع الاسكوبين الاخرين يتوسط المحراب جدار القبلة وتغور حنيته داخل الجدار ويبرز من



(مخطط ١٦) تخطيط جامع الكواز



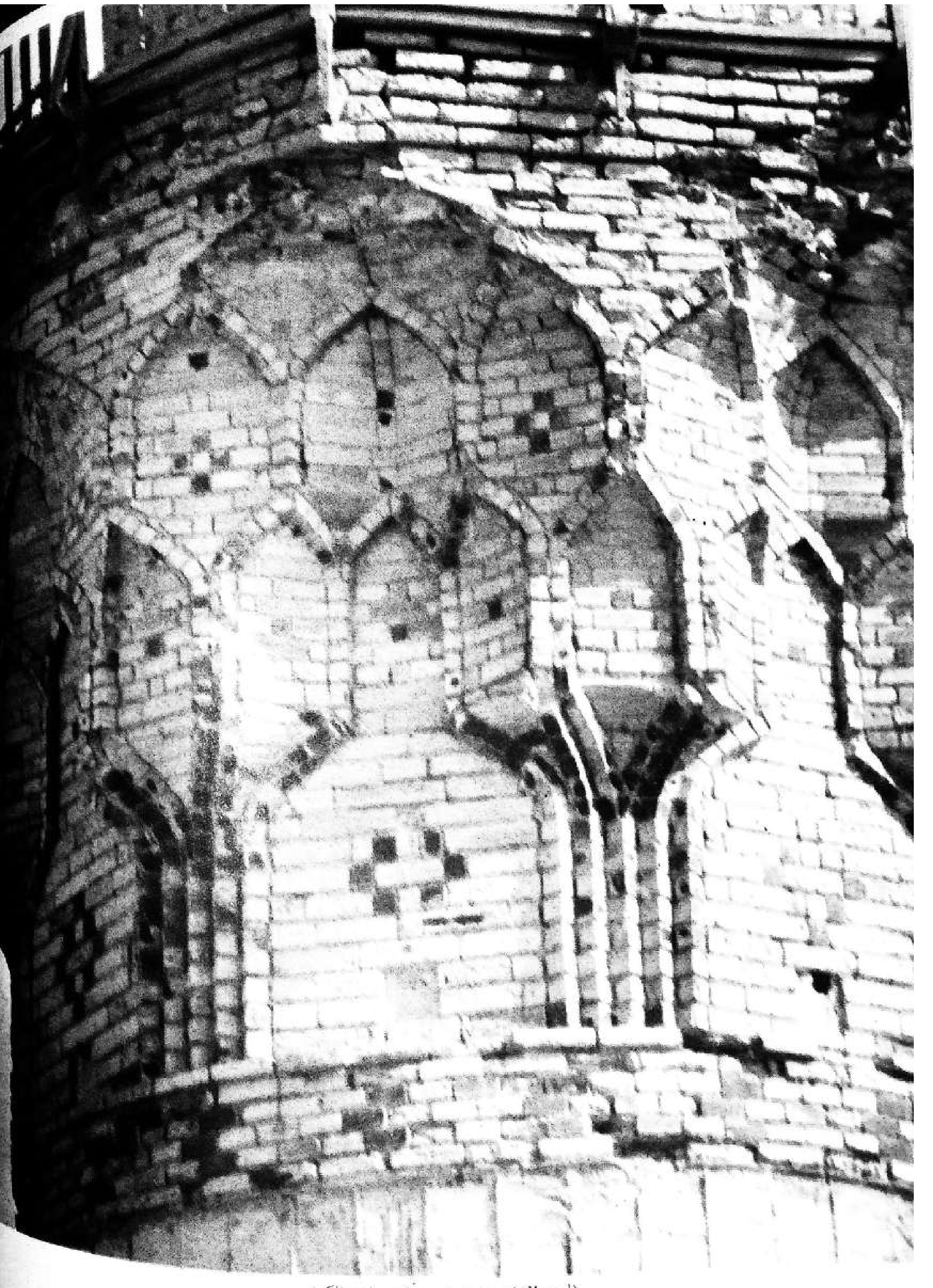
الخارج عن مستوى وجه جدار القبلة ويتوج حنية المحراب هذه عقد مدبب منفوخ • وتنفذ في جدار القبلة خمس نوافذ لتدخل النور اليه • والدخول الى بيت الصلاة يكون عن طريق ثلاثة ابواب يقابل احدها المحراب ويؤدي الثاني الى احدى البلاطات الغربية والثالث يقود الى احدى البلاطات الشرقية • ويكاد المصلى يخلو من الحلية الزخرفية ويبدو ان سقف المصلى الصيفي قد تهدم وتهدمت ايضا الدعامات التي كانت تسنده فاعيد تسقيفه بالاخشاب واستعملت ايضا اعمدة خشبية لحمل مقدمة السقف • ويطل المصلى الصيفي على صحن واسع تشغل المقبرة القسم الشمالي الشرقي منه •

وأهم ما في جامع الكواز مأذنته الجميلة التي تنتصب في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد • وتتميز برشاقتها وجمال تركيب مقرنصات حوضها وروعة التشكيلات الزخرفية المصنوعة من التفنن في صف الطابوق والقراميد المزجج • تجلس هذه المأذنة على قاعدة مربعة مشيدة بالحجر متينة البناء ضخمة المظهر • ويظهر ان طبيعة التكوين الجيولوجي للمنطقة هي الدافع الاساس لاستعمال مثل هذه القاعدة • واتبع المعمار الطريقة المعروفة في تحويل القاعدة الرباعية الى شكل يصلح لان يجلس عليه بناء دائري القاعدة فقام بتحويل القاعدة الى شكل مثمن واضح يعطي انطباعا بأن القاعدة تتألف من طبقتين مربعة ومثمنة • ويبلغ ارتفاع القاعدة خمسة أمتار • وبدن المأذنة اسطواني مشـيد بالآجر والجص يتوجه حوض يستند على صفوف مقرنصات بديعة • ويكون الصعود الى حوض المأذنة عن طريق سلم حلزوني يدور داخل البدن ويبدأ من سطح المسجد • ورقبة المأذنة رشيقة ايضا متوجة برأس نصف كروي مدببة قليلا ويبلغ ارتفاع البدن والرأس عشرة أمتار ليس الا (لوح ٥٦) •

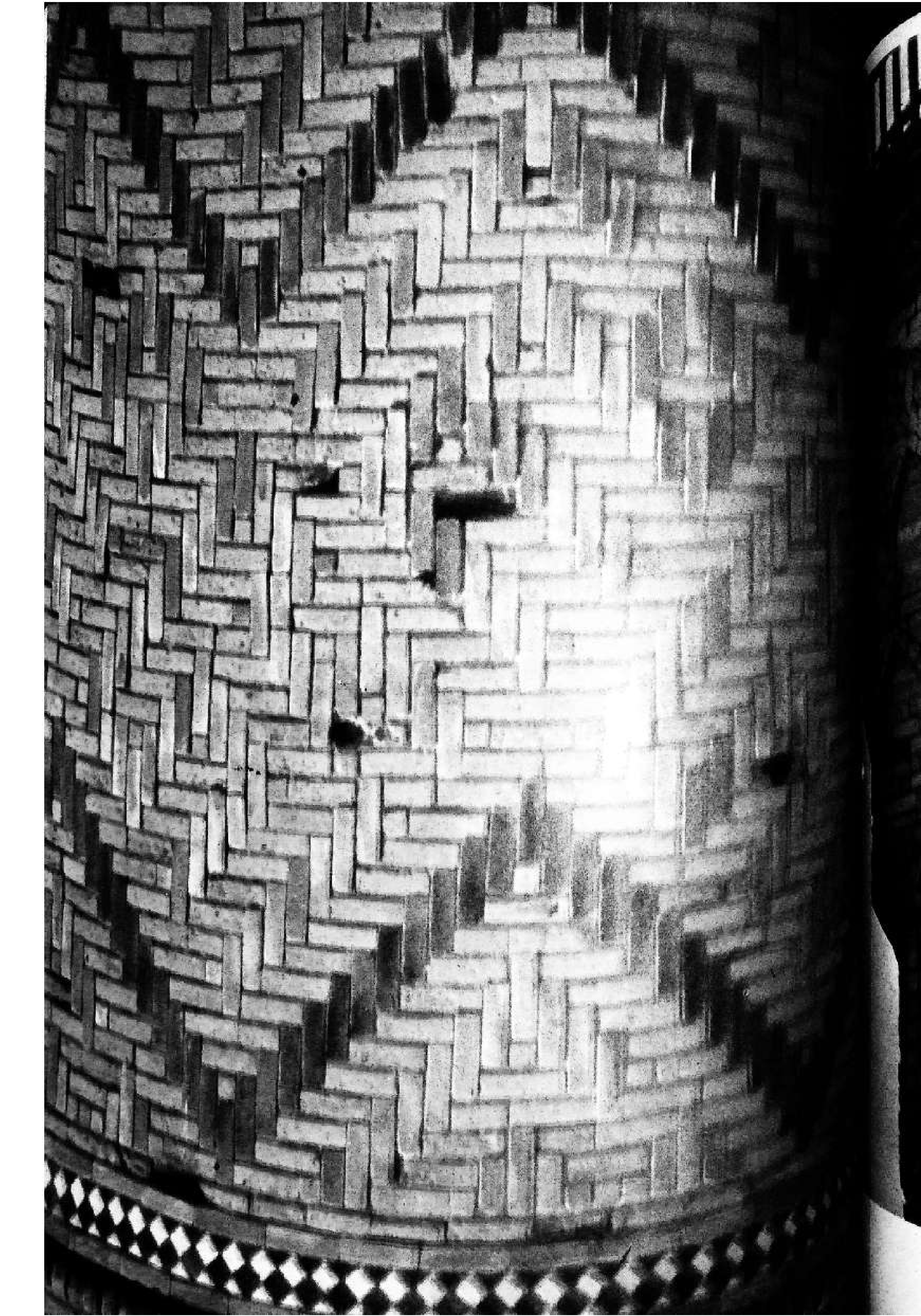
يظهر ان جدار حوض هذه المأذنة قد تهدم في وقت سابق فتم تسييجه بمشبك خشبي ويستدل من المقرنصات التي تسند قاعدة هذا الحوض وبقايا

حوافه انه كان مغطى بالتشكيلات الزخرفية مثل باقي اجزاء المأذنة . وتطورت حنايا المقرنصات فزاد تعقيد تركيبها وبرزت بجمال تكوينها . ومقرنصات مأذنة جامع الكواز مثال رائع لما وصل اليه هذا العنصر المعماري العربي من تطور وتقدم . تتألف المقرنصات هنا من ثلاثة صفوف فهي بسيطة لا تختلف عن مقرنصات عدد من المآذن السابقة في النصف الاول حيث تتبادل حنية واسعة رأسها غير بارز مع اربع حنايا ضيقة بارزة الاضلاع والرؤوس ويتألف الصف الثاني من وحدات ثلاثية المقرنصات تتبادل مع وحدة من حنية واحدة بارزة الى الامام وتتوج رؤوس الحنايا الاربعة في الصف الاول ويتوج الصفين صف ثالث وحدته متألفة من ثلاث حنايا الوسطى منها هي امتداد للحنيتين المستويتين من الصف الاول والثاني ولكن الثالثة بارزة الرأس الى الامام . ونتيجة لهذا التركيب الفني في صف الحنايا فأن المقرنصات هنا تظهر ، بصفوفها الثلاثة ، وكأنها متكونة من صف واحد وحدته الاساسية حنية ذات عقد مفصص مدبب تستند اطرافة على اعمدة مسننة طوليا . وشغلت بطون الحنايا بحشوات ذات اشكال معينية ناتجة من التفنن في صف الطابوق المزجج (لوح ٥٧) .

تحتل هذه المأذنة مكانة متميزة بين مآذن العراق بسبب روعة التشكيلات الزخرفية التي تغطي كامل بدنها ورقبتها ورأسها وبطريقة تطغى فيها التشكيلات المزججة خصوصا بعد انقطاع هذا النوع من التحلية في العصر الايلخاني وما بعده ولفترة تزيد على قرنين . وقد ذكرنا بدايات هذا الاتجاه في عدد من مساجد الموصل وبغداد والتي تعود في تاريخها الى نهاية القرن السادس والنصف الاول من القرن السابع الهجريين . تتوزع التشكيلات الزخرفية على البدن بهيئة انطقة واشرطة وحواف بارزة . ان التكوين العام لهذه التشكيلات يشابه الى حد كبير ، التشكيل الزخرفي لمأذنة جامع الكفل ، ولكن التقنية في عمل الزخارف تختلف عن تلك المتبعة في عمل زخارف مأذنة الكفل في أكثر من جانب . ويمكن التعرف على اوجه الشبه في عدد الانطقة الزخرفية وسعة



(لوح ٥٧) : مقرنصات مأذنة جامع الكواز



الاوســـط منهـا ، واسـتخدام الكتابات الكوفية بحروف كبيرة لتحلية النطاق الاوسط ، ووجود شريط من كتابات يتوج البدن بالاضافة الى تحشية حنايا المقرنصات بأشكال زخرفية • اما الاختلاف فيتضح في تقنية عمـل الزخارف • فلم يستعمل الحفر المفرغ لبعض العناصر الزخرفية ، او التباين في المستويات • فتشكيلات مأذنة جامع الكواز الزخرفية على مستوى واحد ويغلب فيها الطابوق المزجج والقراميد على الطابوق العادي •

تشغل النطاق الاول تشكيلة هندسية ذات اشكال معينية متداخلة وناتجة من التفنن في صف الطابوق المزجج وغير المزجج • وتشـكيلة معينات هذا النطاق الاول في مأذنة الكفل ومأذنة اربيل • ولكن طابوق هذا النطاق مزجج بلون ازرق شذري مثل طابوق قبة جامع مجاهد الدين وطابوق مأذنة اربيل ويفصل هذا النطاق عن النطاق الاوسط شريط مشغول تماما بزخارف ذات اشكال هندسية وجميع طابوق هذا الشريط مزجج وبلونين اسود وابيض • ويتوج هذا الشريط الضيق حافة بارزة مفتولة مثل حافة مأذنة الكفل ، وتفصل هذه الحافة بين الشريط الاسفل وشريط اخر ضيق مشغول بقراميد مزججة مربعة مصفوفة عموديا وملونة بلونين اسود وابيض •

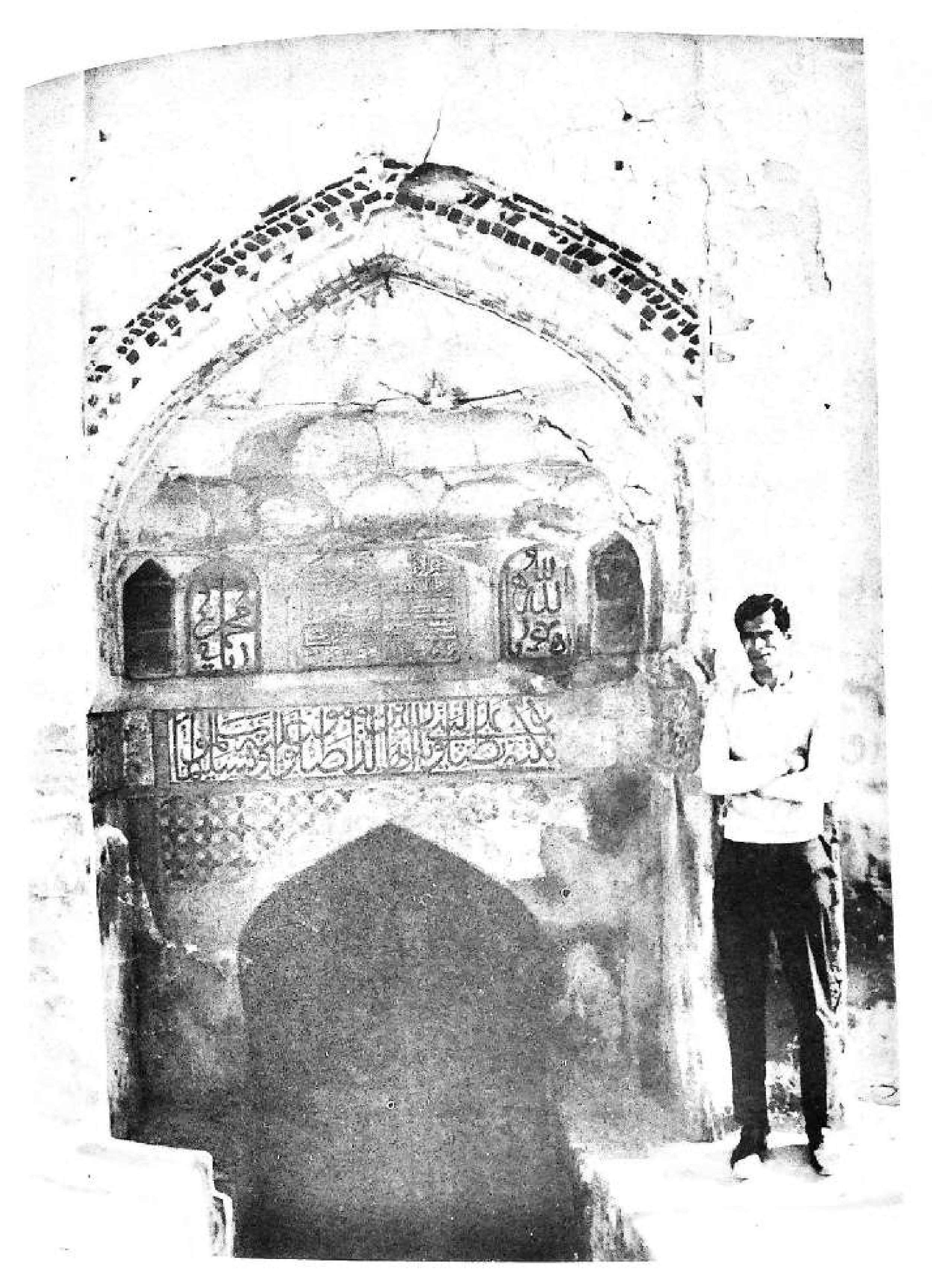
والنطاق الاوسط اهم هذه الانطقة من حيث سعته وجمال التشكيلات الزخرفية التي تشغله (لوح ٥٨) • فتتألف أشكاله من كتابات كوفية عبارة عن كلمات مرتبة بأشـكال معينة لتناسب الشريط المتموج المسنن الذي يشغل الجزء الاعظم من هذا النطاق ، والمحدد بطابوق مزجج بلون اسود • اما الكتابات فقد جعلت حروفها بطابوق مزجج بلون شذري • ويطغى الطابوق المزجج في هذا النطاق ايضا على الطابوق العادي ويتوج هذا النطاق شريط من قراميد مربعة سوداء وبيضاء ، رتبت بنفس الطريقة التي رتبت فيهـا في الشريط الاسفل ، كما وتجاور هذا الشريط حافة بارزة مفتولة • وتشكيلات النطاق الثالث معينية ايضا ولكن حواف معيناتها محددة بقرميد مربع مزجج

بلون اسود ويشغل كل معين منها شكل صليبي يتألف من اربع قراميد مثل تلك التي تزين معينات مأذنة جامع قمرية • ويتوج هذا النطاق شريط سقط طابوقه او قراميده ويظهر انه كان مشغولا بكتابات تذكارية على نمط مأذنة جامع الكفل وما تبقى منه يكشف ان الكتابات معمولة تزجيجاً وبخط كوفي جميل • ويفصل هذا الشريط عن الحافة البارزة التي تفصل بداية المقرنصات عن تشكيلات البدن الزخرفية شريط اخر مشغول بتشكيلات زخرفية معمولة بالتفنن في صف الطابوق المزجج •

وتغطي التشكيلات الزخرفية ايضا الرقبة والرأس وتتألف من اشكال معينات واشكال هندسية اخرى نفذت بطابوق مزجج بلون ازرق شذري • ويغطي الطابوق المزجج الرأس تماما • ويلاحظ بصورة عامة ان القراميد المزججة قد استخدمت في تشكيلات هذه المأذنة الزخرفية وهذه هي المرة الاولى التي تستخدم فيها القراميد التي تختلف عن الطابوق في سمكها وهي بصورة عامة عبارة عن الواح مربعة مزججة •

وتجدر الاشارة هنا الى ان مديرية الاثار العامة قد اوفدت هيئة فنية لصيانة قاعدة المأذنة وما تلف من بدنها اما الدخول الى المسجد فيكون عن طريق باب يقع بين المأذنة والركن الشمالي الشرقي من المصلى الصيفي وتربط بينهما • والمدخل بهيئة ايوان ذي واجهة مستطيلة ويتوج الباب ، التي تخترقها حنية ذات عقد مدبب منفرج مثل عقد الباب • وتشغل الحنية هذه كتابات بخط جميل ومقرنصات زخرفية كما زينت كتفي عقد الباب اشكال هندسية معمولة بترتيب ألواح قاشانية بطريقة فنية (لوح ٥٩) •

(لوح ٥٨): القسم الاوسط من المأذنة .



(لوح ٥٩) : مدخل جامع الكواز

١٧ - جامع المــرادية

تزخر بغداد الشرقية القديمة بعدد من المباني الاثرية التي تشير الى اهمية هذه المدينة وقيمتها في حقل العمارة العربية الاسلامية • ففيها يقوم جامع المرادية والخاصكي والعاقولي والحيدرخانة والحظائر وفيها ايضا المدرسة المستنصرية والشرابية والمرجانية ومشهد الشيخ عبد القادر والسهروردي وبناية القشلة والقلعة وغيرها •

يطل جامع المرادية على شارع الرشيد من جهة اليسار وفي مكان يقابل وزارة الدفاع تقريبا • وقد دعي بهذا الاسم نسبة الى مراد باشا والي بغداد ، ٩٧٤ - ٩٨٢هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٤م ، في عهد السلطان سليم الثاني العثماني • ويظهر ان الجامع قد اصيب ببعض التخريب حيث جدد عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١م ثم رمم ثانية عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م • كما اجريت فيه ترميمات اخرى بعدهذا التاريخ • ويظهر ان هذه التجديدات والترميمات لم تؤثر على تخطيطه وعمارته وزخارفه الاصلية ، انما كانت عبارة عن تكسيات أو اضافات او تبديلات للقراميد والطابوق التي تلفت نتيجة للعوامل الطبيعية مثل المطر وحرارة الشمس وغيرها •

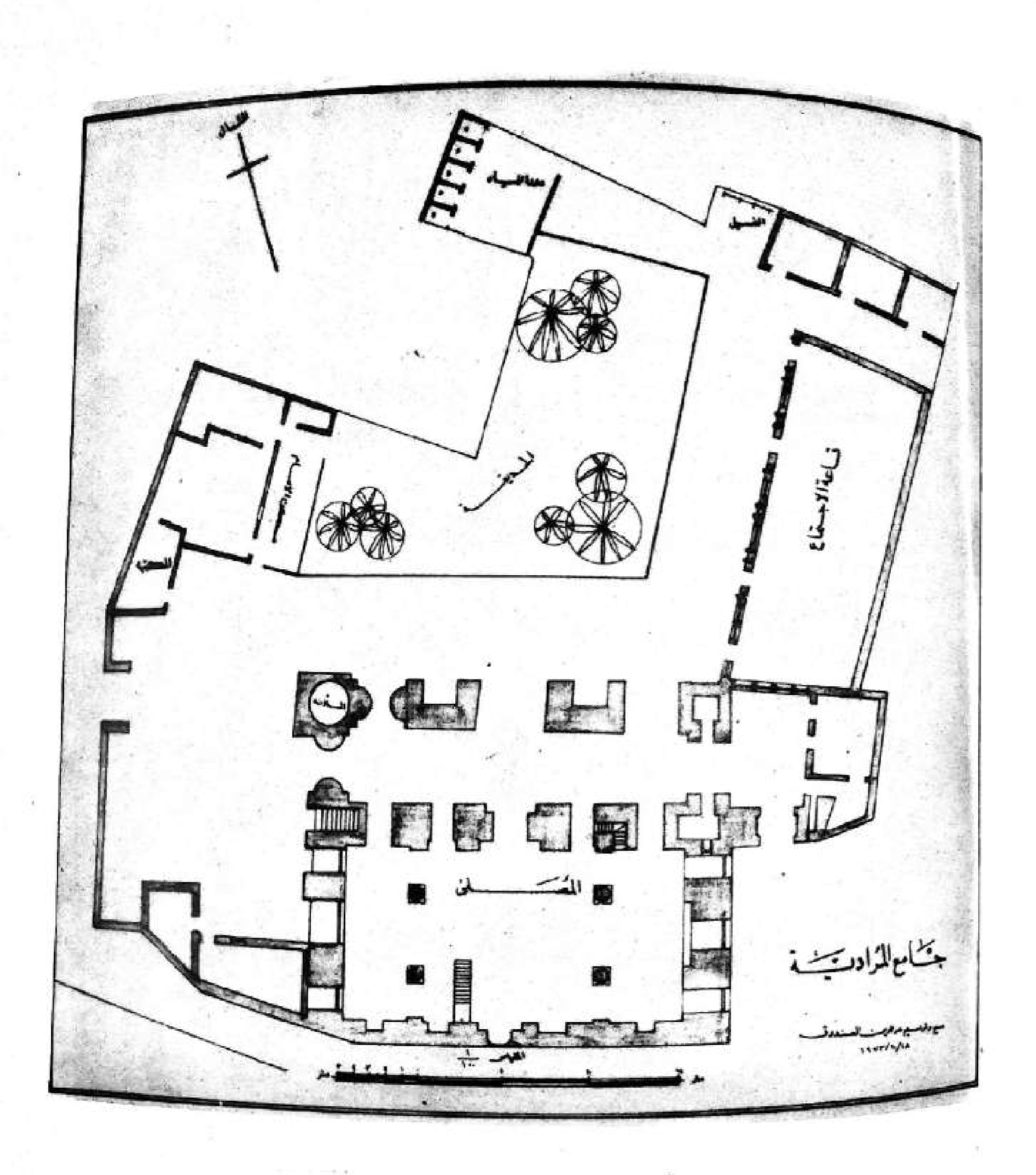
يحتل هذا المسجد قطعة ارض واسعة نسبيا ، غير منتظمة الابعاد ، ويشغل المصلى القسم الجنوبي الغربي منها ويطل على صحن واسع من الجهة الشمالية والشرقية وقد انشئت مرافق في الصحن وهي قاعة اجتماعات ومكتبة ودار سكن للامام ومرافق اخرى تتوزع على جدران الصحن وتطل على حديقة تشغل حيزا واسعا من الصحن •

تخطيط جامع المرادية يتشابه مع تخطيط جامع مجاهد الدين في الموصل ، او هو على نمطه ، مع اختلاف بسيط في التفاصيل فقط • وبيت الصلاة مستطيل الشكل ابعاده ٢٥×١١ مترا ، يتألف من ثلاثة اساكيب وثلاث بلاطات وبلاطة المحراب عريضة جدا اذا ما قورنت مع البلاطتين المجاورتين فهي بعرض عشرة أمتار أما عرض كل من البلاطتين المجاورتين فيبلغ أربعة أمتار • وتختلف سعة

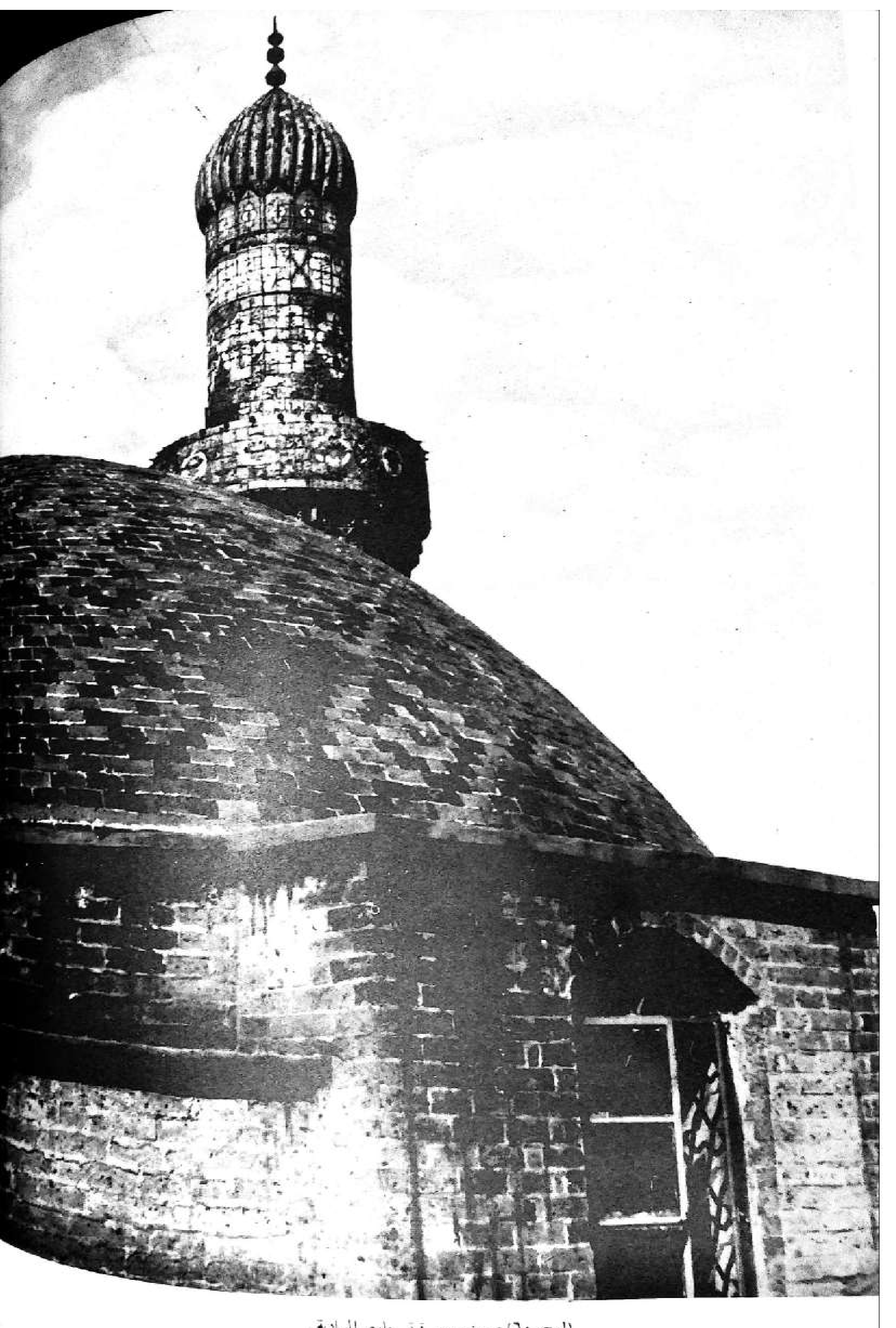
الاساكيب ايضا فسعة الاسكوب الاوسط ٥ر٢ متر اما الاخران فيبلغ سعة كل منهما مترين • وهذه سمات تخطيط المصلى الشتوي فقط • اما المصلى الصيفي فيتألف من اسكوب او رواق واحد عريض نسبيا ، اي اعرض من اي من اساكيب المصلى الشتوي ، وينفتح على الصحن بثلاث فتحات من الجهة الشرقية وفتحة من الجهة الشمالية الغربية واخرى من الجهـة الجنوبيـة الشرقية (مخطط ١٧) •

بناء الجامع متين فهو مشيد بالطابوق والجص عدا المأذنة فانها مبنية بالحجر • وجعلت جدران المصلى الشتوي سميكة لتتحمل ثقل وضغط القباب التي تسقف هذا المصلى • وتجلس قواعد هذه القباب على جسور تحملها عقود مدببة ترتكز اطرافها على اربعة اعمدة رخامية اسـطوانية ، قطر كـل منهـا ٧٠ سنتيمترا ، تجلس بدورها على قواعد مربعة ، طول ضلعها متر واحد • وعقود المصلى توازي جدار القبلة وتحمل جدران بيت الصلاة سبع قباب اكبرهـا واعظمها قبة بلاطة المحراب • وترتفع هذه القبة فوق قسم مربع من بيت الصلاة نتج عن تصميم الاساكيب والبلاطات بطريقة معينة مثل جامع مجاهد الدين ولكن في جامع مجاهد الدين تقوم عقود البلاطات على دعامات ضخمة جدا تشغل حيزا غير صغير من المصلى وتؤثر على علاقة البلاطتين المجاورتين ببلاطة المحراب • اما في مصلى هذا الجامع فالعلاقة طبيعية ولا تحجز الاعمدة الاربعة التي تحمل العقود حيزا كبيرا في المصلى • ومع ذلك فالعلاقة بين التصميمين واضحة جدا وجوهرية حيث تغطي القبة كامل بلاطة المحراب ويبلغ قطرها هنا ٥ر٩ امتار ولكنها اقل ارتفاعا من قبة جامع مجاهد الدين • وسبب ذلك يعود الى قصر بناء المرحلة التحويلية وقصر الرقبة ايضا • وشكل قبة جامع المرادية نصف كروية مفلطحة ومدببة قليلا وتخلو قاعدتها من النوافذ • زينت هذه القبة من الداخل بشريط يدور حول رقبتها ومشغول بكتابات قرآنية هي آية الكرسي • اما من الخارج فمغطاة بقراميد قاشانية خضراء مزرقة مصـفوفة بطريقة فنية تشكل معينات متصلة • ويحتمل ان كسوة القبة هذه مجـددة (لوح ٦٠) •

تغطي كلا من البلاطتين المجاورتين ثلاث قبـــاب مفلطحة أيضا ، قطر الوسطى في كل مجموعة أكبر من قطر كل من القبتين المجاورتين . وبيت



(مخطط ١٧) تخطيط جامع المرادية



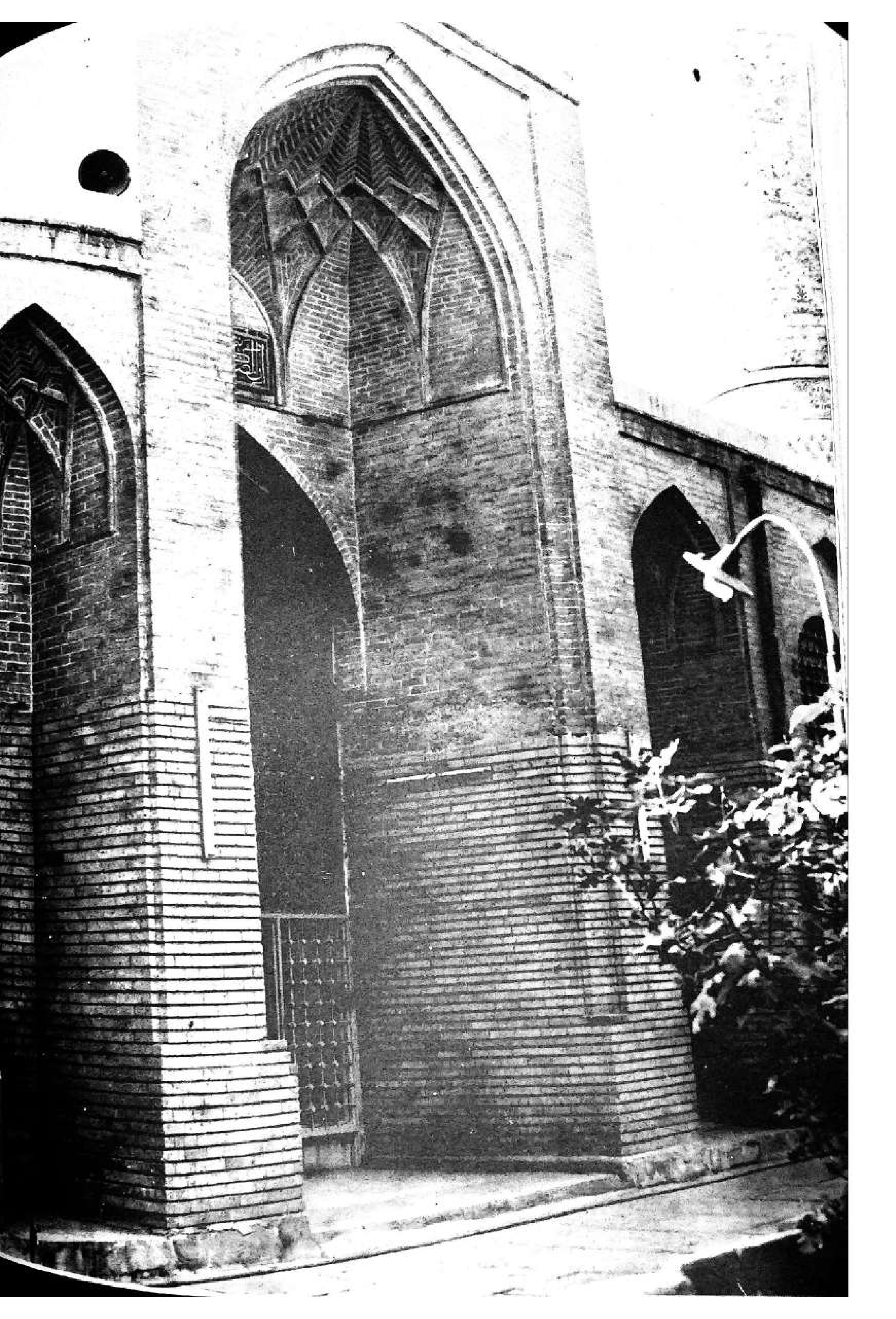
(لوح ٦٠): جزء من قبة جامع المرادية.

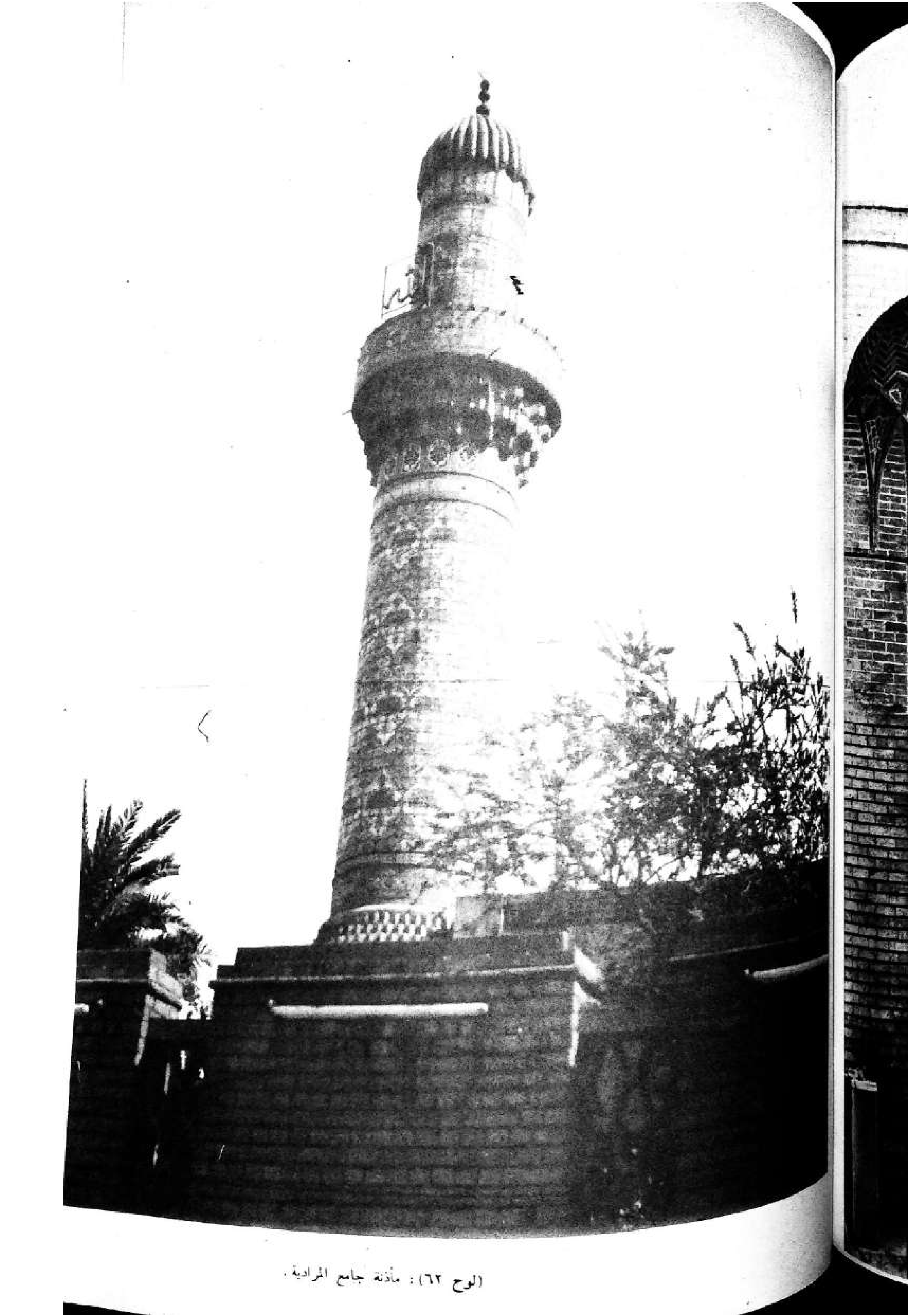
الصلاة هذا مكسو بالجص وكذلك المصلى الصيفي • وتتوسط حنية المحراب جدار القبلة وتغور فيه • وعقد هذه الحنية مدبب ويقع المنبر الى يمينها • وتتخلل جدران المصلى الشتوي عدد من الحنايا المستطيلة والنوافذ ويمكن الدخول اليه عن طريق باب يتوسط الجدار الشمالي الشرقي ويقع على الخط المحوري لمحراب المصلى •

اما المصلى الصيفي فتقوم عقود بوائكه على دعامات ضخمة مستطيلة مصممة بطريقة معينة بحيث تشغل الواجهات الامامية منها حنايا مستطيلة تطل على الصحن • ويطل المصلى على الصحن بثلاث بوائك ذات عقود مدببة ويمكن الدخول الى هذا المصلى ايضا من الجانبين الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي (لوح ٦١) •

تحتل المأذنة الركن الشمالي الغربي من المصلى الصيفي وتتصل به من جهتين فقط ويشكل الاتصال هذا انصاف اعمدة اسطوانية تندمج في جداري قاعدتها الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي • وقاعدة هذه المأذنة مربعة طول ضلعها ٣٫٥ امتار وترتفع القاعدة بارتفاع سطح المصلى الصيفي •وبدنها اسطواني رشيق حيث يبلغ قطره ٢٫٥ متر ويخترقه سلم حلزوني يبدأ من فوق سطح المصلي ويؤدي الى الحوض الذي يستند على اربعة صفوف من المقرنصات والرقبة رشيقة ايضا ومتوجة برأس بصلي الشكل مضلع ومدبب وتبرز قاعدته قليلا عن مستوى وجه جدار الرقبة يسنده صف من المقرنصات البسيطة (لوح ٦٢) •

كسيت مأذنة جامع المرادية تماما بالقراميد القاشانية ذات الزخارف النباتية وبألوان مشرقة وبراقة • وتمثل هذه القراميد ظاهرة جديدة من مظاهر التشكيلات الزخرفية التي تجمل المساجد العراقية فلأول مرة يستغني عن الاشكال الهندسية الناتجة من التفنن في صف الطابوق وتحل محلها زخارف نباتية مرسومة بدقة وعناية على قراميد قاشانية وقبل ان ترتب على المأذنة •





(لوح ٦٢) : مأذنة جامع المرادية .

فهنا اختلاف في التقنية حيث ترسم اشكال بالمادة المزججة على اواح مربعة وغير سميكة وعلى ضوء تصميم معين ينقله الفنان على اكثر من لوحة واحدة وقد يتجاوز عددها المائة في بعض الاحيان • وبعد اكمال عملية تزجيجها ترتب في المكان الذي اريد لها ان تزينه سواء على وجه جدران مأذنة او قبة او جدار حيث تتكرر التشكيلة حسب التصميم ونجد في قراميد هذه المأذنة القاشانية نقلة نوعية مهمة في فن التحلية والتجميل في الفن العربي الاسلامي •

قسم بدن مأذنة جامع المرادية الى اقسام حددت بحواف مفتولة بارزة • وتحدد اثنتان من هذه الحواف شريطا ضيقا يطوق بداية البدن ويفصل بين القاعدة وبدنها • اما الجزء الاعظم من البدن فمشغول بنطاق واسع تتكرر فيه التشكيلات الزخرفية النباتية المؤطرة كل وحدة منها باطار معين وبهيئة صفين تختلف الالوان فيهما فقط ويفصله عن بداية مقرنصات البدن شريط ضيق يناظر الشريط الاسفل في سعته وتحليته وحوافه ، ويتوج هذا الشريط شريط ضيق اخر مشغول تماما بتشكيلات زخرفية جميلة •

يجلس الحوض على اربعة صفوف من المقرنصات بسيطة في تركيبها جميلة في مظهرها ومشغولة حناياها بقراميد قاشانية مزخرفة وزين وجه الحوض تماما مثل البدن ، وغطيت الرقبة بنفس النوع من التشكيلات الزخرفية التي تغطي البدن ويطوق القسم العلوي منها نطاق ذو حافتين بارزتين تتصل به مباشرة اطراف مقرنصات قبة الرأس • وقد شغلت حنايا هذه المقرنصات بقراميد قاشانية مزخرفة ايضا • وكما سنرى فأن الاقبال ازداد على هذا النوع من الاشكال الزخرفية ذات التقنية الجديدة خصوصا في المساجد البغدادية اللاحقة •

يمكن القول ان هذه المأذنة هي اجمل مآذن بغداد من حيث رشاقتها وتقنية تشكيلاتها الزخرفية وجمال مقرنصاتها ووجود مقرنصات تسند قاعدة رأسها • ويزيد في اهمية ذلك ان مصلى هذا الجامع هو نموذج لعدد من مساجد القرن السادس الهجري ومساجد القرون اللاحقة وما زال طرازه هو السائد الى يومنا هذا •

جامع الخاصكـــي

يقوم هذا الجامع اليوم في محلة رأس القرية ، وهي من محلات بغداد الشرقية القديمة المشهورة ، وعلى درب ضيق يوصل بين شارع الرشيد وشارع المتنصر • امر بتشييده عام ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م محمد باشا الخاصكي فدعي باسمه • ولم تمض سنوات قليلة على اكمال بنائه حتى جدد بامر الوزير اوزون الطويل ابراهيم باشا • ورمم بعد ذلك مرتين مرة عام ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م حيث جددت زخارفه • وجدد الجامع أيضـا وكان ذلك بأمر محمد بك السلامشور السلطاني ، ومرة اخرى عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م حيث عمر الجامع حسب رواية وردت بشأن ذلك ، ويكشف بناء الجامع اليوم ان التجديدات قد شملت تغيير سقف بيت الصلاة بصورة عامة • ويحتمل جدا ان المأذنة قد اعيد تغطيتهـا بتشكيلات زخرفية ولكن لا نستطيع ان نحدد تاريخ هذه التغييرات حيث لم تذكر النصوص الخاصة بالتجديد ابعاد عملية التجديد هذه او الاجزاء التي تم تجديدها • ومثـل بقية مسـاجد بغداد او العراق فان التجديدات لم تغير القضايا الاساسية مثل التخطيط او اعادة البناء بصورة تامة بل اقتصر على اعادة بناء ما قد تهدم أو اضافة ابنية جديدة في صحن المسجد واعادة اكساء الاجزاء التي تعرضت كسوتها الى التخريب •

يشغل جامع الخاصكي قطعة من ارض مربعة الشكل طول ضلعها ٣٥ مترا • ويتألف من بيت للصـلاة وصـحن ومأذنة مثـل اغلب الجوامع العراقية • وتخطيطه لا يختلف في شيء عن بقية الجوامع المعاصرة الا ان شكل بيت صلاته الشتوي مربع طول ضلعه ١٥ مترا ويتألف من اسكوبين وثلاث بلاطات • اما المصلى الصيفي فمستطيل ويتكون من رواق او اسكوب واحد ينفتح على الصحن بثلاث فتحات ايضا • ونمط تخطيط هذا الجامع يشبه تخطيط جامع النوري في الموصل • يحتل بيت الصلاة هذا الجزء الجنوبي

الغربي من ارض المسجد وشيد البناء بالطابوق والجص وهو متين المظهر سميك الجدران خصوصا بيت الصلاة حيث يبلغ سمك جدرانه ٨٠ سنتيمترا، ويغطي المصلى سقف مستو يستند الى جسور بنائية تجلس على اربعة إعمدة اسطوانية رخامية تقسم المصلى الى قسمين من الشمال الى جنوب ويلتصق احدها في الجدار الشمالي الغربي والاخر في الجدار الجنوبي الشرقي • ويقسم خط الاعمدة هذا والمصلى الشتوي الى ثلاث بلاطات واسكوبين ،كما ذكرنا ، ويبلغ عرض كل من البلاطات أربعة أمتار، أما عرض كل من الاسكوبين فيبلغ ٣٠ر٤ امتار •

يتوسط المحراب جدار القبلة فيه وهو مجوف ذو خمسة وجوه ويغور في الجدار بمقدار متر واحد فقط وعقد حنيته مدبب ، وهو اصيل ويحتمل جدا ان وجوهه الخمسة تشير الى الصلوات الخمس ونجد مثل هذا المحراب في عدد من جوامع بغداد • وبيت الصلاة يكاد يخلو من الزخارف وغطيت جدرانه بالجص • ويتصل المصلى الشتوي مع بيت الصلاة الصيفي عن طريق ثلاثة ابواب يتوسط احدها الجدار الشرقي ويقع على الخط المحوري للمحراب • اما المصلى الصيفي فيطل على الصحن بثلاث بوائك ناتجة من صف من اربع اعمدة رخامية اسطوانية مثل اعمدة بيت الصلاة الشتوي ، تجلس على قواعد مربعة • وسقف بيت الصلاة لا تسنده عقود بل هو مستوي مثل سقف بيت الصلاة الشتوي وهو مجدد كما ذكرنا ، وهناك محراب يجاور الباب الوسط في هذا المصلى ويوجد مثل هذا المحراب في كل معظم المساجد من هذا الطراز • ويحتضن الصحن بيت الصلاة من الجهة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية •

ومأذنة جامع الخاصكي رشيقة في قوامها جميلة في مظهرها ، تنتصب في الركن الجنوبي الشرقي من بيت الصلاة وتلتصق به من الخارج وهي متوسطة الطول يرتفع رأسها عن مستوى سطح الارض ١٥ مترا فقط • ويجلس بدنها

الاسطواني الشكل على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٫٥ مترا والحقيقة ان البدن لا يجلس مباشرة على سطح القاعدة المربع بل هناك مرحلة انتقالية ، كما هو الامر في مأذنة جامع قمرية ، حيث حولت القاعدة المربعة الى قاعدة دائرية عن طريق تحويل الشكل المربع الى شكل مثمن ثم دائري • ويخترق البدن سلم حلزوني يبدأ من سطح المسجد وينتهي بحوض المأذنة الذي يتصف ببروزه الواضح عن مستوي وجه البدن وجلوسه على ثلاثة صفوف من المقرنصات الجميلة • ورقبة هذه المأذنة طويلة وغليظة نسبيا اذا ما قورنت مع رقاب بعض مآذن بغداد السابقة • ويتوجها رأس مقبب مضلع مدبب قليلا تبرز حافة اضلاعه قليلا عن مستوى وجه جدار الرقبة حيث يسندها صف من المقرنصات مثل رأس مأذنة جامع المرادية • والحقيقة ان هذه المأذنة قريبة الشبه في تكوينها العماري وبعض عناصرها المعمارية من مأذنة جامع المرادية • ولكنها تختلف عنها في تقنية التشكيلات الزخرفية التي تحليها (لوح ٦٣) •

ومما تجدر الاشارة اليه ان مقرنصات هذه المأذنة جميلة في تكوينها ولا تتشابه تماما مع اى من مقرنصات احواض المأذن السابقة • فيتألف الصف الاول منها من سلسلة حنايا ذات وجوه مستوية ورؤوس بارزة جميعها الى الامام ايضا ولكن بمستويين مختلفين ومقرنصات الصف الثالث زوجية وفردية ، متبادلة مع مقرنصات الصف الثاني حيث تعلو المقرنصة الفردية في الصف الثاني مقرنصة مزدوجة في الصف الثالث وتعلو المقرنصة الزوجيه فى الصف الثاني مقرنصة فردية في الصف الثالث • وتبرز رؤوسها جميعا الى الامام • وقد تمكن المعمار من اسناد الحوض البارز باستعمال ثلاثة صفوف من المقرنصات تبرز رؤوس جميعها تدريجيا الى الامام •

وابرز ما يميز مأذنة جامع الخاصكي التشكيلات الزخرفية التي تغطي كامل البدن والحوض والمقرنصات والرقبة والرأس وجزء من وجوه المرحلة التحويلية التي تصل البدن بالقاعدة • وتتصف هذه التشكيلات بدقة تكوينها واتقان تركيبها وتناسقها ، وقد عملت من التفنن في صف الطابوق المزجج



(لوح ٦٣) : مأذنة جامع الخاصكي.

وغير المزجج ، وتتنوع الاشكال فيها ما بين مضلعات واشكال هندسية مختلفة وكتابات كوفية في اوضاع مختلفة تشغل اشكالا هندسية • وجعلت التشكيلات هذه بمستوى واحد واستخدام اكثر من لون في تزجيج الطابوق• وتتوزع هذه التشكيلات على البدن بهيئة اشرطة ضيقة نسبيا تدور حول بداية البدن وتتوجه ويحصر بينها نطاق واسع يشغل ثلاثة ارباع البدن تقريبا وقد حدد الشريط الاسفل بحافتين مفتولتين بارزتين وشغل بنقشة من زخارف هندسية جميلة • اما البدن فتتكون الوحدة الزخرفية الاساسية فيه من صلبان معقوفة متصلة الاذرع مع بعضها حددت حافاتها بسلاسل من قطع طابوق مربعة مزججة ونثرت اشكال هندسية في مناطق معينة من هذه التشكيلة وبلون ابيض يتباين باشراق مع لون حافات الاشكال الصليبية التي جعلت زرقاء نيلية • ويتوج تشكيلات البدن شريط عريض نسبيا اذا ما قورن مع الشريط الاسفل ولكنه مشغول ايضا بنفس التشكيلات التي تشغل الشريط الاول ومحفوف بحزامين مفتولين وبارزين ايضا • وشغلت ايضا حنايا المقرنصات بتشكيلات زخرفية مصنوعة من التفنن في صف الطابوق المزجج • واجمل هذه التشكيلات تلك التي تزين الحوض حيث تداخلت الاشكال الهندسية وشغلت ذات الاشكال النجمية الثمانية منها بخط كوفي جميل في اوضاع مختلفة وتغطي الرقبة نفس الوحدة الزخرفية التي تشغل نطاق البدن ولكن الصلبان المعقوفة تنجت عن خط حافة واحدة لا حافتين وبنفس تقنية نطاق البدن • كما شغلت الفراغات بين امتدادات اذرع هذه الصلبان بنقشة هندسية بلون مزجج ابيض تختلف عن تلك التي تزين نطاق البدن • ويتوج الرقبة شريط مشغول بكتابات بخط كوفي جميل • اما مقرنصات الرأس واضلاعه فمغطاة ايضا بتحلية زخرفية ناتجة من التفنن في صف الطابوق •

وفاتنا ان نذكر ان مدخل هذا الجامع يقع في الجدار الجنوبي الشرقي

وبناؤه مستطيل الشكل وان واجهته مزينة بعقد مطول مفتول مؤطر بشريط مستطيل بارز قليلا عن مستوى وجه العقد ومزين بوحدات زخرفية هندسية .

١٩ - جامع العاقولي(١)

يتوسط هذا المسجد محلة العاقولية في بغداد الشرقية ولا يبعد كثيرا عن جامع الحيدرخانة والمعروف ان الشيخ العاقولي كان قد اوقف داره لايتام يقرأون فيها القرآن الكريم وطورت دار القرآن هذه الى مدرسة لتعليم علوم القرآن . وتذكر كتب التاريخ ان الوالي محمد باشا امر ببناء مسجد الى جوار الضريح والمدرسة وكان ذلك عام ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م . ولكن لم تذكر المصادر اى شيء عن شكل الجامع او ما يهم الاثاري من تخطيط وبناء وتحلية . ويظهر ان اجزاء من الجامع تخربت وبعد مرور ما يزيد على المائة عام على بنائه ، فامر الوالي عمر باشا بتجديده عام ١١١٧هـ / ١٨٠٢م وبعدها بنصف قرن تقريبا رمم مرة اخري بامر سليمان باشا وذلك عام ١١٦٣هـ / ١٨٥٠م .

وجامع العاقولي غير واسع ، مثل بقية مساجد بغداد التي بنيت بعد القرن التاسع الهجري ، فهو يشغل قطعة ارض مستطيلة الشكل ابعادها ٤٢×٣٤ مترا، ويتألف من مصلى ، يشغل الجزء الجنوبي الغربي ، ومصلى للشافعية وضريح العاقولي ومرافق اخرى تقوم هنا وهناك وتلتصق بجدران الصحن من الداخل .

وتخطيط بيت الصلاة فيه بسيط وهو على نمط جامع النوري في الموصل، يتألف من مصلى شتوي وآخر صيفي وشكل مصلاه الشتوي مستطيل طوله ٢٥ مترا وعرضه ١٧٫٥ مترا ويتكون من اسكوبين وخمس بلاطات . وبلاطة المحراب اوسع من بقية البلاطات اذ يبلغ عرضها ٥ امتار اما بقية البلاطات فبعرض اربعة امتار لكل منها . ومصلاه الصيفي مستطيل ايضا ويكمل تخطيط

---

(١) هو الشيخ جمال الدين عبدالله بن محمد العاقولي الشافعي ، وكان احد اساتذة المدرسة المستنصرية ولما توفي دفن في داره ، وتم في وقت لاحق بناء مسجد فيها سمي باسم هذا الشيخ .

المصلى الشتوي فهو ينفتح على الصحن بخمس فتحات ولكنه يتألف من رواق او اسكوب واحد فقط (مخطط ١٨) •

شيدت ابنية هذا الجامع بالطابوق والجص وجدران بيت صلاته سميكة نسبيا يبلغ سمكها ١٫٧٠ متر والغرض من ذلك واضح وهو تحمل ثقل سقف المصلى • ويقسم المصلى الشتوي ، الى قسمين متساويين ، صف من اربعة اعمدة رخامية اسطوانية ترتكز على قواعد دائرية تطوقها حافات بارزة وتتوجها تيجان رخامية مزينة بفروع نباتية تتوسطها زهرة • وتحمل تيجان هذه الاعمدة عقودا مدببة منفرجة عمودية وافقية على جدار القبلة • وتحمل جسور هذه العقود قبابا صغيرة مفلطحة عددها عشر قباب بعدد تقاطعات البلاطات مع الاساكيب • ويسند عقود بوائك المصلى الصيفي اربعة اعمدة رخامية من نفس نوع اعمدة المصلى الصيفي ويطل هذا المصلى على الصحن بخمس بوائك عقودها مدببة منفرجة ايضا •

يتوسط المحراب جدار القبلة وتجويفته مضلعة ذات خمسة وجوه وعقده مدبب • ويخلو المصلى من التحلية حيث غطيت جدرانه بالجص ، ويمكن الدخول اليه من اربعة مداخل تتوزع في الجدار الشمالي الشرقي منه ويتوسط احدها هذا الجدار ، حيث يقابل المحراب •

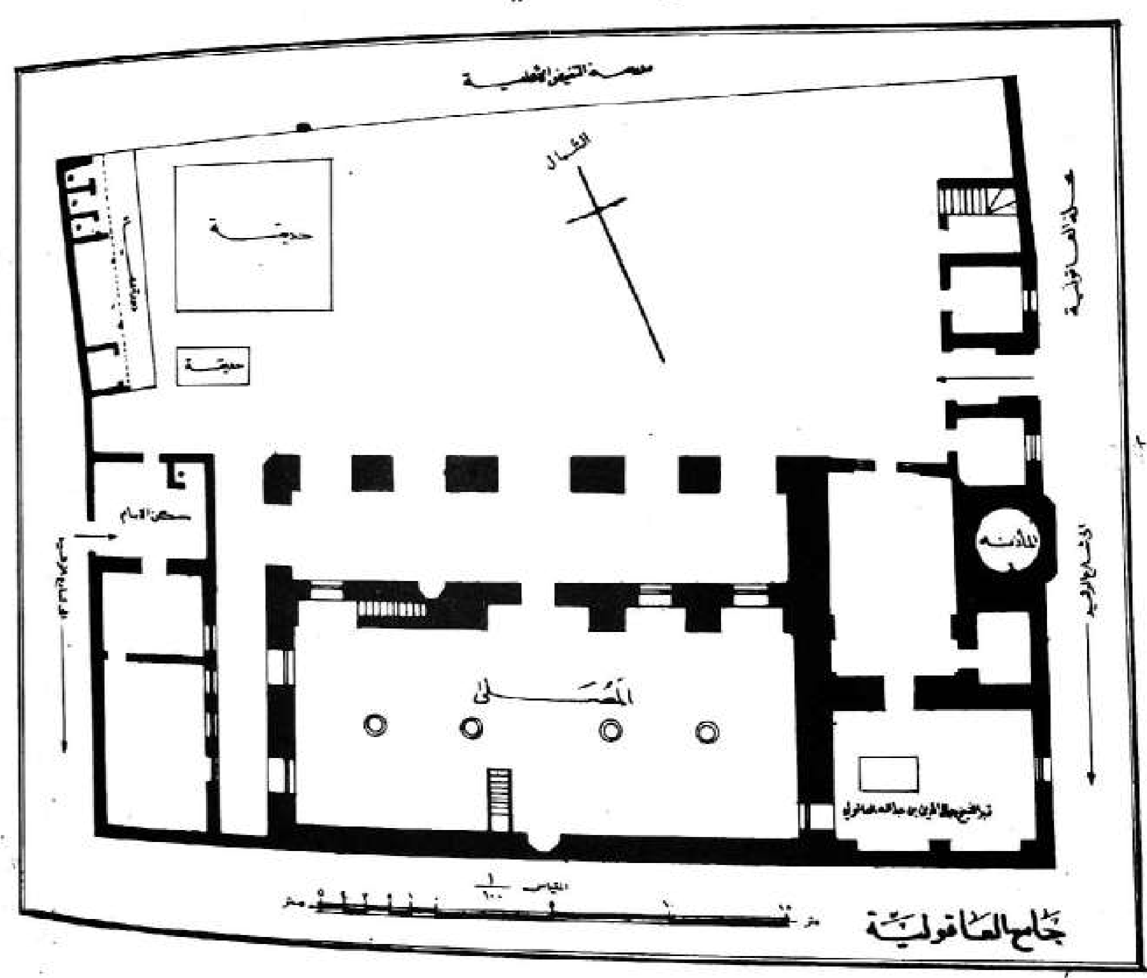
ويقع ضريح الشيخ العاقولي لصق جدار المصلى الجنوبي الغربي يتقدمه مصلى الشافعية فيكون حيث باب الضريح داخل مصلى الشافعية هذا •

ومأذنة جامع العاقولي تختلف الى حد ما عن مآذن جوامع المرادية والخاصكي والكواز من حيث التحلية وتكوين مقرنصات الحوض • وتقوم المأذنة عند الزاوية الجنوبية الشرقية لمصلى الشافعية وهي اسطوانية البدن ذات قاعدة مربعة ، رشيقة نسبيا ويبلغ ارتفاعها حوالي ١٥ مترا وقطر بدنها ٣ امتار • والصعود اليها يكون عن طريق سلم حلزوني يخترق بدنها عند القاعدة ويؤدي الى حوضها • ورقبتها رشيقة يتوجها رأس نصف كروي

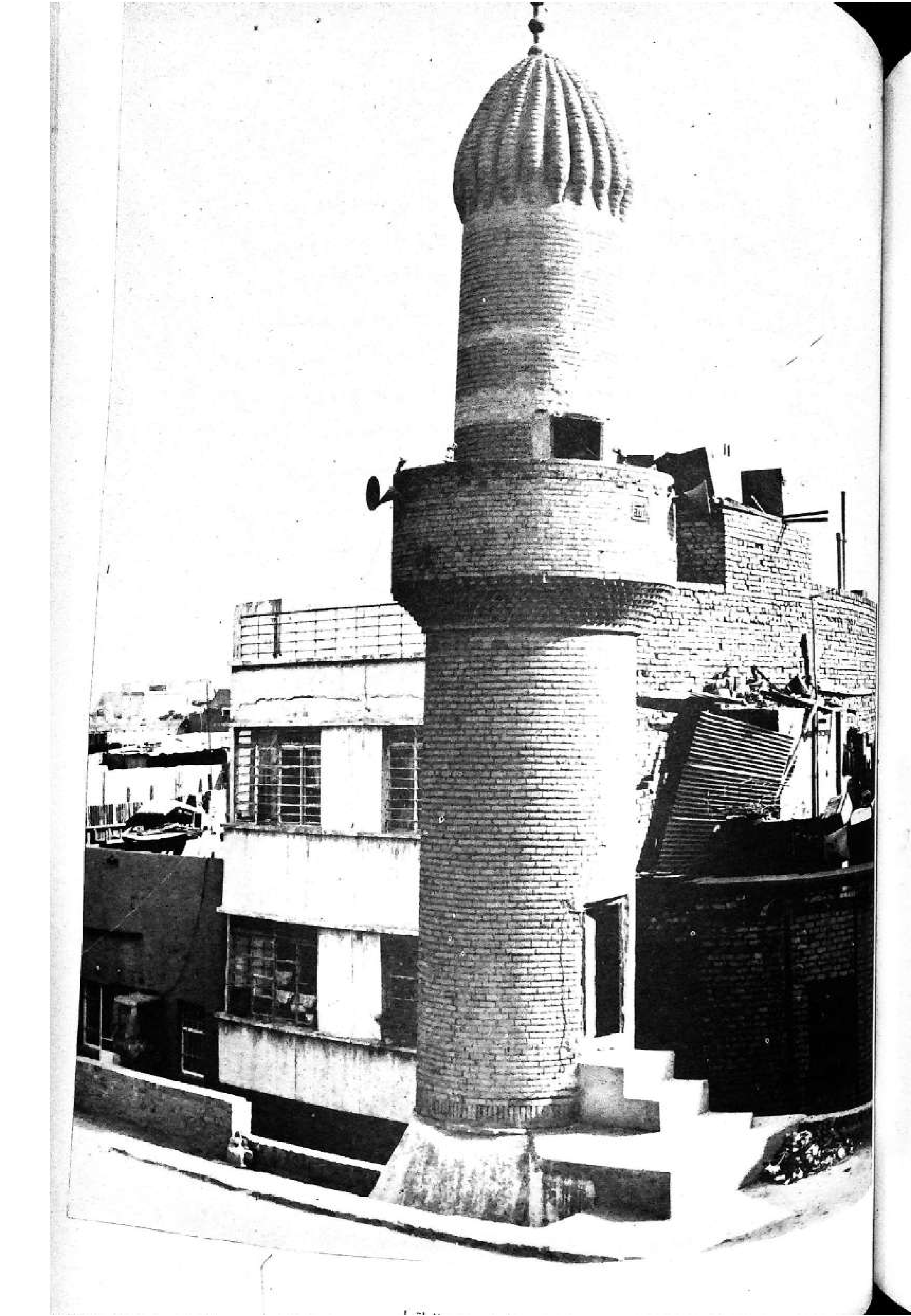
مدبب الرأس ومضلع مثل رأس مأذنة جامع الخاصكي (لوح ٦٤) .

ويستند حوض هذه المأذنة على ستة صفوف من مقرنصات مسننة تختلف تماما عن مقرنصات احواض المآذن السابقة وتشبه الى حد كبير القاعدة القرنصية التي يستند عليها حوض مأذنة المدرسة المرجانية . ويمتد هذا التشابه الى شكل المأذنة بصورة عامة وخلوها من الزينة او التحلية الزخرفية التي اعتدنا ان نراها في مآذن الجوامع السابقة .

يقع مدخل الجامع في الجدار الجنوبي الشرقي وهو ضخم ومحلى بزخارف ويشبه الى حد كبير مدخل جامع الخاصكي .



(مخطط ١٨) : تخطيط جامع العاقولي

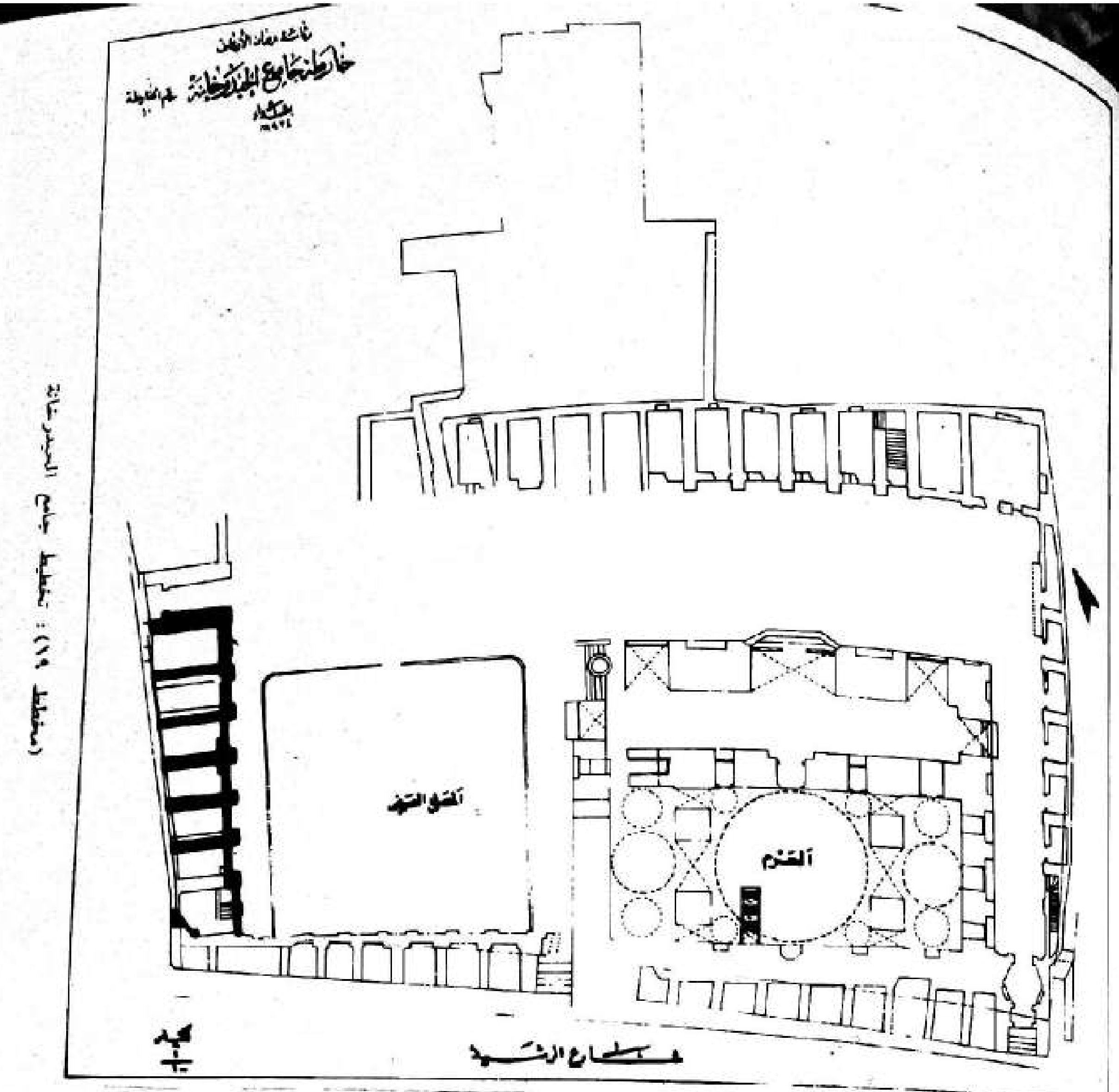


٢٠ – جامع الحيدرخانة

يطل هذا الجامع اليوم على شارع الرشيد ، من جهة اليسار في محلة الحيدرخانة ببغداد الشرقية • امر بتشييده داود باشا ، والي بغداد ١٢٣٢ – ١٢٤١هـ / ١٨١٦ – ١٨٢٥م ، ولكن البناء تم عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م وسجل تاريخ البناء واسم من امر به على لوحة مثبتة في هذا المسجد • وهذا الجامع من اكمل جوامع العراق الاثرية واجملها من حيث تخطيطه وعمارته وتحليته الزخرفية • وبناؤه متين وعمارته جيدة ولم يتعرض لاعمال التجديد والتعمير الا في مجالات ضيقة جدا لم تؤثر قطعاً على جوهرياته •

وجامع الحيدرخانة اوسع جوامع بغداد الاثرية على ماهي عليه الان • فهو يشغل قطعة ارض شبه منحرفة ابعادها ٧٦×٦٩و٥٠ مترا يسورها جدار ضخم يشكل جدران الجامع الخارجية •

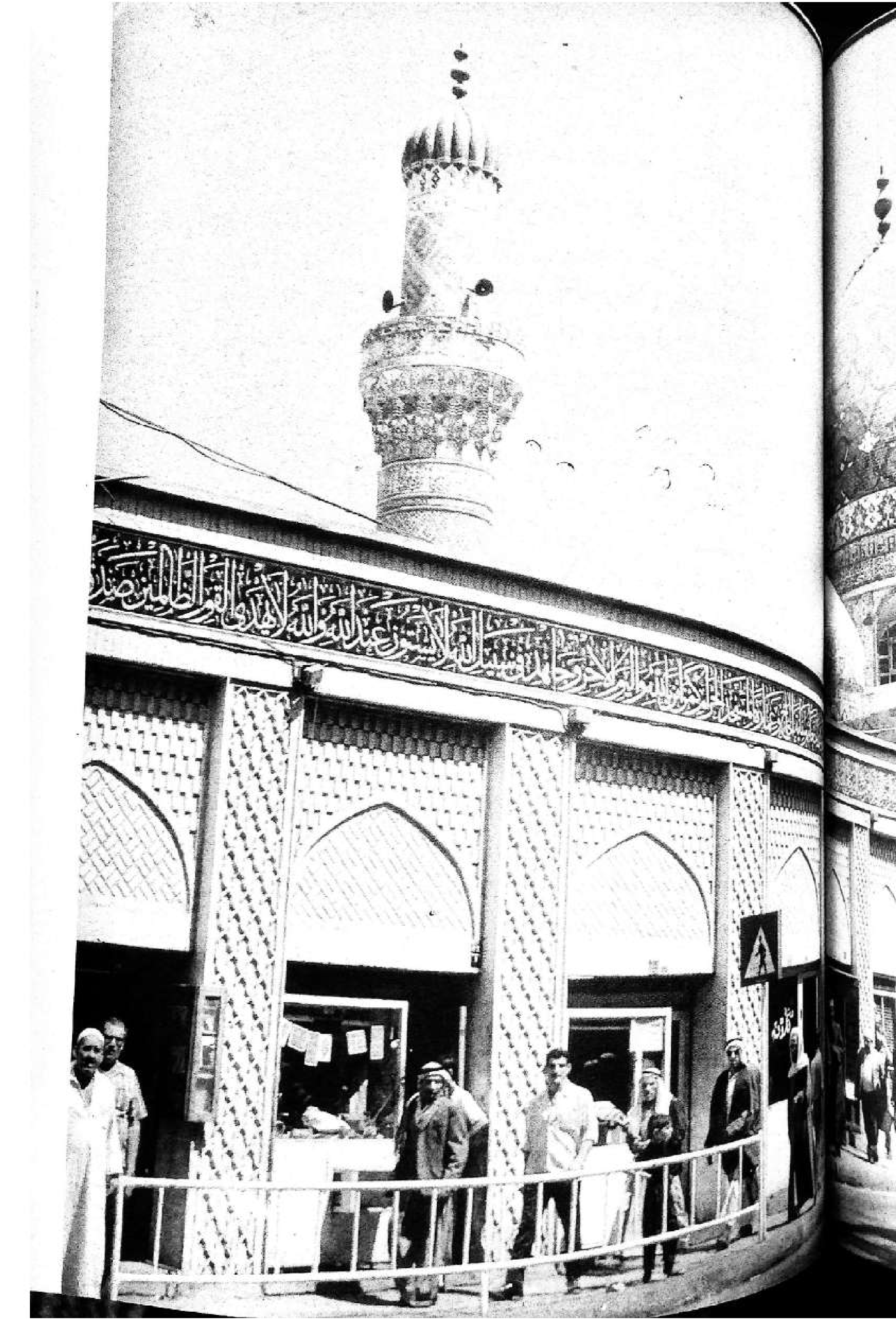
تخطيط هذا الجامع على طراز تخطيط جامع مجاهد الدين في الموصل وجامع المرادية في بغداد من حيث الاساس • فبيت الصلاة يشغل القسم الجنوبي الغربي من المسجد ويتألف من بيت صلاة شتوي واخر صيفي • والمصلى الشتوي مستطيل الشكل ابعاده ٣٠×٢٧ مترا ويتألف من ثلاثة اساكيب وثلاث بلاطات ، ويتسم بسعة بلاطة المحراب فهي مربعة وتشغل نصف بيت الصلاة تقريبا ويمتاز ايضا بسعة الاسكوب الاوسط ومثل هذه الحالة غير مألوفة في بيوت صلاة الجوامع الاخرى من هذا الطراز • وعرض الاسكوب الاوسط يقارب عرض الاسكوبين الاخرين اما المصلى الصيفي فمستطيل الشكل ايضا يتكون من رواق واحد وينفتح على الصحن بثلاث فتحات اوسعها الفتحة الوسطى • ويضم هذا الجامع بالاضافة الى هذا المصلى المسقوف مصلى آخر مكشوفا يشغل الصحن المجاور للمصلى المكشوف في الجهة الشمالية الغربية • وهو مربع الشكل تقريبا (مخطط ١٩) •



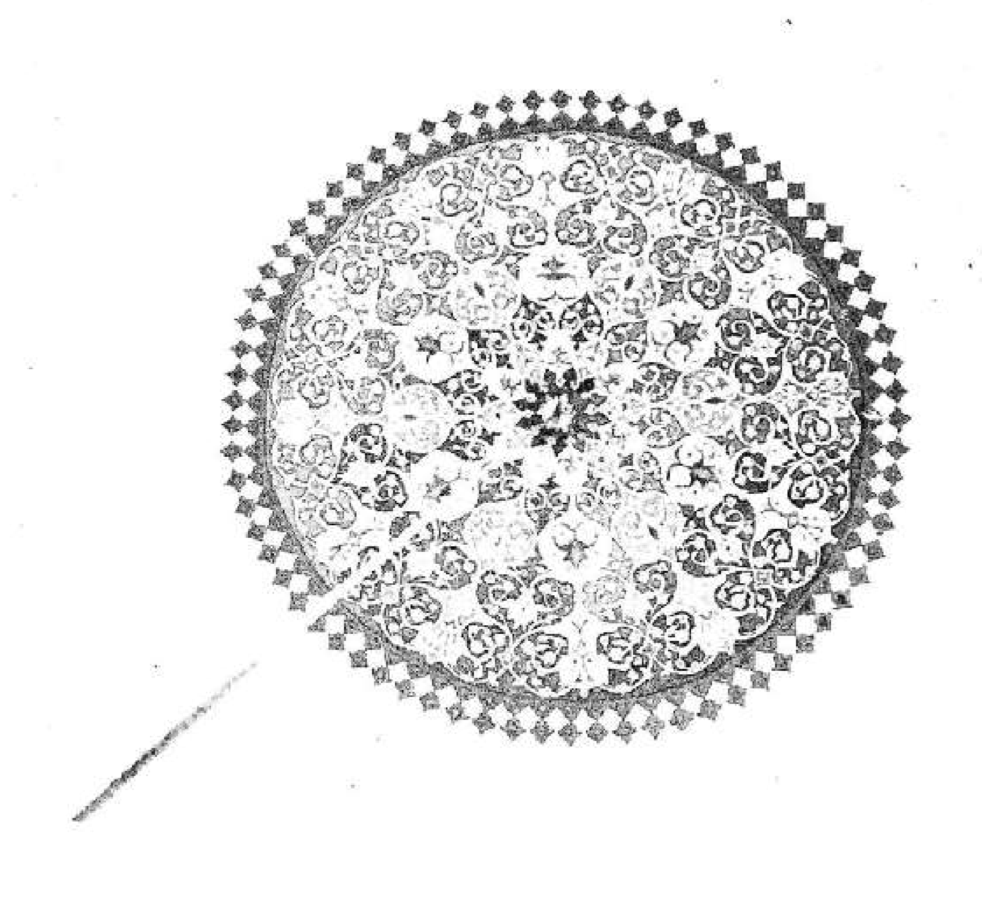
(مخطط ١٩) : مخطط جامع الحيدرخانة

شيد جامع الحيدرخانة بطابوق وجص ويتصف بناؤه بمتانة وضخامة ظاهرة • ويزيد سمك جدران بيت الصلاة على المترين وقد بنيت بهذه الصورة لتتحمل ثقل القبة الضخمة التي تغطي بلاطة المحراب • وتفصل بين اساكيب المصلى • وبلاطاته دعامات ضخمة ، الوسطية منها مربعة طول ضلعها ٢م اما الجانبية فمستطيلة ابعادها ٢×٥ر٢ مترا • وتجلس قبة بلاطة المحراب على رقبة اسطوانية قطرها ١١ مترا ويرتفع رأس القبة عن مستوى ارض المصلى ١٨مترا• وهذه القبة هي اكبر قباب مساجد العراق السابقة واجملها من حيث شكلها والتحليات الزخرفية التي تزينها من الخارج والداخل • وهي بصلية الشكل وقد كسيت من الخارج بغطاء مع قراميد قاشانية ذات زخارف تتألف من فروع نباتية تلتف وتلتوي لتغطي كامل القبة وبلون ازرق نيلي واصفر برتقالي على أرضية بلون أزرق مخضر (لوح ٦٥) • ورقبة هـذه القبة طويلة نسبيا اذا

(لوح ٦٥): جامع الحيدرخانة.



ما قورنت مع رقاب القباب السابقة وتتخللها ثمان نوافذ ذات عقود مدببة ومتبادلة مع ثماني حنايا بنفس الطراز وزينت بداية رقبة القبة من الداخل بشريط مشغول بكتابات من آيات قرآنية يحدد النوافذ من الاسفل ويناظره شريط اخر يعلو النوافذ شغل ايضا بكتابات بخط جميل وزخرفت قمتها من الداخل أيضا بشكل دائري مشغول بزخارف نباتية جميلة (لوح ٦٦). وتجدر



(لوح ٦٦) : تشكيلات زخرفية تزين قبة جامع الحيدرخانة من الداخل.

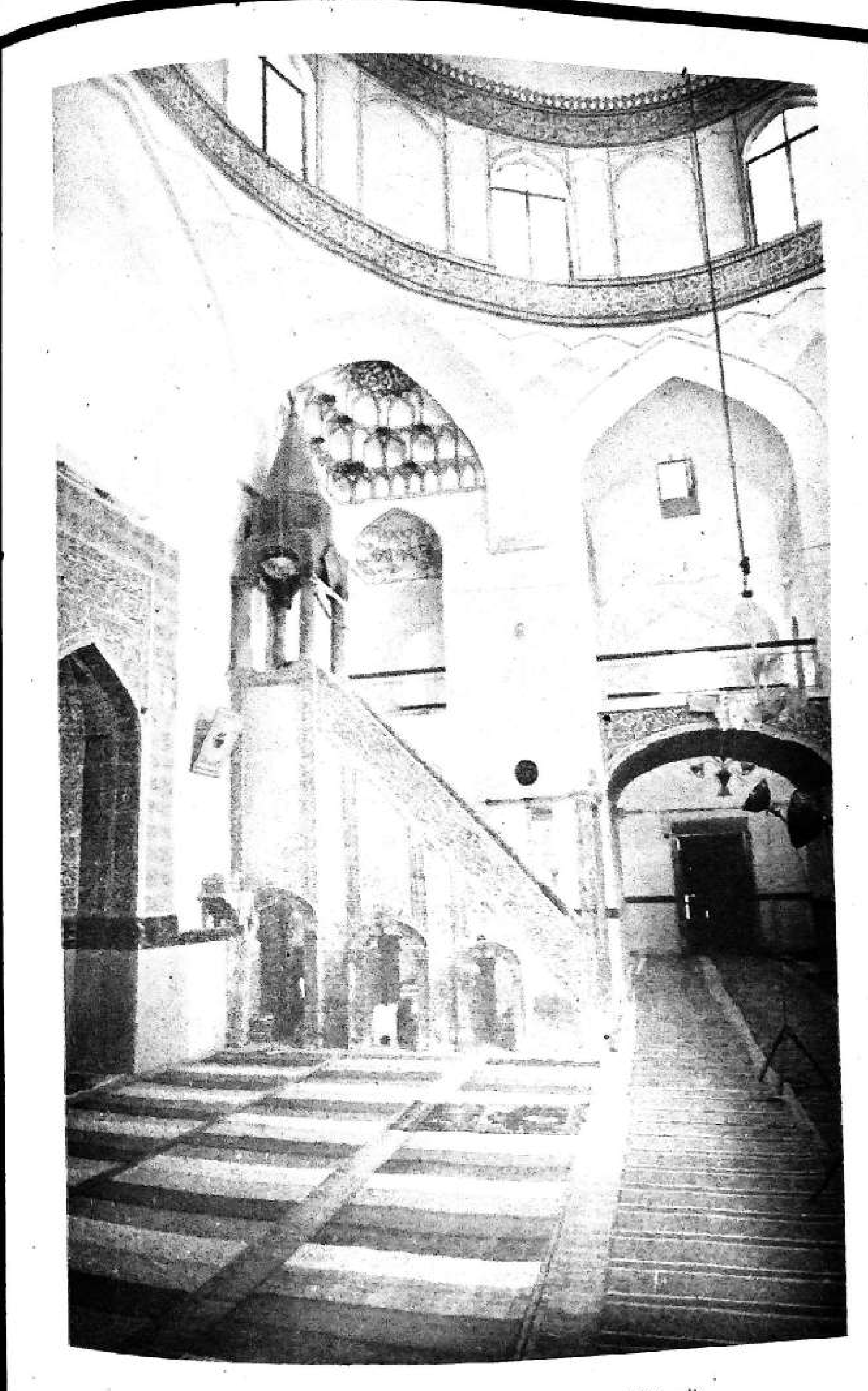
الاشارة هنا ايضا ان رقبة القبة من الخارج قد غطيت باجمل الزخارف النباتية على قراميد قاشانية ويطوق الرقبة فوق عقود النوافذ شريط كتابي

النقوشة تغطى بقية اجزاء المصلى الشتوي والصيفي قباب صغيرة مفلطحة جميل • عدا قبتين ترتفعان عن مستوى وجه سطح المصلى ٥ر٥ مترا وهما على طراز تبة بلاطة المحراب شكلا وزخرفته ولكنهما صغيرتان • وتغطي كل منهما مربعتي الاسكوب الاوسط الجانبيتين •

تتوزع على جدران بيت الصلاة الشتوي عدد من الحنايا والنوافذ ، ذات عقود مدببة مثل العقود التي ترفع قواعد القباب في هذا المصلى • وتفنن المعمار في اشغال القسم العلوي من هذه الحنايا غير النافذة بتشكيلات من مقرنصات جميلة ، لغرض الزينة ليس الا (لوح ٦٧) •

تتوسط حنية المحراب جدار القبلة وهي ذات عقد مدبب وتجويفه مضلعة ذات خمسة وجوه • ويغور المحراب بمقدار ١٫٣٠ مترا وتبلغ سعة فتحته ١٫٥٠ متراً • وغطى بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية وكتابات جميلة • والى يمين المحراب يقع منبر الجامع المعمول من الرخام المعرق والمحلى بزخارف نباتية بارزة • أما المقصورة فقد عقدت بين دعامتي الاسكوب الوسط الى شمال المنبر • والمصلى موزر بالواح رخامية جميلة الى ارتفاع معين • اما بقية الجدران والقباب فقد كسيت بالجص • ويوصل هذا المصلى بالمصلى الصيفي مدخل يتوسط الجدار الشمالي الشرقي ويقع على الخط المحوري للمحراب • وهذا الباب واسع نسبيا وتعلوه حنية نافذة يرتفع عقدها بارتفاع عقود رواق المصلى الصيفي التي تحمل قباب سقفه •

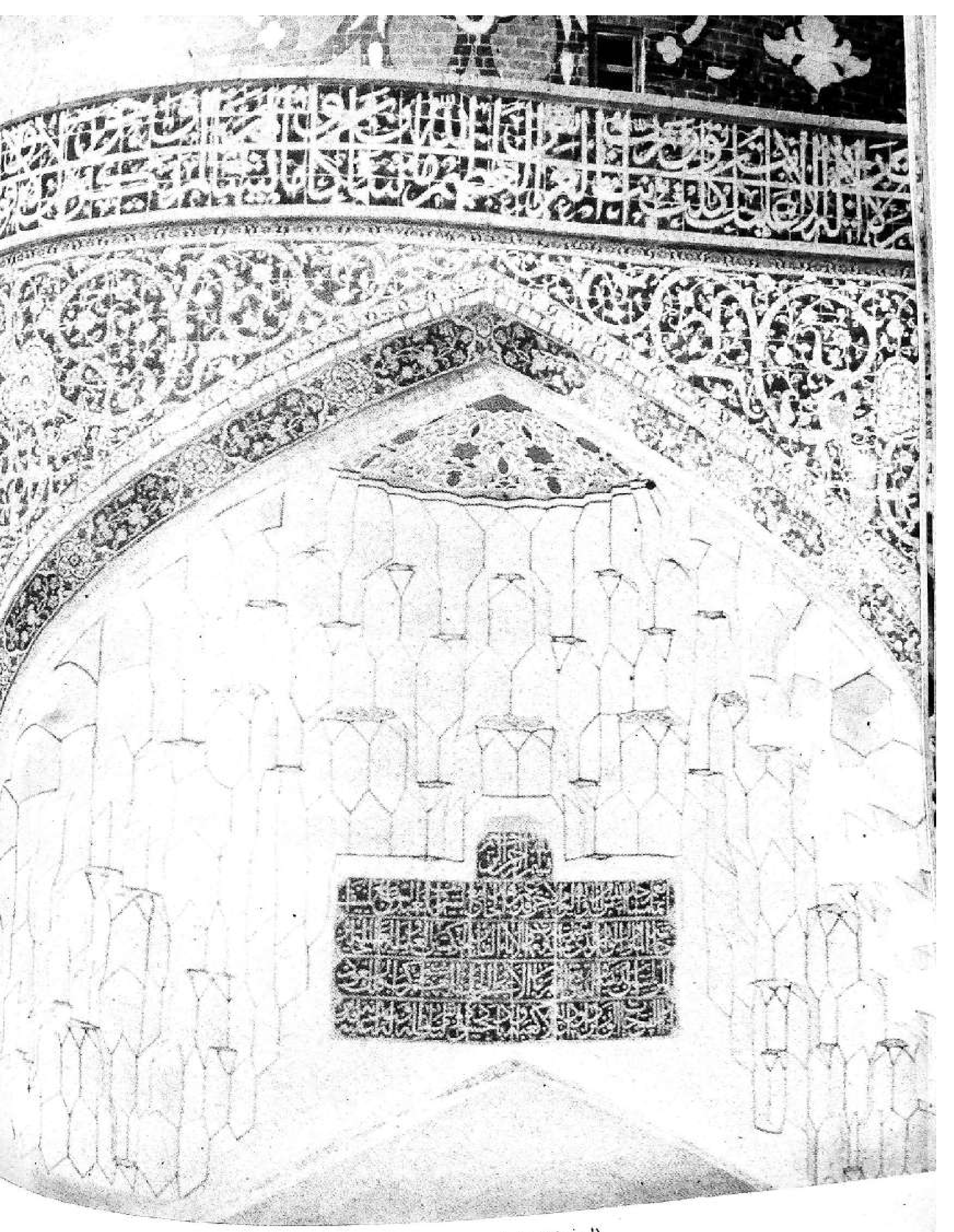
يتألف المصلى الصيفي من رواق واحد طوله ٢٧ مترا وعرضه ٥ر٥ امتار ويطل على الصحن بثلاث بوائك بهيئة اواوين اوسعها ايوان البائكة الوسطى الذي يبلغ ٥ر٥ مترا واهم ما في المصلى تكوين واجهته العماري والتحليات



(لوح ٦٧) : جزء من مصلى جامع الحيدرخانة الشتوي .

الزخرفية التي تزينها ويتوسط الايوان الرئيسي هذه الواجهة ويشكل المدخل الرئيسي الى بيت الصلاة • وتكوين هذا المدخل العماري لا يختلف كثيرا عن تكوين عدد من مداخل الجوامع والمساجد والخانات في بغداد بالدرجة الاولى • فهو مستطيل الشكل يبرز قليلا عن مستوى وجه جدار الواجهة ويرتفع بشكل بارز فوق مستوى سطح المصلى • وبالاضافة الى ذلك فقد وزعت الحنايا النافذة وغير النافذة على جانبيه بالتناظر وهي ذات عقود مدببة مثل عقوده • والشريط المستطيل الذي يحف به غير عريض وشغل الضلع الاعلى منه بكتابات بلون اصفر برتقالي على ارضية زرقاء نيلية • يؤطر هذا الشريط عقد الايوان الامامي وهو عقد مدبب ، مستوي الوجه ومحفوف من الجانبين بحزام مفتول ومشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية دقيقة مشرقة الالوان • وزينت كتفا العقد ايضا بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية لا تقل جمالا وروعة من حشوة العقد • واجمل ما في هذا الايوان التركيبات المقرنصة التي تشغل حنية العقد الخارجي وقد جعلت من احد عشر صفا تبرز عن مستوى وجه الحنية بهيئة عناقيد دقيقة التركيب متناسقة المظهر • وينتهي الايوان بعقد مدبب الشكل في نهاية الايوان الى المصلى ويتناظر ارتفاعا مع عقد نافذة ضخمة تقع فوق باب مدخل المصلى الشتوي (لوح ٦٨) وتجاور الايوان ، كما ذكرنا حنايا زينت اكتاف عقودها وحافة الجدار من الاعلى بتشكيلات زخرفية هندسية جميلة ناتجة من التفنن في صف ارباع الطابوق المزجج ذي الالوان المختلفة •

ومأذنة جامع الحيدرخانة تشبه مأذنة جامع المرادية من حيث شكلها وموقعها وعناصرها المعمارية ولكنها تختلف عنها في كسوتها الزخرفية فهي تحتل الركن الشمالي الشرقي من بيت الصلاة وتظهر وكأنها جزء منه • وهذه المأذنة رشيقة يبلغ ارتفاعها ٢٠ مترا • وقطر بدنها ١٫٩٠ متر ويجلس بدنها الاسطواني الشكل على قاعدة مربعة ترتفع ٨ امتار عن مستوى سطح الارض وتندمج في ركن المصلى كما ذكرنا • ويخترق بدنها سلم حلزوني يكون



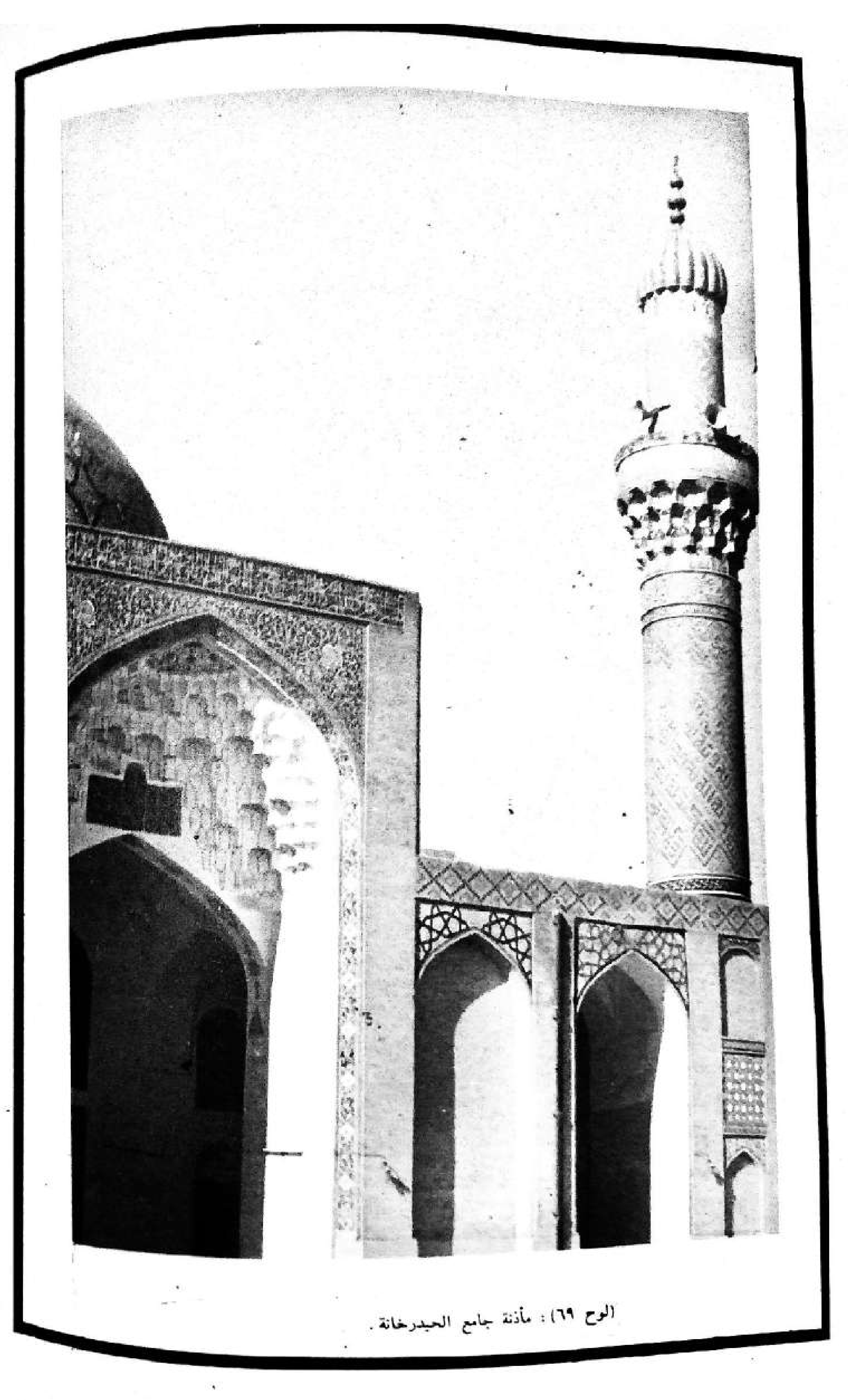
(لوح ٦٨): ايوان مصلى جامع الحيدرخانة الصيفي.

الوصول اليه من سطح المسجد ويؤدي الى حوض المأذنة . ويستند حوض هذه المأذنة على اربعة صفوف من المقرنصات تشبه في تشكيلها مقرنصات حوض مأذنة جامع المرادية . فتشكيلة الصف الاول عبارة عن صف من حنايا ذوات عقود مدببة مستوية وذوات حافات بارزة فقط . وتبرز رؤوس مقرنصات الصف الثاني وبمستويين مختلفين وهي زوجية في تكوينها . اما مقرنصات الصف الثالث ففردية ولكن تتباين حناياها في مستوى تقعرها . ومقرنصات الصف الاخير تتألف من وحدات ثلاثية تشغل حنية ذات عقد مقصوص تستند حافات الحوض عليها .

ورقبة المأذنة اسطوانية رشيقة في مظهرها ويزيدها جمالا رأسها المضلع ذو الشكل المقبب والمدبب النهاية قليلا وتبرز قاعدة الرأس عن مستوى وجه الرقبة حيث تسندها رؤوس صف من مقرنصات مستوية ذوات حافات بارزة .

تتميز مأذنة جامع الحيدرخانة بكسوتها الزخرفية الفريدة بين مآذن الجوامع المار وصفها . فتشكيلاتها الزخرفية تجمع بين الاشكال الهندسية والعناصر النباتية والكتابات بخطوط متنوعة وهذا لم نجده في أي من المآذن السابقة وهي بالاضافة الى ذلك تجمع بين تقنيتين مختلفتين في صناعة التحليات الزخرفية وهي التشكيلات الناتجة من التفنن في صف ارباع الطابوق المزجج والتكوينات المصممة على قراميد قاشانية . ولم تزين أي من المآذن السابقة بكتابات كثيرة تغطي التدن والرقبة مثل هذه المأذنة (لوح ٦٩) .

وزينت الاقسام الظاهرة من قاعدتها بمعينات ناتجة من التفنن في صف ارباع الطابوق المزجج وعلى مستوى واحد مثـل بقية تشـكيلات المأذنة الزخرفية . وطوق البدن من الاسفل بشريط ضيق مشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف جميلة ومخفوف بحزامين مفتولين بارزين قليلا عن مستوى وجه



(لوح ٦٩) : مأذنة جامع الحيدرخانة .

البدن • ويعلو ذلك نطاق واسع يشغل معظم البدن تتكون تشكيلته الزخرفية من اشرطة مائلة تتحرك على البدن من اليسار الى اليمين حددت بخطوط ناتجة من التفنن في صف من ارباع طابوق مزجج بلون ازرق شذري ومشغولة بكتابات كوفية تتألف من كلمات مرتبة في اوضاع مختلفة وناتجة من التفنن في صف ارباع طابوق مزجج وبلون ازرق نيلي • وتنحصر الكتابات بين حزامين من انصاف معينات مسننة تشبه الى حد كبير تلك التي تزين بدن مأذنة جامع الكواز في البصرة ولكن النطاق المشغول بالكتابات في هذه المأذنة يختلف الى حد ما عن نطاق كتابات مأذنة جامع الكواز • ويتوج هذا النطاق شريط ضيق يناظر في سعته وحوافه الشريط الاسفل • ويلي هذا الشريط شريط اخر اعرض منه ومشغول بكتابات كوفية جميلة جدا مصممة على قراميد قاشانية ذات لون اصفر برتقالي • اما الكتابات فجعلت بلون ازرق نيلي وشغلت حنايا المقرنصات بقراميد قاشانية جميلة • وغطت الحوض تشكيلة من زخارف معينية ناتجة من التفنن في صف أرباع الطابوق المزجج • وكسيت الرقبة مثل البدن باشرطة مائلة مشغولة بكتابات كوفية جميلة ويفصل هذه الكتابات عن مقرنصات الرأس شريط محلى بزخارف وغطيت المقرنصات والرأس بقراميد قاشانية ذات زخارف لطيفة •

يسور جامع الحيدرخانة جدار سميك مرتفع نسبيا ويمكن الدخول الى الجامع عن طريق ثلاثة مداخل بهيئة اواوين او مجازات تتصف بتركيبها المعماري المتشابه وعقودها المدببة المنفرجة ومقرنصاتها الجميلة وقراميدها القاشانية التي تغطي اجزاء واسعة من عقودها ووجوهها • يتوسط احد هذه المداخل الجدار الجنوبي الغربي منفتحا على شارع الرشيد وفاصلا بين المصلى الشتوي المسقوف والمصلى الصيفي المكشوف الذي يشغل الصحن الشمالي الغربي • ويقع المدخل الثاني في الركن الجنوبي الغربي مطلا على شارع الرشيد ايضا يؤدي الى مجاز يفصل المصلى الشتوي عن الجدار الجنوبي الشرقي حيث يقود الى الصحن الواسع الذي يشغل القسم الشرقي من المسجد •

اما الباب الثالث فيخترق مجازها الجدار الشمالي الغربي وتؤدي مثل ذلك الذي يتوسط الجدار الغربي الى المسجد الصيفي المكشوف .

وتحلي جدران الجامع الخارجية هذه مجموعة من حنايا واسعة نسبيا ، ترتفع بارتفاع الجدار تقريبا وتشغل جداري المصلى الصيفي من الجهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية من الداخل والخارج وقد زينت اكتاف عقودها وهامات جدرانها بتشكيلات زخرفية معينية ناتجة من التفنن في صف ارباع الطابوق وكانت هذه الحنايا المعقودة تشغل كل وجه الجدار الجنوبي الغربي ، جدار القبلة ، من الخارج ولكن وبسبب اهمية المنطقة التجارية فقد اضيفت اليها ابنية ادت الى اخفائها وتشوية منظر واجهة هذا الجامع الفريد وقد قامت رئاسة ديوان الاوقاف باعادة اكساء واجهات الدكاكين التي تتقدم الواجهة الاصلية بتشكيلة زخرفية اجرية ذات عناصر بارزة وتوجت ذلك بنطاق من كتابات بلون اصفر برتقالي على ارضية زرقاء داكنة وعملت حشوة الشريط هذه من قراميد قاشانية على طراز بعض كتابات الجامع[1] . وقد شوهت هذه الزخرفة التي لا تنسجم مع طراز تشكيلات الجامع الزخرفية وتقنيتها والوانها وشوهت واجهة الجامع ونأمل ان تزال الابنية المضافة وتعاد الواجهة الى اصلها .

وتلتصق بجدران الجامع من الداخل عدد من الغرف والمرافق خصصت لايواء الطلبة حيث الحقت به مدرسة لعلوم الدين .

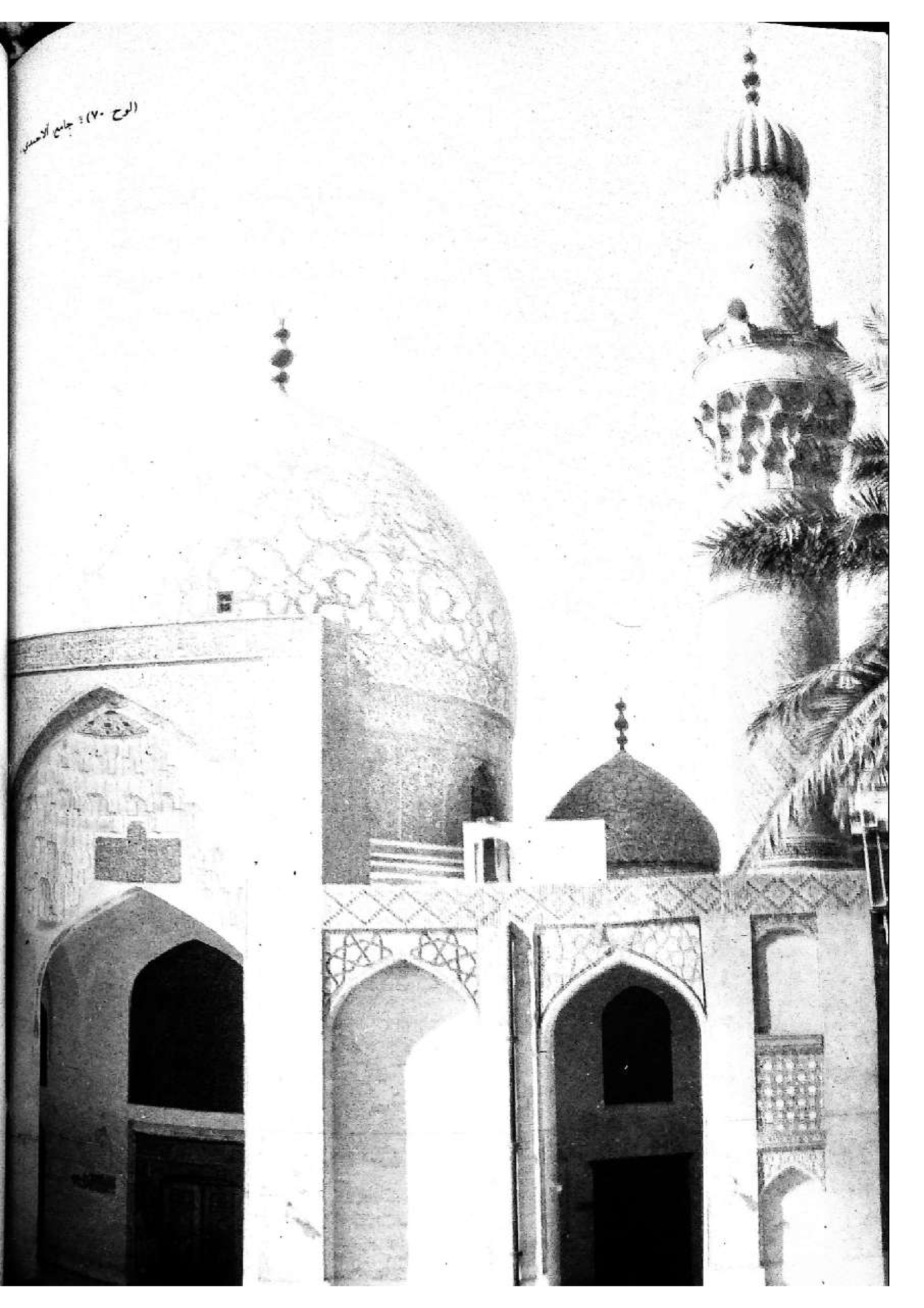
يعتبر جامع الحيدرخانة من اجمل مساجد العراق تخطيطاً وعمارة وزخرفة ، فهو يمثل استمرار طراز تخطيط جامع مجاهد الدين والمرادية ويكشف عن استمرار العناصر العمارية التي نمت وازدهرت في القرون السابقة . وفيه اضخم قبة معروفة تتصف بشكلها البصلي الجميل ورقبتها الطويلة المحلاة باروع الزخارف النباتية وتشتهر بكسوتها القاشانية ذات زخارف نباتية متقنة . كما يشتهر بمأذنته الوحيدة في كثرة الكتابات التي نقشت ويمتاز ايضا بايوان مدخل مصلاة الصيفي المسقوف الذي يضاهي عددا من

---

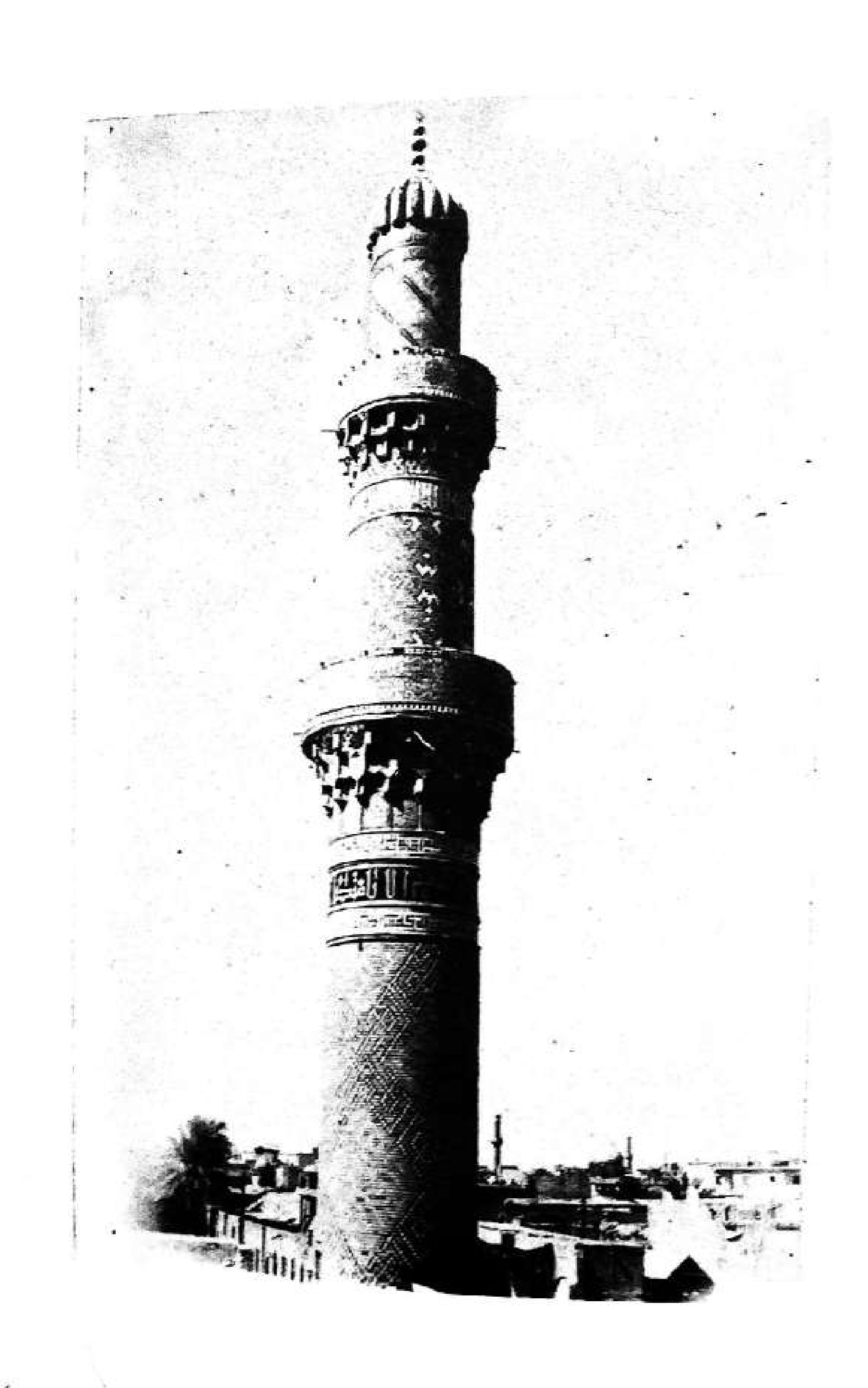
(١) فعت هذه الدكاكين من جدار الجامع المطل على شارع الرشيد في سنة ١٩٧٨

مداخل المدارس والخانات والمساجد في الطراز العماري والتحليات الزخرفية .
وفي جامع الحيدرخانة استعمل الخط لاشغال عشرات الامتار من الاشرطة التي تطوق رقاب القباب وتحلى الهامات وتكسى والابدان . ولم تستعمل الكتابات بهذه التقنية وهذه السعة في اي من الجوامع السابقة . ونجد في زينة هذا الجامع مئات الامتار المربعة من الزخارف المصممة على قراميد قاشانية ليس لها ما يناظرها في الجوامع الاخرى . ويوازي ذلك ايضا المساحات الكبيرة المشغولة بتشكيلات زخرفية ناتجة في التفنن في صف ارباع الطابوق المزجج وبطريقة منسجمة جدا مع التشكيلات الزخرفية في القراميد القاشانية اما بناؤه فهو بدوره اضخم واكثر اتقاناً في بناء أي من الجوامع القائمة في بغداد.

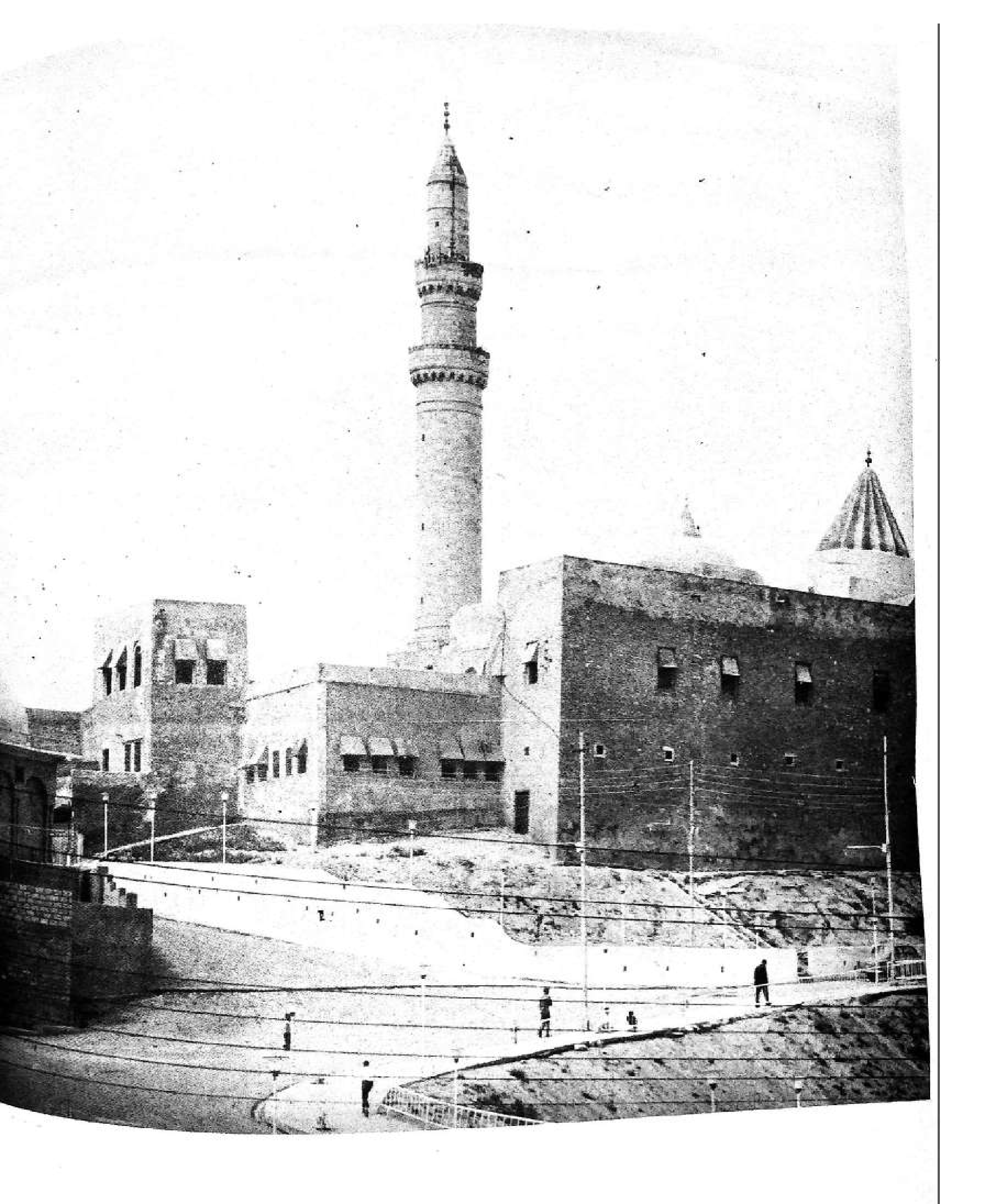
وتجدر الاشارة أخيرا الى عدد من جوامع بغداد تعاصر جامع الحيدرخانة وتصغره عمرا . وأروع هذه الجوامع هو جامع الاحمدي الذي يقوم في محلة الميدان من بغداد الشرقية وهو يناظر جامع المرادية تخطيطا وعمارة وزخرفة والى حد بعيد .(لوح ٧٠ ومن بينها أيضا جامع الاصفية الذي يجاور المدرسة المستنصرية من الجهة الشمالية-الغربية ويشتهر بمأذنته ذات الحوضين والشاهقة الارتفاع والمغطاة بأجمل القراميد القاشانية المزخرفة بأدق الزخارف(لوح٧١). كما ويشتهر جامع الاصفية بقبتيه المتجاورتين اللتين تغطيان بيت الصلاة فيه وجامع النبي يونس في الموصل الذي يتميز بمأذنته الاسطوانية المشهورة والمستدقة برشاقتها وحوضيها الجميلين ورأسها المدبب(لوح ٧٢). وقد بنيت هذه المأذنة على طراز مآذن اسطنبول في جامع السليمانية وغيره .



(اللوح ٧٠): جامع الأحمدي



(لوح ٧١) : مأذنة جامع الاصفية .



(لوح ٧٢) : جامع النبي يونس.

الفهارس والكشافات

فهرس الاعلام

حرف الالف :

حرف الدال :

حرف الراء :

حرف الزاء :

حرف السين :

فهرس الامكنة

حرف التاء :

حرف الجيم :

حرف الحاء :

حرف الخاء :

حرف الدال :

حرف الراء :

حرف الكاف :

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

المخططـات

المحتويات

الالواح

(لوح ٢٩) : محراب جامع النوري الحالي .

(ص ١٥٩) .

(لوح ٣٠) : تشكيلات من الزخارف الجصية التي كانت تزين جدران جامع النوري .

(ص ١٦٢) .

(لوح ٣١) : قاعدة مأذنة جامع النوري .

(ص ١٦٣) .

(لوح ٣٢) : الحدباء .

(ص ١٦٥) .

(لوح ٣٣) : مصلى جامع مجاهدالدين الشتوي .

(ص ١٧٤) .

(لوح ٣٤) : القسم العلوي من محراب جامع مجاهد الدين .

(ص ١٧٦) .

(لوح ٣٥) : قبة جامع مجاهدالدين من الداخل .

(ص ١٧٧) .

(لوح ٣٦) : قبة جامع مجاهدالدين من الخارج .

(ص ١٧٨) .

(لوح ٣٧) : قاعدة مأذنة اربيل .

(ص ١٨٢) .

(لوح ٣٨) : مأذنة اربيل .

(ص ١٨٣) .

(لوح ٣٩) : قاعدة مأذنة داقوق .

(ص ١٨٦) .

تحف العراقي) .

لوح ٤٠) : مأذنة داقوق .

(ص ١٨٧) .

(لوح ٤١) : مأذنة المكيطيمة .

(ص ١٨٩) .

(لوح ٤٢) : المصلى الصيفي لجامع الخفافين .

(ص ١٩٤) .

المصادر والمراجع

١ ـ الآلوسي ، محمود شكري :
تاريخ مساجد بغداد واثارها . تحقيق بهجت الاثري مطبعة دار السلام ـ بغداد .
٢ ـ آل ياسين ، الشيخ محمد حسن :
«المشهد الكاظمي في العصر العباسي» سومر م ١٨ سنة ١٩٦٢ ص ١١٩ ـ ص ١٢٨ .
٣ ، «المشهد الكاظمي من بدء الاحتلال المغولي الى نهاية الاحتلال العثماني» سومر م ١٩ سنة ١٩٦٣ ص ١٥٥ ـ ١٧٠ .
٤ ـ أبن الاثير ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي :
الكامل في التاريخ القاهرة ١٣٧٧ هـ .
٥ ـ ابن بطوطة ، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي ت ٧٧٩ هـ ـ ١٣٧٧ م :
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار بيروت ١٩٦٤ .
٦ ـ ابن جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الكناني ت ٥٥٩ هـ/ ١٢٠٢م .
الرحلة بيروت ١٩٦٨ .
٧ ـ ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي :
مناقب بغداد نشره محمد بهجت الاثري طبع بغداد ١٩٢٣ .
٨ ـ المنظم في تاريخ الملوك والامم حيدر اباد ١٩٣٤ .
٩ ـ ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م :
صورة الارض ، تحقيق كريمر طبع ليدن ١٩٣٨ .
١٠ ـ ابن خرداذبه ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن أحمد الخراساني :
المسالك والممالك طبع ليدن ١٨٨٩م .
١١ ـ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢ م :
وفيات الاعيان وابناء الزمان تحقيق محي الدين .
(٦ اجزاء) مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨ .
١٢ ـ ابن الخياط ، أحمد بن الخياط الموصلي :
ترجمة الاولياء في تأريخ الموصل الحدباء .
تحقيق ونشر سعيد الديوهجي ، مطبعة الجمهورية الموصل ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦ م .
١٣ ـ ابن رسته ، أحمد بن عمر ابو علي ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣ م :
الاعلاق النفيسة طبعة ليدن ١٨٩١ م .
١٤ ـ ابن الطقطقي ، محمد علي بن طباطبا ت سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م :
الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية بيروت ١٩٦٠ .

١٥ - ابن عبد ربه، ابو عمر بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م:
العقد الفريد (٧ اجزاء) ضبطه وصححه وعنون موضوعات ورتب فهارسه: أحمد امين وابراهيم
الابياري وعبدالسلام هارون مطبعة لجنة التاليف والنشر القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.
١٦ - ابن العبري، غريغوريوس الملطي ابو الفرج بن هرون:
مختصر الدول - بيروت ١٩٥٨.

١٧ - ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل الشيباني ت ٧٣٢هـ / ١٣٢٣ م:
الحوادث الجامعة نشره الدكتور مصطفى جواد بغداد ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م.
١٨ - ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد ت ١٠٣٠:
تجارب الامم وتعاقب الهمم ليدن ١٩٠٩/ ١٩١٧.
١٩ - ابن المنجم، اسحق بن الحسين.
احكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان تحقيق كودازي: روما ١٩٢٩.
٢٠ - ابو الفدا، اسماعيل بن علي عماد الدين ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١
المختصر في تاريخ البشر (٤ اجزاء) طبع القاهرة ١٨٩٩ م.
٢١ - ابو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م:
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
طبع دار الكتب المصرية/ القاهرة ١٩٣٩/ ١٩٦٠.
٢٢ - أحمد، حسين:
تاريخ الكوفة - النجف ١٩٦٠.
٢٣ - الاصطخري، ابو الفرج علي بن الحسين:
مسالك الممالك/ ليدن ١٩٢٧.
٢٤ - الاعظمي، خالد خليل حمودي:
الزخارف الجدارية في اثار بغداد.
منشورات وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٠.
٢٥ - . صيانة جامع الكواز في البصرة.
سومر م ٣٦ سنة ١٩٨٠ ص ٣١٧ - ٣٢٣.
٢٦ - أمين، الدكتور حسين.
المدرسة المستنصرية مطبعة شفيق بغداد ١٩٦٠.
٢٧ -. تأريخ العراق في العصر السلجوقي.
المكتبة الاهلية بغداد ١٩٦٥.
٢٨ - ايتنكهاوزن، ريتشارد:
فن التصوير عند العرب ترجمة الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي.

مطبعة الاديب البغدادية ١٩٧٣ .
٢٩ - باقر وسفر ، طه باقر وفؤاد سفر :
المرشد الى مواطن الاثار والحضارة (ستة رحلات) بغداد ١٩٦٠ - ١٩٦٦ .
٣٠ - بحشل ، أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز الواسطي ت ٢٩٣هـ/ ٩٠٥ م
تاريخ واسط تحقيق كوركيس عواد بغداد ١٩٦٧ .
٣١ - بدج ، أرنست الفرد ولسن :
رحلات الى العراق (جزءان نقله الى العربية وقدمه وعلق عليه فؤاد جميل بغداد - دار الزمان .
٣٢ - البغدادي ، صفي الدين بن عبدالحق :
مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع تحقيق محمد البجاوي القاهرة ١٩٥٥ .
٣٣ - بكنغهام ، جميس :
رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ ترجمة سليم التكريتي بغداد ١٩٦٨ - ١٩٦٩ .
٣٤ - البكري ، ابو عبيدالله بن عبدالعزيز :
معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع .
تحقيق مصطفى السقا القاهرة ١٩٤٩ .
٣٥ - البلاذري ، الامام ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م :
فتوح البلدان تحقيق عبدالله انيس الطباع وعمر أنيس الطباع .
مطبعة دار النشر للجامعيين ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م
٣٦ - تافرنيه :
العراق في القرن السابع الهجري .
نقله الى العربية وعلق حواشيه بشير فرنيس وكوركيس عواد .
بغداد مطبعة المعارف ١٩٤٤ .
٣٧ - التطيلي ، بنيامين :
الرحلة ١١٦٥ - ١١٧٣
ترجمة وتعليق عزرا حداد المطبعة الشرقية بغداد ١٩٤٥ .
٣٨ - التنوخي ، ابو علي الحسن بن علي بن محمد :
جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة .
تحقيق عبود الشالجي بيروت ١٩٧٢ .
٣٩ - التوتونجي ، نجاة يونس محمد :
«الجامع المجاهدي في الموصل» سومر سنة ١٩٧٢ ص ١٩٣ - ٢٠٠ .
٤٠ - المحاريب العراقية منذ بداية العصر الاسلامي الى نهاية العصر العباسي بغداد ١٩٧٦ .
٤١ - الجلبي ، الدكتور داود :

«بدر الدين لؤلؤ والاثار الاسلامية في الموصل» سومر م ٢ ١٩٤٦ .

٤٢ ـ الجنابي ، الدكتور كاظم :

«مسجد قمرية تخطيطه وعمرانه» سومر م ٢٨ سنة ١٩٧٢ ص ١٨٧ ـ ١٩٢ .

٤٣ . «المآذن ، نشأتها وعماراتها في الاقطار الاسلامية» مجلة كلية الشريعة العدد ١ سنة ١٩٦٥ مطبعة العاني ١٩٦٥ .

٤٤ . مسجد ابي دلف بغداد ١٩٧٠ .

٤٥ ـ جواد ، الدكتور مصطفى :

«القصر العباسي في القلعة ببغداد وهو دار المسناة العتيقة من اثار الناصر لدين الله العباسي» سومر م ١ سنة ١٩٤٥ ج ٢ ص ٦١ ـ ١٠٤ .

٤٦ ـ «العمارات العتيقة القائمة في بغداد» سومر م ٣ سنة ١٩٤٧ ص ٣٨ ـ ٥٩ .

٤٧ . «عمارات القرن السادس الفخمة في دار الخلافة العباسية» سومر م ٢ سنة ١٩٤٦ ص ١٩٧ ـ ٢١٣ .

٤٨ . «الملك الصالح ركن الدين اسماعيل الاتابكي الامير أيبك بن عبدالله البدري الطويل والامير قراجة في باب العمادية وفي منبره» سومر م ٥ سنة ١٩٤٩ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

٤٩ . «بغداد في رحلة نيبور (مترجمة)» سومر م ٢٠ سنة ١٩٦٤ ص ٤٩ ـ ٦٨ .

٥٠ ـ الحديثي ، عطا :

«مئذنة الكفل» سومر م ٢٨ سنة ١٩٧٢ ص ١٢١ ـ ١٣١ .

٥١ ـ الحديثي وعبدالخالق ، عطا وهناء :

القباب المخروطية في العراق بغداد دار الحرية ١٩٧٤ .

٥٢ ـ حسن : الدكتور زكي محمد :

فنون الاسلام ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٥٣ ـ حسين : كامل :

«التنقيب حول المئذنة المظفرية في اربيل» سومر م ١٨ سنة ١٩٦٢ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

٥٤ ـ الحموي ، ياقوت شهاب الدين ابي عبيد الله الحموي الرومي ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨ .

معجم البلدان (٦ اجزاء) مطبعة طهران ١٩٦٥ م .

٥٥ ـ حميد ، الدكتور عبدالعزيز .

«عمارة الاربعين في تكريت حفائر مدرية الاثار العامة» .

سومر م ٢١ سنة ١٩٦٥ ص ١٢٣ ـ ١٥٥ .

٥٦ ـ خسرو ، ناصر :

سفرنامه : ترجمة الدكتور يحيى الخشاب .

مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥ .
٥٧ ـ الخطيب البغدادي ، الحافظ ابي بكر احمد بن علي ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م :
تاريخ بغداد او مدينة السلام (١٤ جزء) .
مطبعة القاهرة ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١ م .
٥٨ ـ الخليلي ، جعفر :
موسوعة العتبات المقدسة قسم الكاظمية (ثلاثة اجزاء) بيروت ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م .
٥٩ ـ ، قسم كربلاء .
دار الكتب بيروت ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م .
٦٠ ـ ، قسم سامراء دار الكتب بيروت .
٦١ ، قسم النجف بيروت ١٩٦٥ .
٦٢ ـ الدوري ، الدكتور عبدالعزيز :
العصر العباسي الاول : بغداد ١٩٤١ .
٦٣ ـ ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد ١٩٤٥ .
٦٤ ـ الديوهجي ، سعيد
الموصل في العهد الاتابكي .
طبع بغداد ١٩٥٨ .
٦٥ ـ ، جوامع الموصل في مختلف العصور .
مطبعة شفيق ـ بغداد ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م .
٦٦ ، «الزخارف الرخامية في الموصل» سومر م ٢١ سنة ١٩٦٥ .
٦٧ ـ ، «قلعة الموصل في مختلف العصور» سومر م ١٠ سنة ١٩٥٤ ص ٩٤ ـ ١١١ .
٦٨ ، «خطط الموصل في العهد الاموي» سومر م ٧ سنة ١٩٥١ ص ٢٢٢ ـ ٢٣٦ .
٦٩ ـ ، «مشهد الامام يحيى بن القاسم» سومر م ٢٤ سنة ٩٦٨ ص ١٧١ ـ ١٨١ .
٧٠ ـ ، «الجامع الاموي في الموصل» سومر م ٦ سنة ٩٥٠ ص ٢١١ ـ ٢١٨ .
٧١ ـ ، «جامع النبي يونس» سومر م ١٠ سنة ٩٥٤ .
٧٢ ـ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان :
تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام (ستة اجزاء) القاهرة ١٣٤٩ هـ .
٧٣ ـ الربيعي ، وائل : داقوق تأريخها التنقيب والصيانة فيها» سومر م ١٢ سنة ١٩٥٦ ص ٣٨ ـ ٦٤ .
٧٤ ـ ريج ، كلوديوس جميس ـ ١٧٨٧ ـ ١٨٢١ :
رحلة ريج الى العراق نقلها الى العربية بهاء الدين نوري .
مطبعة السكك الحديدية ١٩٥١ .
٧٥ ـ سفر ، فؤاد :

واسط مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية/ القاهرة ١٩٥٢ .
٧٦ ـ سركيس ، يعقوب :
مباحث عراقية بغداد ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م .
٧٧ ـ سوسة الدكتور أحمد :
«مدينة المنصور وجامعها» سومر م ٢٢ سنة ١٩٦٦ ص ١ ـ ١٩ .
٧٨ ـ السيوفي ، نقولا ت ١٣١٩ هـ / ١٩٠١م :
مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل .
تحقيق سعيد الديوهجي مطبعة شفيق بغداد ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م .
٧٩ ـ الشهابي ، مصطفى :
رحلة الى العراق مطبعة ابن زيدون ـ دمشق ١٩٤١ .
٨٠ ـ الصائغ ، سليمان :
تأريخ الموصل (ثلاثة اجزاء) بيروت ١٩٥٦ .
٨١ ـ الصوفي ، أحمد :
الاثار والمباني العربية والاسلامية في الموصل .
مطبعة الرافدين الموصل ١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠ م .
٨٢ ـ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م :
تأريخ الرسل والملوك (١١ جزء) مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
٨٣ ـ عبو ، الدكتور عادل نجم :
القباب العباسية (رسالة ماجستير) .
بغداد ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٧ .
٨٤ ـ العزاوي ، عباس :
«من جوامع بغداد ـ جامع الخلفاء» سومر م ٢٢ سنة ١٩٦٦ ص ٢١ ـ ٣٨ .
٨٥ ـ، تأريخ العراق بين احتلالين (ثمانية اجزاء) .
طبع مطبعة بغداد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م .
٨٦ ـ العزي ، ساجدة :
«بلدة عانة ومنارتها الاثرية» سومر م ١٧ سنة ١٩٦١ ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ .
٨٧ ـ العزي ، نجلة اسماعيل :
«سراي بغداد والقشلة» سومر م ٣٤ سنة ١٩٧٨ ص ٢٢٣ وما بعدها .

٨٨ ـ العلي ، الدكتور صالح أحمد :
«خطط البصرة» سومر م ٨ سنة ١٩٥٢ ص ٧٢ ـ ٨٢ و ٢٨١ ـ ٣٠٣ .
٨٩ ـ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، بيروت ١٩٦٩ .

٩٠ ـ «منطقة الكوفة» سومر م ٢١/ ١٩٦٥.
٩١ ـ العمري، سعاد هادي:
بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة.
طبع بغداد سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤ م.
٩٢ ـ العمري، محمد امين بن خيرالله:
منهل الاولياء ومشرب الاصفياء في سادات الموصل الحدباء.
حققه ونشره سعيد الديوهجي ـ مطبعة الجمهورية ـ الموصل ١٩٦٧.
٩٣ ـ العمري، ياسين بن خيرالله ت ١٢٣٢ هـ/ ١٩١٣ م.
منية الادباء في تأريخ الموصل الحدباء.
تحقيق سعيد الديوهجي مطبعة الهدف الموصل ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م.
٩٤ ـ العميد، الدكتور طاهر مظفر:
«عمارة سامراء العباسية في عهد المتوكل:
سومر م ٣٢ سنة ١٩٧٦ ص ١٩١ ـ ٢٣٥.
٩٥ ـ بغداد مدينة المنصور المدورة.
مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.
٩٦ ـ عواد، كوركيس:
«المدرسة المستنصرية» سومر م ١ سنة ١٩٤٥ ج ١ ص ٧٦ ـ ١٣٠.
٩٧ ـ فرنسيس ومصطفى، بشير ومحمد علي:
«جامع ابو دلف» سومر م ٣ سنة ١٩٤٧ ص ٦٠ ـ ٧٦.
٩٨ ـ فكري، الدكتور احمد:
مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل)
دار المعارف بمصر ١٩٦١.
٩٩ ـ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
قاموس المحيط (٤ اجزاء) بولاق ـ القاهرة ١٢٨٩ هـ.
١٠٠ ـ القزاز، وداد:
«المنارة المظفرية في اربيل» سومر م ١٦ سنة ١٩٦٠ ص ١٢٧ ـ ١٢٨.
١٠١ ـ القزويني، زكريا بن محمد ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥ م:
اثار البلاد واخبار العباد.
مطبعة دار صادر بيروت ١٩٦٠.
١٠٢ ـ القيسي، ربيع:
«جامع الجمعة في سامراء تخطيطه وصيانته» سومر م ٢٥ سنة ١٩٦٩ ص ١٤٣ ـ ١٦٢.

١٠٣ ، «الملوية منارة المسجد الجامع في سامراء» سومر م ٢٦ سنة ١٩٧٠ ص ٢٧٧ ـ ٢٨٤ .
١٠٤ ـ كوك ، ريجارد .
بغداد مدينة السلام (جزءان) .
ترجمة فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد بغداد ١٩٦٢ .
١٠٦ ـ لسترنج ، كي :
بغداد في عهد الخلافة العباسية .
ترجمة بشير فرنسيس بغداد ١٩٣٦ .
١٠٧ ـ ، بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد بغداد ١٩٥٤ .
١٠٨ ـ ماسينيون : خطط الكوفة وشرح خريطتها . ترجمة تقي المصعبي ، صيدا ١٩٣٩ .
١٠٩ ـ الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب :
الاحكام السلطانية القاهرة ١٩٦٠ .
١١٠ ـ محمد خان ، ابو طالب :
رحلة ابي طالب خان الى العراق واوربا سنة ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٩ م .
ترجمة الدكتور مصطفى جواد مطبعة الايمان بغداد .
١١١ ـ مصطفى ، محمد علي :
«تقرير اولي عن التنقيب في الكوفة للموسم الثاني» سومر م ١٠ سنة ١٩٥٤ ص ٧٣ ـ ٨٥ .
١١٢ ، «تقرير اولي عن التنقيب في الكوفة للموسم الثالث» سومر م ١٢ سنة ١٩٥٦ ص ٣ ـ ٣٢ .
١١٣ ، «دار الامارة في الكوفة» م ١٣ سنة ١٩٥٧ ص ١٩١ ـ ١٩٢ .
١١٤ ـ معروف ، الدكتور ناجي :
تاريخ علماء المستنصرية (جزءان) .
ط ٢ مطبعة العاني ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥ .
١١٥ ـ ، المدارس الشرابية بغداد ١٩٦٦ .
١١٦ ـ مديرية الاثار العامة ـ الاخضير بغداد ١٩٣٧ .
١١٧ ، حفريات سامراء ونتائج تنقيبات مديرية الآثار بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٩ بغداد ١٩٤٠ .
١١٨ ، صيانة الابنية الاثرية : فؤاد سفر وصادق الحسني طبع سنة ١٩٦٥ .
١١٩ ، «جسر حربي» مطبعة الحكومة بغداد ١٩٣٥ .
١٢٠ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي :
التنبيه والاشراف بيروت ١٩٦٥ .
١٢١ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ اجزاء) بيروت ١٩٦٥ .
١٢٢ ـ المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري ت سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م .

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (جزءان) طبعه ليدن ١٩٠٦ .
١٢٣ ـ المقريزي ، الشيخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر :
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والامصار المشهور بالخطط المقريزية (جزءان) .
المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٣ م .
١٢٤ ـ شذور العقود في ذكر النقود .
تحقيق محمد بحر العلوم النجف ١٩٦٣ .
١٢٥ ـ المنشيء البغدادي :
رحلة المنشيء البغدادي .
عربها عباس العزاوي مطبعة شركة التجارة والطباعة بغداد ١٩٤٨ .
١٢٦ ـ مهدي ، علي محمد :
الاخيضر دار الجمهورية بغداد ١٩٦٩ .
١٢٧ ـ الموسوي ، الدكتور مصطفى عباس :
العوامل التأريخية لنشأة وتطور المدن الاسلامية في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري (رسالة ماجستير) القاهرة ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ .
١٢٨ ـ النقشبندي ، اسامة ناصر :
جامع الحيدرخانة عمارته وموضعه سومر م ٢٩ سنة ١٩٧٣ ص ٢٤٥ ـ ٢٥٦ .
١٢٩ ـ النقشبندي ، ناصر محمود :
«المدرسة المرجانية» سومر م ٢ سنة ١٩٤٦ ص ٣٣ ـ ٥٤ و ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .
١٣٠ ـ نيبور ، كارستون :
رحلة نيبور الى العراق في القرن السابع عشر .
ترجمة الدكتور محمود الامين طبع بغداد سنة ١٩٦٥ .
١٣١ ـ الهروي ، ابو بكر :
الاشارات الى معرفة الزيارات دمشق ١٩٥٣ .
١٣٢ ـ الهمداني ، ابو بكر أحمد بن محمد :
مختصر كتاب البلدان ليدن ١٨٨٥ .
١٣٣ ـ الهمداني ، ابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب :
صفة جزيرة العرب تحقيق محمد عبدالله النجدي القاهرة ١٩٥٣ .
١٣٤ ـ اليعقوبي ، أحمد بن ابي يعقوب بن وهب واضح ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م .
البلدان ليدن ١٨٩٢ م .
١٣٥ ، تأريخ اليعقوبي (جزءان) ليدن ١٣٨٣ هـ .

136 - Arnold, TH. and Guillaume A.

The Legacy of Islam. Oxford 1931

137 - Bell, G.L.

Amurath to Amurath. London 1911

138 - Palace and Mosque of Ukhaidir.

Oxford 1914

139 - Briggs, M.S.

Architecture: in Legacy of Islam by Arnold

PP. 155-179. Oxford 1931

140 - Buckingham, J.S.

Travels in Mesopotamia 2 vols. London 1927

141 - Creswell, K.A

Coptic Influences on Early Muslim Architecture.

Vol. v Le Caire 1939

142 - Early Muslim Architecture 2 Vols.

Oxford 1932-1940

143 - Diez, Ernst

Islamic Architecture: The Principles and types. in Pope: Survay of Persian Art. Vol. 2 PP. 916-926. Oxford 1939

144 - Flury, Samuel

Samarra und die Ornamentik Der Moschee des Ibn Tulun.

Der Islam. Vol. 4 1913

145 - Herzfeld, E. and Sarre, F.

Archaologische Reise in Euphrat und Tigris-Gebiet
4 Vols. Berlin 1911-1920

146 - Massignon, L.

Ukhaidir, in Encyclopedie de L'Islam. Tome 4 Paris 1934.

147 - Richmond, E.T.

Moslem Architecture 623-1516. London 1926.

148 - Rivoisa, G.T.

Moslem Architecture of Ford 1925.

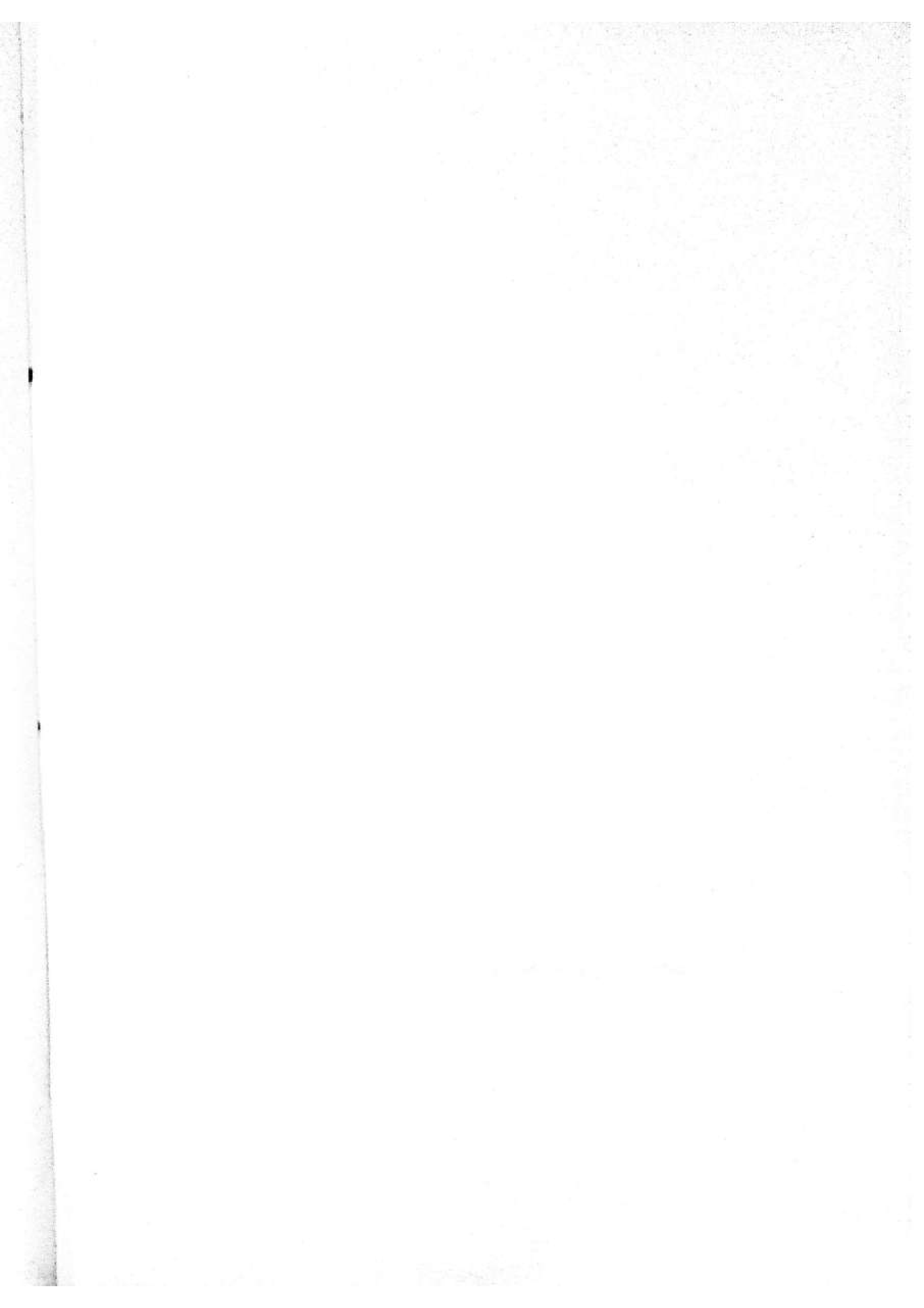
149 - Schroeder, Eric

Islamic Architecture: Standing Mounments of the In Pope: Survey of Persian Art. Vol. 2 PP. 930-966. Oxford 1939.

150 - Van Berchem, M.

Architecture: In Encyclopedie de L'Islam Tome 1 PP. 428-431 Paris 1913.

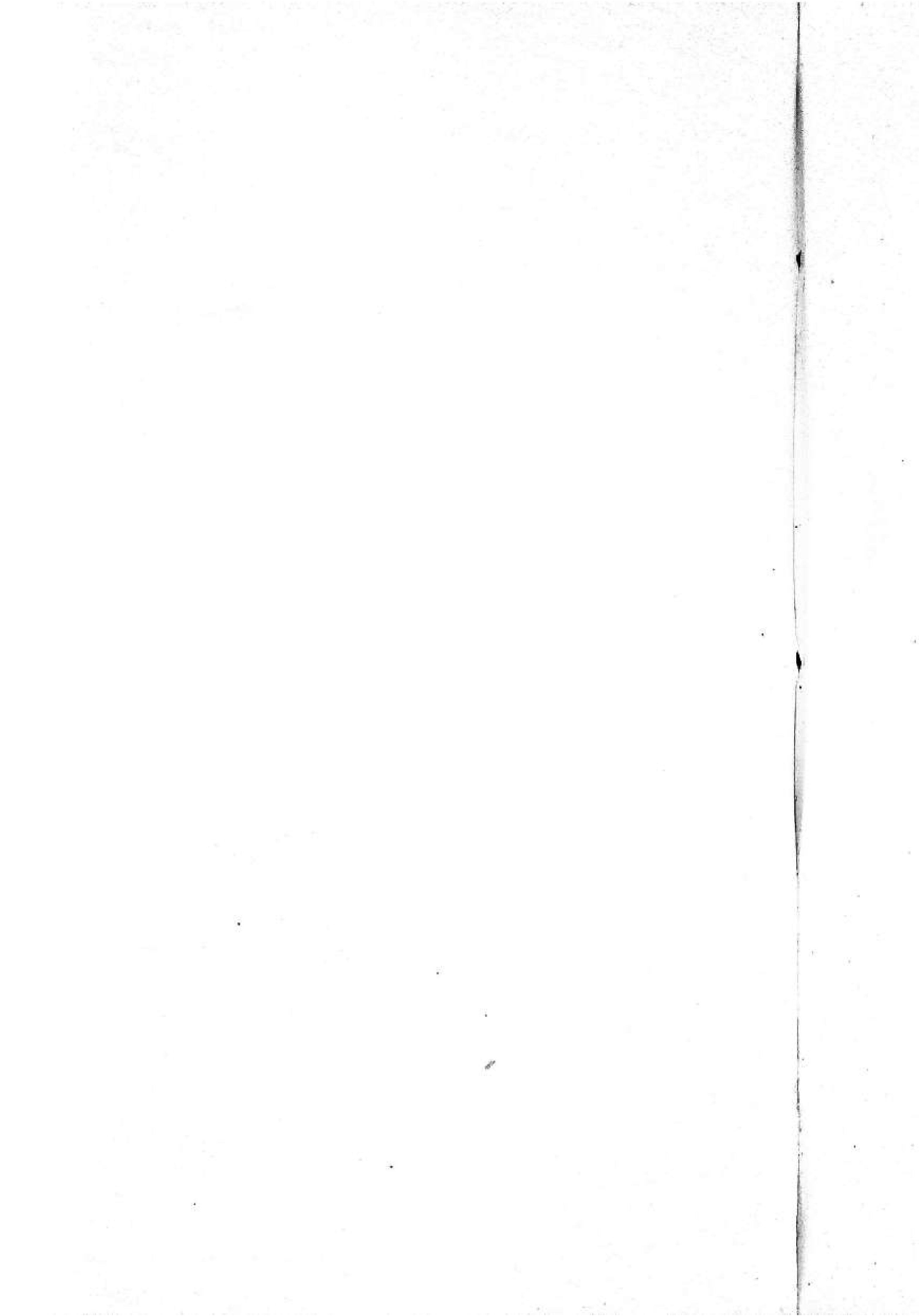
توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان



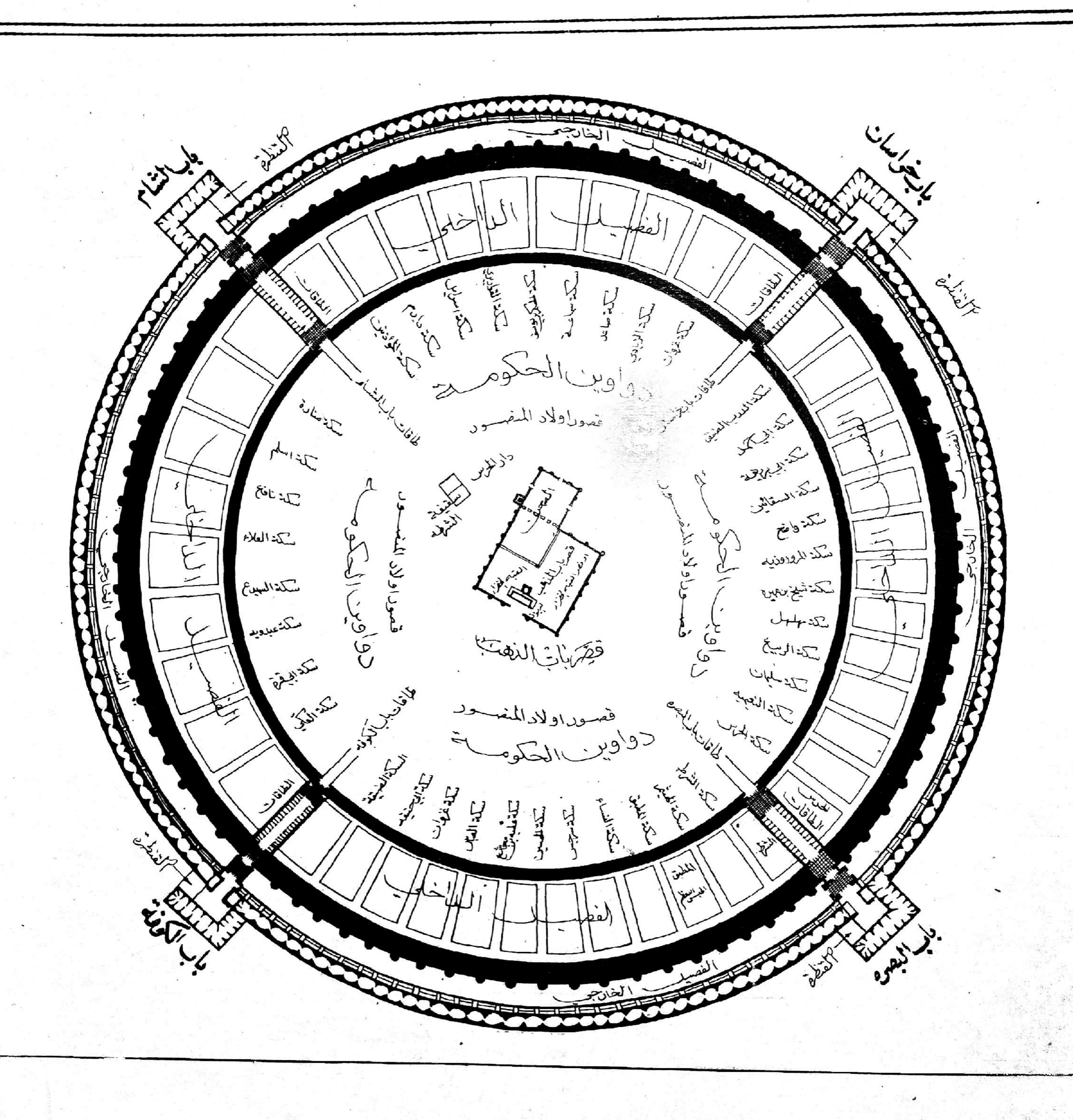
رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد ١٦٥٠ لسنة ١٩٨٢

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

(٣١٢)



الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر
١٩٨٢



توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
السعر ديناران
دار الحرية للطباعة ـ بغداد